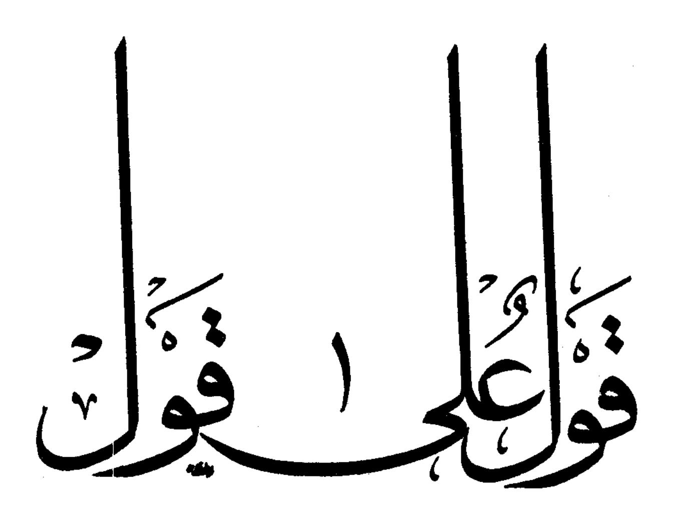
حسن سعيد الكرمي



الجزء الثالث

الناشر
دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الطبعة الخامسة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

طبع بموافقة إذاعة لندن

قَوْلٌ عَلَىٰ قَوْلٍ

الإهداء

إلى إخواني العرب

الذين يحرصون على حفظ تراثهم وتمجيد تاريخهم ،

والابقاء على آدابهم ولغتهم ،

أقدم هذا الكتاب .

حسن سعيد الكرمي



المقدّمة

أقدم إلى القراء الكرام وإلى محبي الأدب العربي الجزء الثالث من «قول على قول» وهو البرنامج الذي كنت أذيعه من القسم العربي في هيئة الاذاعة البريطانية في لندن . ورجائي أن يجد هذا الجزء والأجزاء التالية من العطف والتشجيع ما لاقاه البرنامج الإذاعي في حينه ، والجزآن السابقان .

وقد تركت ، كالعادة ، الأسئلة والأجوبة على ما هي عليه بدون تغيير كما أذيعت مع بعض الاضافات ، وذكرت مع كل سؤال اسم السائل الكريم إثباتاً لصحة السؤال .

ولم أقصد بأجوبتي في ذلك البرنامج أن تكون دراسة أدبية ولغوية مستقصاة ، وإنما أردت أن تكون للامتاع والتسلية والتعريف بشيء من ذخائر الأدب العربي وطرائفه .

لندن ١٩٧١

ح. س. الكرمي



● **السؤال :** البحتري يقول :

ولو أن مشتاقاً تكلّف فوق ما　　في وسعه لسعى إليك المنبر

فمن الممدوح وفي أية مناسبة ؟

عبد الجبار محمود السامرائي
سامرا – العراق

★

البُحتُري

● **الجواب :** يقول البحتري هذا البيت في مدح جعفر المتوكل الخليفة العباسي لما دَخل المَوْصل يومَ عيد الفطر ، فهو يقول في مطلع القصيدة :

أُخْفي هوىً لك في الضلوع وأُظهِرُ
وأُلاَمُ من كَمَدٍ عليكَ ، وأُعْذَرُ

ثم يقول فيها :

بالبِرِّ صُمْتَ وأنت أفضلُ صائمٍ
وبِسُنّةِ اللهِ الرَّضيَّةِ تُفطِرُ
فانْعَمْ بيومِ الفِطر عَيناً إنه
يومٌ أَغَرُّ من الزمان مُشَهَّرُ

ثم يقول :

ذَكروا بطلعتِـــك النبيَّ فهلَّلوا ... لمـاَّ طلعتَ من الصفوفِ وكبَّروا
حتى انتهيتَ إلى المُصَلَّى لابساً ... نور الهدى، يَبْدو عليكَ ويظهر
فلو أنَّ مُشتاقاً تكلَّف غير مَا ... في وُسْعِهِ ، لسعى إليك المِنْبَرُ

وفي حكايةٍ أنَّ البَلاذُريَّ المؤرخ كان من جلساءِ المستعين ، فقصده الشعراءُ يوماً يُريدون أن يمدحوه، فقال : لستُ أقبل إلاَّ مِمَّن قال مثلَ قول البحتري في المتوكل :

ولو أنَّ مشتاقاً تكلَّف فوقَ ما ... في وسعه لسعى إليكَ المِنْبَرُ

فرَجَع البلاذُري إلى داره،ثم أتى المستعينَ وقال له:قد قلتُ فيك أحسنَ مما قاله البحتري في المتوكل . فأنشَدَه :

ولو أنَّ بُردَ المصطفى إذ لبستَه ... يَظُنّ ، لَظَنَّ البُرْدُ أنك صاحِبُهْ
وقال وقــد أعطِيتَه ولَبِستَه ... نَعَمْ هــذه أعطافهُ ومَنَاكِبُهْ

فقال له المستعين : اِرْجِع إلى بيتكَ وافعلْ ما آمُرُكَ به . فرجع وبَعَث إليه المستعين بسبعةِ آلافِ دينار وقال له : ادَّخِرْ هذه للحوادثِ من بعدي ، ولكَ عليَّ الجرايةُ الكافيةُ ما دُمْتُ حياً. ويقول المتنبي في هذا المعنى أيضاً :

طَرِبتْ مَراكِبُنا فَخِلْنا أنها ... لولا حياءٌ عاقها رَقصت بنـــا
لو تَعْقِلُ الشجرُ التي قابلتَها ... مَدّت مُحَيِّيَة اليـك الأَغْصُنا

وأبو تمام يقول من قبل :

لو سَعَت بُقْعَةٌ لِإعظام نُعْمَى   لَسَعَى نحوها المكان الجديبُ

ومثل ذلك قولُ الفرزدق :

يكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتهِ   رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَسْتَلِمُ

ومثلُه قول القاسم بن حَنبَل المُرّي ، رواه أبو تمام في الحماسة ، وذكره الراغب الأصبهاني ونسبه إلى الفرزدق :

فلو أنَّ السماءَ دَنَت لمجـــدٍ   ومكرُمةٍ دنت لهـــم السماءُ

ويقول ابنُ أُذَيْنة من أبيات :

ولَهُنَّ بالبيتِ العَتيقِ لُبَانَــةٌ   والرُّكْنُ يَعرِفُهُـنَّ لو يَتكَلَّمُ

لو كان حَيًّا قَبْلَهنَّ ظعائنــاً   حَيَّا الحطِيمُ وُجوهَهنَّ وزَمْزَمُ

ويقول أبو تمّام في أبي دُلَفَ العِجْلي :

تكاد عطـاياه يُجَنُّ جُنونُهـا   إذا لم يُعَوِّذْهـا بِنَغْمَةِ طَالِب

تكاد مَغانيه تَهَشُّ عِراصُهـــا   فَتَركَب مِن شوقٍ إلى كُلِّ راكب

ويقول أشجعُ السُّلَمي لجعفر البرمكي :

حَبَّذا أنتَ قادمـــاً تَرِدِ الشامَ فتختالُ بـــين أرْحلِ عِيرِكْ

إن أرضاً تَسْري إليها لَو اْسطاعت لسارت إليك مِن قبـــلِ سَيرِك

ويقول نُصَيب الأصغر :

تَرى المِنْبَرَ الشرقيَّ يَهتز تحته   إذا مـا علا أعوادَه وتكلَّما

ويقول الطغرائي من أبيات :

وَنَفْسٍ بأعقابِ الأمورِ بَصيرةٍ لها من طِلاعِ الغيب حادٍ وقائدُ
وتأنف أن يَشفي الزلالُ غليلَها إذا هي لم تشتَق إليهـا الموارِدُ

وهذا شبيهٌ بقول أبي العلاء المعري :

إذا اشتاقت الخيلُ المَناهِلَ أعرَضت عن الماء فاشتاقت إليها المَناهِلُ

وممّن قال بعكس ذلك وبمثله يحيى بن أبي حفصة حينما دخل على الوليد ابن عبد الملك وعزّاه بموت أبيه فقال :

بَكَتِ المنابرُ يوم مات وإنما بكتِ المنابرُ فَقْدَ فارِسِهِنَّهْ
لمّا عَلاهُنَّ الوليد خليفةً قُلْنَ ابنُه ونظيرُه فَسَكَنَّهْ
لو غيرُه قرعَ المنابر بعدَه لَنَكِرْنَه فطرَحْنَه عَنهُنَّهْ

● **السؤال** : من قائل هذه الأبيات :

تقدمْ أيهـــا العربيُّ شوطاً فإن أمامَك العيشَ الرغيدا

وأسِّس في بنائـك كلَّ مجدٍ طريفٍ واتْرُكِ المجدَ التليدا

فَشَرُّ العـالمين ذوو خمولٍ إذا فاخرْتهم ذكروا الجدودا

فهل إن كان حاضِرُنا شَقِياً نَسُود بكونِ ماضينا سعيدا ؟

مختار جوب
داكار – السنغال

★

معروف الرُّصافي

● **الجواب** : هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة للشاعر مَعْرُوفِ الرُّصافي عنوانها « نحن والماضي » وهي مشهورة . ومَطْلَعُ القصيدة :

عَهِدْتُكَ شاعِرَ العُرب المُجيدا فما لَكَ لا تُطارِحُنا النشيدا

ويَقصِد الشاعر بقصيدته هذه أنْ يَتْركَ العربُ الافتخارَ بالماضي ، كما كان يفعل عربُ الجاهلية ، وأن يَبْنُوا لهم مجداً جديداً . فهو يقول :

ومـا يُجدِي افتخارُك بالأَوَالَى إذا لم تَكتسبْ فخراً جديـدا

ويقول :

وخيرُ الناسِ ذو حَسَبٍ قديمٍ ... أقام لنفسِه حَسَباً جديدا
فَدَعْني والفخارَ بمجدِ قومٍ ... مَضَى الزمنُ القديمُ بهم حميدا

ثم يقول في آخرِ القصيدة عن العرب الماضين بالنسبة إلى الحاضرين :

وعاشُوا سادةً في كُلِّ أرضٍ ... وعِشْنا في مواطِنِنا عبيدا
إذا ما الجهلُ خَيَّمَ في بلادٍ ... رأيتَ أُسودَها مُسِخت قُرودا

● **السؤال** : من القائل مع شيء من شعره :

إن التي زعمت فؤادك مَلَّها ... خُلِقَت هواكَ كما خُلِقت هوىً لها

محمد ابراهيم شريف
عين التينة — سوريا

★

عُروة بن أُذينة

● **الجواب** : هـذا البيت مَطْلَعُ قصيدةٍ للشاعر عُروة بن أُذَيْنَة .
وروى مُصْعَبُ بنُ عبدالله ، كما وَرَد في «زهر الآداب»، أن عُروةَ بنَ أُذينة كان نازلاً في دارِ أبي العَقيق ، فسمعه يُنشِد لنفسِه :

إنّ التي زَعَمت فؤادَكَ مَلَّها ... خُلِقت هواكَ كما خُلِقْتَ هوىً لها

إلى أن قال :

لمَّا عَرَضْتُ مُسلِّماً ، لِيَ حاجةٌ ... أَخشَى صعوبتَها وأرجو ذُلَّها

مَنَعَت تحيتَها ، فقلتُ لصاحبي ... ما كان أكثَرَها لنا وأقلَّها

فَدَنا وقال : لعلَّها معذورةٌ ... في بعضِ رِقْبَتِها ، فقلتُ : لَعَلَّها

ثم قال مُصْعَب في روايته : فأتاني أبو السائب المخزومي ، فقلتُ له بعد

الترحيب : ألَكَ حاجة ؟ فقال : نعم ، أبياتٌ لِعُروة بلغني أنكَ سمعتَهُ يُنشِدُها . فأنشدتُه الأبيات ، فلمّا بلغتُ قولَه :

فدنا وقال لعلّها معذورةٌ في بعضِ رِقْبَتِها فقلتُ لعلّها

طَرِب ، وقال : هذا واللهِ الدائمُ الصّبابةِ ، الصادقُ العهد ، لا الذي يقول :

إن كان أهلُكِ يمنعونَكِ رَغْبَةً عني ، فأهلي بي أَضنُّ وأرْغب

لقد عدا هذا الأعرابيُّ طورَه ، وإني لأرجو أن يَغْفِرَ اللهُ لصاحبِ هذه الأبيات لحسنِ الظنّ بها ، وطلَبَ العُذرِ لها . قال : فعرضتُ عليه الطعام ، فقال : لا والله ما كنتُ لأخلِطَ بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل . وانصرف . وقيل إن الأبيات لبشّار أو للمجنون أو منحولة له كما في « سمط اللآلي على أمالي القالي » .

ولعروة بنِ أذينة حكايةٌ مع هشام بن عبد الملك فقد أتى هو وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بنَ عبدالملك. فلمّا عرف عُرْوَةَ بينهم ، قال له : ألستَ القائل:

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعَنّيني تَطَلُّبُه
ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنّيني

فقال له ابن أذينة : نعم . فقال : أفلا قعَدْتَ في بيتك حتى يأتيكَ رزقُك ؟ فخرج عروةُ من وقته وركب راحلتَه وسار راجعاً نحو الحجاز . فمكث هشامٌ غافلاً عن الشعراء يومَه ، فلما كان في الليل أرِق في فراشه .

فتذكَّر ما جرى له مع الشعراء وتذكر قولَه لعروةَ بن أُذينة ؛ فلما أصبح سأل عنه فأخبروه بانصرافه . فدَعَا بمولىً له وأعطاه ألفَيْ دينار وقال له : إلْحَق بهذه ابنَ أُذَينة. فسار إليه فلم يُدْرِكْه إلاّ وقد دخل بيته . فأعطاه المال ، فقال : أبلغْ أميرَ المؤمنين السلامَ وقل له : كيف رأيتَ قولي .. سَعَيْتُ فأكْدَيْت ، ورَجَعتُ إلى بيتي فأتاني الرزق .

ورثى عروةُ بنُ أذينة أخاه بَكراً بهذه الأبيات :

سَرَى هَمّي وهَمُّ المرءِ يَسري ... وغار النجمُ إلاّ قيدَ فِتْرِ
أراقِبُ في المَجَرَّة كلَّ نجمٍ ... تَعَرَّضَ للمجرَّةِ كيف يجري
لِهَمٍّ ما أزال له مُديماً ... كأنَّ القلبَ أُضْرِمَ حرَّ جمرِ
على بَكْرٍ أخي ولّى حميداً ... وأيُّ العيشِ يَصلُح بعد بكرِ

فَسَمِعَتْ هذه الأبيات سُكَيْنَةُ بنتُ الحسين ، فقالت : مَن بَكرٌ هذا ؟ أليس هو الأسودَ الدَّحْدَاحَ الذي كان يَمُرّ بنا ؟ قالوا : نعم ، فقالت: لقد طاب كلُّ شيءٍ بعدَه حتى الخبزُ والزيت .



● **السؤال :** ما هي القصيدة التي رثى بها أحدُ الشعراء مدينة بغداد على أثر تخريبها من المغول والتتر ؟

فضل يونس عودة
حيفا

★

تخريب بغداد

● **الجواب :** للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ قصيدتان يذكر فيهما خرابَ بغداد وقتلَ الخليفة المستعصم بالله آخرِ خلفاء بني العباس . فالقصيدة الأولى مطلعها :

عِندي لأجـلِ فِراقكم آلامُ ... فإلامَ أعـذَلُ فيكُمُ وألامُ

يقول فيها :

قِف في ديار الظاعنين ونادِها ... يا دارُ ما صَنَعَت بكِ الأيامُ

أعرضتُ عنكِ لأنهم مُذ أعرضوا ... لم يَبْقَ فيَّ بَشاشةٌ تُستام

يا دارُ أين الساكنون وأين ذيَّاكَ البهاءُ وذلك الإعظام

ويخاطب أهلَ بغداد بقوله :

وحياتِكم إني على عهدِ الهوى | باقٍ ولم يُخْفَر لَدَيَّ ذِمامُ
يا غائبين وفي الفؤاد لبعدهم | نارٌ لها بين الضلوع ضِرامُ
لا كُتْبُكم تاتي ولا أخبارُكم | تُرْوَى ولا تُدْنيكُمُ الأحلامُ

ويقول في آخرها :

يا ليت شعري كيف حالُ أحِبَّتي | وبأيِّ أرضٍ خَيَّموا وأقاموا
ما لي أنيسٌ غيرُ بيتٍ قاله | صَبٌّ رمته من الفِراق سهامُ
واللهِ ما اخترتُ الفِراقَ وإنما | حكمتْ عليَّ بذلك الأيامُ

أما القصيدةُ الثانية من نظم الشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في رثاء بغداد ورثاء أهلها بعد أن خرّبها هولاكو وقومُه ، فمطلَعُها :

إن لم تُقَرِّحْ أدمعي أجفاني | مِن بَعْدِ بُعْدِكُمُ فما أجفاني

ويقول فيها :

ما للمنازلِ أصبحت لا أهلُها | أهلي ولا جيرانُها جيراني
ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلكم | ووَقَفتُ فيها وِقْفَةَ الحَيْرانِ
وسالتُها لكن بِغيرِ تَكَلُّمٍ | فتكلمتْ لكن بغيرِ لسانِ
ناديتُها يا دارُ ما صنع الأُلى | كانوا هم الأَوطارُ في الأوطانِ

ويقول بعد ذلك في آخرها :

سِرْتُم فلا سَرَت النسيمُ ولا زها | زَهرٌ ولا ماست غُصونُ البانِ

ما لي أنيسٌ بعدكم غيرُ البِلَى | والنَّوْحِ والحَسَراتِ والأحزانِ
يا ليتَ شِعري أين سارت عِيسُكُم | أم أين مَوطِنكم من البُلدانِ

وعلى ذكر قتل آخر خلفاء بني العباس يقول صاحبُ فوات الوَفَيات إن من الاتفاقات العجيبة أنّ أولَ الخلفاء من بني أمية اسمه معاوية وآخِرَهم اسمه معاوية ، وأنّ أولَ الخلفاء الفاطميين في المغرب والديار المصرية اسمُه عبدُ الله وآخِرَهم اسمُه عبدالله ، وأن أول الخلفاء العباسيين اسمُه عبد الله (السفاح) وآخِرَهم اسمُه عبدُ الله (المستعصم بالله) .

وفي بغداد قصائد أخرى في خرابها .



● **السؤال :** من القائل وفي أي موضوع هذا القول :

إذا كان رأسَ المال عُمرُكَ فاحترِزِ ... عليه من الإنفاقِ في غيرِ واجب

حسين محمد عثمان الوصالي
زبيد — اليمن

★

عُمارة اليمني

● **الجواب :** هذا البيت للفقيه عُمارةَ اليمني من أبياتٍ مشهورة ، وكان بينه وبين الكامل بن شاور في مصر صُحبةٌ متأكّدة قبل وزارةِ أبيه ، فلما وَزَرَ أبوه استحال عليه ، فكتب إليه قصيدةً يقول فيها :

إذا لم يسالمكَ الزمانُ فحاربِ ... وباعِدْ إذا لم تنتفع بالأقاربِ
ولا تحتقر كيدَ الضعيف فربما ... تموتُ الأفاعي من سُموم العقارب
فقد هدَّ قِدْماً عرشَ بلقيسَ هُدهُدٌ ... وخرَّب فارٌ قبل ذا سدَّ مأرِب
إذا كان رأسَ المالِ عُمرُكَ فاحترز ... عليه من الإنفاق في غيرِ واجبِ

ومنها :

إذا كان هـذا الدُّرُّ مَعْدِنُه فمي فصونوه عن تقبيلِ راحةِ واهب
رأيتُ رجالاً أصبحت في مآدِبٍ لديكم ، وحالي وَحْدَها في نوادب
تأخّرتُ لمّا قَدَّمَتْهُم عُـــلاكُم عليَّ ، وتأبى الأُسدُ سبقَ الثعالب

ثم يقول :

تُرَى أين كانوا في مواطِنِيَ التي غَدَوتُ لكم فيهنَّ أكرمَ نائبِ
لَياليَ أتلو ذِكرَكمْ في مجالسٍ حديثُ الورى فيها بغمزِ الحواجب



● **السؤال** : من قائل هذا البيت وفي أي مناسبة :

صَدَدْتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرٍو ... وكان الكأسُ مَجراها اليمينا

ع. ش.
سيراليون – افريقيا الغربية

★

كأس أم عمرو

● **الجواب** : هـذا البيت من مُعلّقةٍ مشهورة ، وهي معلّقة عمرو ابن كُلثوم التغلبي ، وأمه ليلى بنت مُهَلْهِل ، ومُهَلْهِلٌ هو أخو كُلَيْب .

ومَطْلَعُ مُعلّقةِ عمرو بنِ كُلثوم هو :

ألاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا ... ولا تُبْقِي خُمُورَ الأندرينا

وبَعضُهم يَرَى أنَّ مَطْلَعَ المُعَلّقة هو :

قِفِي قبل التفرقِ يا ظَعِينا ... نُخَبِّرْك اليقينَ وتُخْبِرينا

وربما كان هـذا رأياً ضعيفاً . ولكنَّ الذي يَشْفَع له أن الشعراء من أيام

الجاهلية يَستَهِلّون قصائدَهم بمثل هذا المعنى ، كما هو معروف من المعلقاتِ وغيرها. ويُقال إنَّ عمروَ بنَ كلثوم ساد قومَه وهو ابنُ خمسَ عشرةَ ، ويقال إنَّ قصيدَته المُعَلَّقة كانت تَزيد على ألفِ بيت .

والسببُ في هذه المعلّقة أنَّ خِلافاً كان قد نَشِب بين تغلب وبكر بنتَي وائل ، بعد الصلح الذي أحدثه بينهما عمرُو بنُ هندٍ ملكُ الحيرة فطَلَبوا منه أن يَحكُمَ بينهم في ذلك الخلاف . وجاءت تغلبُ وعلى رأسها عمرو بن كلثوم ، وجاءت بَكرٌ وعلى رأسها النُّعمانُ بنُ هَرِم . فلما اجتمعوا عند الملك عمرِو بن هند ، ودار الكلامُ بين الطرفين ، غَضِب عمرُو بنُ هندٍ على النُّعمانِ ابنِ هَرِم ، لقولٍ بَدَر منه ، وطَرَده . ففَرِح بذلك عمرُو بنُ كلثوم ، وأنشَد معلَّقَته ارتجالاً أمام الملك . والمُعَلَّقةُ التي أُنشِدت في ذلك الوقت تختلف عن المُعلقةِ التي بين أيدينا ، لأنَّ عمروَ بنَ كلثوم أضاف إليها إضافات فيما بعد ، ضمَّنها بعضَ الحوادث التي وَقعت له ، وخصوصاً حادثتَه مع عمرِو بنِ هند ، حينما شتَم عمرُو بنُ هند أمَّه ليلى بنتَ المُهَلْهِل .

وحكايةُ ذلك أنَّ عمروَ بنَ هندٍ قال يوماً لندمائه : هل تَعلمون أحداً من العرب تأنفُ أمُّه من خدمةِ أمي ؟ فقالوا : نعم ، أمُّ عمرو بنِ كلثوم . قال: ولِمَ ؟ قالوا : لأنَّ أباها مُهَلهِلُ بنُ ربيعة ، وعَمَّها كُلَيْبُ بنُ وائلٍ أعزُّ العرب ، وبَعلَها كُلْثُومُ بنُ مالكٍ أفرسُ العرب ، وابنَها عمرُو سيدُ قومِه .

فأرسَل عمرُو بنُ هند إلى عمرِو بنِ كُلثوم يَستَزيرُه ويَسألُه أن يأتيَ بأمّه. فأقبل عمرُو بنُ كلثوم من الجزيرة إلى الحِيرة ، وأقبلت ليلى أمُّه في ظَعْنٍ من بني تَغلب فدَخَل عمرُو بن كلثوم على عمرِو بنِ هند في رواقه ، ودَخلت ليلى على هندٍ في قُبةٍ من جانب الرِواق ، وكانت هِندٌ أمُّ عمرِو بنِ هندٍ عَمّةَ امرىءِ القيس بن حُجْرٍ الشاعرِ ، وبين هندٍ وليلى نسب.

وكان عمرُو بنُ هندٍ أمَرَ أمّه أن تُنحّيَ الخَدمَ وأنْ تَستَخدمَ ليلى في حاجتها . فَدَعا عمروٌ بمائدةٍ . فقالت هندٌ : ناوليني يا ليلى ذلك الطّبق . فقالت ليلى : لِتَقُمْ صاحبةُ الحاجــةِ إلى حاجتها . فأعادت عليها الطلب وألحّت ، فصاحت ليلى : واذُلاّه ! يا لَتَغْلب . فسَمِعَها ابنُها عمرُو بنُ كُلثوم ، فثار الدّمُ في وجهه ، ونظر إليه عمرُو بنُ هند فَعَرف الشرّ في عينه ، فوَثب عمرُو بنُ كُلثوم إلى سيفٍ لِعَمْرو بنِ هند مُعَلّقٍ في الرِواق ليس هناك سيفٌ غيرُه ، فضَرب به رأسَ عمرِو بنِ هندٍ ، ونادى في تغلب فساروا نحو الجزيرة عائدين .

ويُقال إنّ عمروَ بنَ كلثوم قال مُعلّقته عند هذه الحادثة . وفي هذه الحادثة يقول عمرُو بن كلثوم في معلقته :

بأيِّ مَشيئَةٍ عمروَ بنَ هنـدٍ	تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرِينا
بإيِّ مَشيئةٍ عمروَ بنَ هنــدٍ	نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فيهـــا قَطِينا
تُهدِّدُنا وتوعِدُنا ! رُوَيْـــداً !	مَتى كُنّا لِأُمّكَ مَقْتَوِينـــا

والمَقْتَويُّ هو خادِمُ الملك .

وأفرط عمرُو بنُ كلثوم في الفخرِ والتّمدُّح بقومه . ومن ذلك قولُه :

حُدَيّا النـــاسِ كُلِّهِمُ جميعاً	مُقارَعَـــةً بَنِيهِم عن بَنِينا
ألاَ لا يَعْـلَمُ الأقــوامُ أنّا	تَضَعْضَعْنا وأنّا قد وَنِينــا
ألاَ لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا	فَنَجْهَلَ فوقَ جهل الجاهلينا

ويقول :

وقد عَلِمَ القبائـــلُ مِن مَعَدٍّ	إذا قُبَبٌ بأَبْطَحِهـــا بُنِينا

بأنّا المُطْعِمُون إذا قَدَرْنا   وأنّا المُهلِكون إذا ابتُلِينا
وأنّا المانِعون لِما أَرَدْنا   وأنّا النازلون بحيث شِينا
وأنّا التاركونَ إذا سَخِطْنا   وأنّا الآخِذون إذا رَضِينا

ويختِمُ مُعلّقته بقوله :

مَلأنا البرَّ حتى ضاق عنا   وظهرُ البحرِ نملأُه سَفِينا
لنا الدُنيا ومن أَضحَى عليها   ونَبْطِش، حين نَبْطِشُ، قادرينا
إذا بَلَغ الفِطامَ لنا صبيٌّ   تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

وكان عمرُو بنُ كلثوم من الشعراء المُقلّين ، ولكنه من أفضلهم . وكان المُفَضّل الضّبّي يقول : لله درُّ عَمرِو بنِ كلثوم ، لو أنّه رَغِب في ما رغِب فيه أصحابُه من كثرةِ الشعر ، ولكنْ واحدته ، أجودُ من مِئتَيهم . وكان بنو تغلب يُعظّمون مُعَلّقته جداً ويَروِيها صغارُهم وكبارُهم ، حتى هُجُوا بذلك . قال بعضُ شعراء بكرِ بنِ وائل ، وهم أعداءُ بني تغلب :

أَلْهى بني تَغلِبٍ عن كلِّ مَكْرُمةٍ   قصيدةٌ قالَها عمرُو بنُ كُلْثومِ
يَرْوُونها أبداً مذ كان أوّلُهم   يا لَلرجالِ لِشِعْرٍ غيرِ مسؤُوم

ويُرْوى له هذا البيت :

ولكنْ فِطَامُ النفسِ أيْسَرُ مَحْمَلاً
مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمّاء حين تَرُومُها

ومعنى البيت الذي سأل عنه السائلُ الكريم واضحٌ على ما أعتقد .

وجاء في رسالة الغفران عن قينةٍ قالت تخاطب الجالسين معها : أتدرون مَن أنا ؟ فيقولون : لا واللهِ المحمود . فتقول : أنا أمُّ عمرو التي يقول فيها القائل :

تَصُدّ الكأسَ عنا أمُّ عمروٍ وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا
وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمروٍ بصاحِبكِ الذي لا تَصْبَحينا

فيزدادون بها عَجَباً ولها إكراماً ويقولون : لِمن هذا الشعر ، ألِعمرو بن عَديّ اللَّخْمي أم لِعَمرو بن كُلثوم التغلبي ؟ فتقول : أنا شهِدت نَدْماني جذيمةَ مالكاً وعقيلاً وصبَحْتُهما الخمرَ المُشَعْشعة لمّا وجَدا عمرو بن عدي فكُنت أصرِف الكأسَ عنه فقال عمرو هذين البيتين ، ولعلّ عمرو بن كلثوم حسَّن بها كلامه واستزادهما في أبياته .

وذكر ابنُ رشيق في كتاب «العُمْدة » قولـه: وربما اختلب الشاعرُ البيتين على الشريطة التي قدّمت فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطـوّق:

صَدَدْتِ الكأسَ عنا أمَّ عمروٍ وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا
وما شَرُّ الثلاثـةِ أمَّ عمروٍ بصاحِبِك الذي لا تَصْبَحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فيها في قصيدته .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

النـــاسُ ألفٌ منهم كواحدٍ ... وواحدٌ كالألفِ إن أمْرٌ عنا

ناصر محمد البطاسي
سوروتي – يوغندا

★

المقصورة الدريدية

● **الجواب :** هذا البيت من المقصورة الدريدية التي مطلعها :

إمّا تَرَيْ رأسِيَ حاكى لونُـه ... طُرّةَ صبحٍ بين أذيالِ الدُّجى

وقبله :

مَن رام ما يَعْجِزُ عنه طَوْقُه ... مِلْعِبءيوماً آضَ مَخزولَ المَطا

وبعده :

وللفتى مِن مالهِ مـــا قدَّمتْ ... يداه قبلَ موتِه لا ما اقتنى

وكان أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يُقوَّم بألف ، وكذا الزبير بنُ العوّام . وبَعث عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنـــه مالكاً النَّضْري

وطلحة الأَسدي لعامله بالشام بدلاً من ألفي فارس استنجد العاملُ أن يُرْسلها إليه . وفي الحديث الشريف : ليس شيءٌ خيراً من ألفٍ مثلِهِ إلا المؤمن .

ومِمَّن ادَّعَى لنفسه بأنه بألفِ رجل جميلُ بن مَعْمَر في قوله :

ولو أنَّ ألفاً دون بَثْنةَ كلُّهم غيارَى وكُلٌّ حاربٌ مُزْمِعٌ قَتْلي

لحاولتُها إمّا نهاراً مُجاهِراً وإما سُرَى ليلٍ ولو قُطِعَت رِجلي

وكان القائد ضِرار بن الأزور الكِندي يقاس بألفِ رجل . وكان كذلك قيسُ بنُ زهير .

ولمّا بعث عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بمروان بن أبي حفصة قال له : قد بعثتُ إليكَ مولاي ابن أبي حفصة وهو يَعدِلُ ألفَ رجل .



● السؤال : من قائل هذين البيتين وفي أية مناسبة :

ولستُ أبالي حين أُقتَل مُسلِماً   على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي

وذلــك في ذاتِ الإله وإن يَشأْ   يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

السيد علي عراب
قرية حسين – مستغانم – الجزائر

الآنسة مازاري خديجة
وهران – الجزائر

★

خُبَيْب بنُ عَدِي

● الجواب : هذان البيتان قالهما خُبَيْب بنُ عَدِي حين بلغه أن القومَ قد عزموا على قتله ، بعد أن أسروه ، وكان من بقية أصحاب النبي ﷺ ، في أولِ عهدِ الإسلام . ويقال إنّ بعضَ أهل العلم بالشعر ينكرها له ، والبيتان من قصيدةٍ أوّلُها :

لقد جَمّع الأحزابُ حولي وألَّبوا قبائلَهم واستجمعوا كُلَّ مَجْمَعِ

وفيها يقول :

إلى اللهِ أشكـو غُرْبَتي ثم كُرْبَتي
وما أرْصَد الأحزابُ لي عندَ مَصْرَعي

وذلـــك في ذاتِ الإله ومَن يَشأْ
يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّع

فواللهِ مـا أرجو إذا مِتُّ مُسلِماً
على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مصرعي

والروايةُ المعروفة لهذا البيت :

ولست أبالي حين أُقتَلُ مُسلماً الى آخره .

ويقال إنّ حسانَ بنَ ثابت رثى خُبيباً في غيرِ قصيدةٍ واحدة ، وبعضُ أصحاب العِلم بالشعر ينكرون ذلك ، وهجا حسّانُ أيضاً القومَ الذين ألّبوا عليه حتى قُتِل ، وأكثرَ من هجاءِ هُذَيْل لهذا السبب .

وهذه الحوادثُ متصلةٌ بيوم الرّجيع ، وكان النبيّ ﷺ قد أرسل نفراً من المسلمين إلى بعضِ القبائل يُفقّهونهم في الدين ، وأرسل مِن جُملتهم خُبَيْبَ ابنَ عدِي ، فأسره القومُ ومَن معه ، وأخذوهم إلى مكة وقُتـــل جميــعُ أصحابه وبقي هو وحدَه ،فأخذوه إلى مكانٍ ليصلبوه فقال لهم: إنْ رأيتُم أن تدَعُوني حتى أركعَ ركعتين فافعلوا قالوا : دُونكَ فاركَع. فركع ركعتين

أتمّها وأحسنها ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أني إنما طوّلتُ جزعاً من القتلِ لاستكثرتُ من الصلاة . فكان خُبَيب بنُ عَدِيّ أولَ من سَنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللّهم إنا قد بلّغنا رسالةَ رسولك فبلّغه الغداةَ ما يُصنَع بنا . ثم قال : اللهم أحصِهم عَددا واقتُلهم بِددا ، ولا تُغادر منهم أحدا . ثم قتلوه . ويقال إنه أقام عندهم أسيراً حتى انقضت الأشهر الحرام ، ثم قتلوه .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة ومتى توفي ؟

رأى شبَحاً وَسْطَ الظلام فراعه   فلمــا رأى ضيفاً تشمَّر واهتمّا
فقال : هَيَا ربّاه ! ضيفٌ ولا قِرَى   بحقك لا تحرمه تا الليلةَ اللحما

رشدي أحمد قدّور
دريوث — المغرب



الحطيئة

● **الجواب :** هذان البيتان من قصيدة مشهورة للحطيئة يصف فيها جياعاً. ومطلع القصيدة :

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطن مُرْمِلٍ   ببيداء، لم يَعْرِف بها ساكنٌ رسما

وتقع القصيدة في أكثر من خمسة عشر بيتاً ، وهي من قصائد الحطيئة المُعجبة وفيها يصف حالةَ البؤس التي كان عليها هؤلاء الجياع ، فيقول عنهم :

حُفاةً عُراةً ما اغْتَذَوا خبزَ مَلَّةٍ   ولا عَرَفوا للبُرِّ مذ خُلِقوا طَعْما

ثم يقول :

رأى شبَحاً وَسْطَ الظلام فراعه   فلمّا رأى ضيفــاً تشمَّر واهتمّا

فقال: هيا رباه! ضيفٌ ولا قِرَى   بحقِّكَ لا تحرمه تا الليلةَ اللحما

ثم يصف صيدَه لظبيةٍ فيقول:

فأمهلها حتى تروّت عطاشها   فأرسل فيهــا من كنانته سهما
فخرّت نحوصٌ ذاتُ جحشٍ سمينةٌ   قد اكتنزت لحماً وقد طبّقت شحما
فيا بِشْرَه إذ جرّها نحوَ قومه   ويا بِشْرَهم لمّا رأوا كَلْمَها يَدْمَى
وباتوا كراماً قد قضَوْا حقّ ضيفهم   وما غرِموا غُرماً وقد غنِموا غُنما
وبات أبوهم من بشاشته أبــاً   لِضيفِهم والأمُّ مِن بِشرها أمّا

وتوفي الحطيئة في عام ٥٩ هجرية.



● **السؤال :** كيف إعراب هذا البيت ، وما المناسبة التي قيل فيها ، ومن القائل :

أَظَلُومُ إنَّ مُصَابَكُم رجــلاً   أهدى السلامَ تحيــةً ظُلْمُ

سلامة الشيباني أبو قادومة
طرابلس – ليبيا

★

العَرْجي

● **الجواب :** يُنسَب هــذا البيتُ إلى الشاعر العَرْجي ، وله حكايةٌ مذكورة في كتب الأدب . فإن جــاريةً من الجواري غنت بحَضرة الواثقِ الخليفة العباسي بقول الشاعر :

أَظَلُومُ إنَّ مُصَابَكم رجــلاً   أهــدى السلامَ اليكم ظُلْمُ

فاختلف مَن كان في الحضرة في إعراب كلمةِ (رجل) ، فمنهم من نصَبها وجعلها اسمَ إنّ ، ومنهم مَن رَفَعها على أنها خبرُ إنّ . والجارية مُصِرّةٌ على أن شيخَها أبا عثمانَ المازنيّ لقّنها الكلمةَ بالنصب . فأمر الواثقُ بإشخاصِ المازني من البصرة .. فقال أبو عثمان في حديثِه عن هذه الحكاية :

لمّا مَثَلْتُ بين يديه (أي يدي الواثق) قال لي : مِمَّن الرجل ؟ فقلت : مِن بني مازن . فقال : مِن أيّ الموازن ، مازنِ تميم أم مازنِ قيس أم مازن ربيعة ؟ فقلت : مِن مازنِ ربيعة . فكلّمني بكلام قومي ، وقال : با اسمُكَ ؟ أي : ما اسمُكَ ، لأن مازنَ ربيعة يَقْلِبون الميمَ باءً والباءَ ميماً إذا كانت في أولِ الأسماء . قال فكرِهتُ أنْ أُجيبَه على لغةِ قومي لئلا أُواجِهَه بكلمة مَكْر. فقلتُ : بَكْر يا أميرَ المؤمنين. ففَطِن لِمَا قَصدْته وأُعجِب به . ثم قال : ما تقول في قول الشاعر : أَظَلومُ إنّ مُصابَكم رجلاً ، أتَرْفعُ رجلاً أم تَنْصِبُه ؟

فقلتُ : بل الوجهُ النصبُ يا أميرَ المؤمنين . قال : ولِمَ ذلك ؟ فقلت : إن (مُصَابَكم) مصدرٌ بمعنى (إصابتكم) . فأخذ اليزيدي في معارضتي فقلتُ : هو بمنزلةِ : إنّ ضربَك زيداً ظُلْمٌ . فكلمةُ (رجلاً) منصوبةٌ لأنها مفعول (مُصابَكم) ، فهي منصوبة بالمفعولية ، والدليل عليه أن الكلامَ مُعلَّق إلى أن تقولَ (ظلم) فيَتمّ الكلام . فاستحسنه الواثق ، وقال : هل لك من وَلَد ؟ قلت : نعم بُنَيَّةٌ يا أميرَ المؤمنين . قال : ما قالت لك عند مسيرك إلينا ؟ قلتُ : أنشَدَتني قولَ الأعشى :

أيا أبتا لا تَرِمْ عندنا   فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمِ
أرانا إذا أضمرتكَ البلادُ   نُجفَى وتقطع منا الرَّحم

قال الواثق : فما قلتُ لها أنت ؟ قال : قلتُ قول جرير :

ثِقِي باللهِ ليسَ له شريكٌ   ومن عِنْدِ الخليفة بالنجاح

قال الواثق : عليَّ النجاح انشاء الله . ثم امر له بألف دينار .

والعَرْجِيُّ مَنسوبٌ إلى العَرْج وهو موضع بين مكة والمدينة ، أو هو بمكة واسمُه عبدالله بن عمرو ، وهو ابنُ عم عثمانَ بن عفان رضي الله عنه .

وقائلُ هذا البيت ، على رأي كثيرٍ من الثقات ، ليس العَرْجي ، وإنما الحارثُ بن خالدٍ المخزومي ، كما ذكر صاحب الأغاني . وجاء هذا البيت في قصيدةٍ للحارث المذكور تحدّث فيها عن ظَلِيمة أمِّ عِمْران عبدِ الله بن مطيع وكان الحارث يُشَبِّب بها ، ولمّا مات عبدالله تزوّجها . ومن أبيات القصيدة :

أقْوَى مِن آل ظَليمةَ الحَرَمُ ... فالعَيْرتان وأوحش الخطْمُ
فيما أرى شخصاً بها حَسَناً ... في الدار أن تحتلَّها نُعُمُ
إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها ... أُمْنيّةٌ وكلامُها غُنْمُ
خُمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها ... رُودُ الشباب علا بها عُظُمُ
وكأنَّ غاليةً تُباشِرُها ... دون الثياب إذا صفا النجْم
أظَلِيمَ إنَّ مُصابَكم رجلاً ... أهدى السلامَ تحيةً ظُلْم
أقْصَيْتِه داراً وسالمكم ... إذ جاءكم فَلْيَهْنِه السِّلْم

فالإشارة هنا إلى (ظَلِيمة) التي ذكرناها آنفاً . فالبيت على هذا الأساس يجب أن يكون :

أظَليمَ إنَّ مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحيةً ظُلمُ

ويجوز في (ظليم) النصب والرفع لأنه منادى مُرخّم .

وقد اختلف الأدباء في الشخص الذي عارض المازني أمام الواثق . فمنهم مَن قال إنه يعقوب بن السِّكّيت ، ومنهم من قال إنه أبو محمد اليزيدي ، ومنهم من

قال إنه المُبرّد . وبعضهم يقول بجواز رفع كلمة (رجل) على أنها خبر لأنّ ، و (مصاباً) اسم إن ، فالمعنى يكون : إن الذي أصبتموه بما فعلتم هو رجلٌ أهدى إليكم سلامَه تحيــةً وتودداً فحقه أن لا يكون مصاباً لأنّ مَن حيّا وتودّد جديرٌ بأن يُكرَم لا أن يصابَ بمصيبةٍ فهذا الذي فعلتموه ظلم . وفي ذلك أيضاً كلامٌ كثيرٌ ، والحكاية كلُّها مذكورة بالتفصيل في كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري وفي تعليق الخفّاجي عليه .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدارِ قومٍ رَحلتَ بِخِزْيةٍ وتركْتَ عارا

شرعي راجح عوض
جزيرة فرسان
المملكة العربية السعودية



جرير

● **الجواب :** هذا البيت يقوله جرير للفرزدق . ويقول أبو عبيدة إن جريراً قال هذا البيت لأنّ الفرزدقَ نزل بامرأة ، فأضافته وأحسنت إليه ، ثم إنه ، أي الفرزدق ، راودَها عن نفسها ، فصَرَخت. فجاء الناسُ وطلبوه فهرب . فقال جريرٌ هذا البيت يُعَيّره بذلك . وقد عَيّر جريرٌ الفرزدق غيرَ مرّة ونسب إليه الفِسق . ولذلك يقال إنّ الفرزدق كان فاسقَ السلوك عفيفَ الشعر لم يَعْنَ بالتغزل والتشبيب ، في حين أنّ جريراً كان عفيفَ السلوك وفي شعره غَزَلٌ كثير ، ولكنّه كان حديدَ اللسان في الطعنِ في أعراضِ الناس لأقلّ شبهة ، وهو القائل يُخاطِب الفرزدق :

فأوقدتَ بالسِّيدانِ ناراً ذليلةً وأشهدتَ مِن سوآتِ جِعْثِنَ مَشْهَدا

وجِعْثِن هي أختُ الفرزدق ، اتّهمها جريرٌ بعِمران بن مُرّة ، ثم نَدِمَ

وبقي مدةً يستغفِر اللهُ من هذا الافتراء .

وجاء بيتُ جريرٍ المسئولُ عنه في مَعْرِض حكايةٍ أدبيةٍ طويلة ذكرها المسعودي في الجزء الثالث من « مروج الذهب » .

ومما يَدل على سلاطةِ جرير في الهجاء قول أبي نواس في الرّقاشي :

قُــلْ للرّقاشِيّ إذا جئتَه لو مُتّ يا أخْرَقُ لم أهْجُكا

دونَكَ عِرْضِي فاهجه راشداً لا تَدْنَسُ الأعراضُ مِن شِعرِكا

واللهِ لو كنتُ جريراً لما كنتُ بأهْجَى لَكَ مِن وَجْهكا



● **السؤال :** من القائل مع نبذة من حياته :

أَخزى الذي سَمَكَ السماءَ مُجاشِعاً   وبنى بناءَك في الحضيض الأسفل

بَيْتاً يُسَحِّمُ قينُكم بفِنائــه   دَنِساً مقاعِدُه خَبيثَ المَدْخَل

مخلص توما
كفريا سيف — حيفا

★

جرير

● **الجواب :** هــذان البيتان من قصيدةٍ للشاعر جرير بن عَطِيّة بن الخَطَفَى ، وهو من كليب ويكنى أبا حَزرة ، وهو من الشعراء الثلاثة المقدمين في العصر الأول من الهجرة ، والشاعران الآخران هما الفرزدق والأخطل . وقد جرى بين الثلاثة هجاءٌ طويل ، وخصوصاً بين جرير والفرزدق ، وكان جرير يفتخر بقومه كليب ، والفرزدق يفتخر بقومه دارم وبأجداده .

وفي حكاية ذكرها صاحب الأغاني أن رجلاً كان يبحث عن غلامين لرجل من دارم فرّا . فجاء الرجل إلى بعض الديار ملتجئاً من المطر . فجاءت إليه فتاةٌ وسألت : مِمّن الرجل ؟ فقال : من بني حَنظلة . فقالت : مِن أيهم؟ فقال: من

بني نهشل . فتبسمت وقالت : أنت اذن ممن عناه الفرزدق بقوله :

إن الذي سمكَ السماءَ بنى لنـــا بيتاً دعائمُـه أعزُّ وأطوَلُ

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بَنى مَلِكُ السماء فإنه لا يُنقَلُ

بيتاً زُرَارةُ مُحتَبٍ بفنائـه ومجاشِعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

فقال الرجل : نعم . فضحكت وقالت : إن ابن الخطَـفَى قد هَدَم عليكم بيتَكم هذا بقوله :

أخزى الذي رفع السماءَ مُجاشِعاً وبنى بناءَكَ في الحضيض الأسفل

بيتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكم بفِنائه دَنِساً مقاعِدُه خبيثَ المدخل

فوَجم الرجل ؛ فقالت له : لا عليك ، فإن الناسَ يُقال فيهم ويقولون . وفي القصيدة هذه بيتٌ مشهور هجا جريرٌ فيه ثلاثةَ شعراء ، وهو :

لمّا وَضعتُ على الفرزدق مِيسَمي وضغا البعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخطل

ويجري جريرٌ في هذه القصيدة على عادته في الهجاء، فإنه عادةً يبدأ هجاءه بالحنين إلى الديار والتفجع لفراقها . ولذلك فهو يقول في مطلع هذه القصيدة :

لِمَن الديارُ كأنَّهـــا لم تُحْلَلِ بين الكِناسِ وبينَ طَلْحِ الأعْزَلِ

ولقد أرَى بكِ والجديدُ إلى بِلىً موتَ الهوى وشِفاءَ عينِ المُجْتلي

ثم يقول متغزلاً :

يا أمَّ ناجِيـــةَ ، السلامُ عليكمُ قبل الرَّواح وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أن آخِر عهدكمْ يومَ الرحيل فعلتُ ما لَم أفعلِ
أوْ كنتُ أرْهَبُ وَشْكَ بينٍ عاجلٍ لَقَنِعتُ أو لسالتُ ما لم يُسألِ

والقصيدة تزيد على ثلاثين بيتاً .

وشبيهٌ بهذه الطريقة في الهجاء قصيدتُه التي مطلعها :

بان الخليطُ ولو خُيِّرتُ ما بانـا وقطّعوا من حبال الوصلِ أقرانا

وتوفي جرير بعد الفرزدق بقليل عام ١١٠ هجرية .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

كأن بني نبهانَ يومَ مُصابــه نُجوم سَماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ

حسن نبهان العلي
النيرب – حلب – سوريا

★

أبو تمّام

● **الجواب :** هذا البيت لأبي تمّام ، حبيب بنِ أوس الطـائي ، وهو من قصيدة قالها في محمد بن حُمَيد ، منها قولـُه :

وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سيفِه من الضَّرب واعْتَلَّت عليه القَنا السُّمْرُ

فأثبتَ في مُستنقَعِ الموتِ رِجْلَه وقال لها مِن تحتِ أَخْمَصِكِ الحشرُ

كأنَّ بني نبهـانَ يومَ مُصابِه نجومُ سماءٍ خَرَّ مِن بينها البَدْرُ

فلمّا سمع أبو دُلَف القصيدة قال : واللهِ لَوَدِدْتُ أنـَّها فِيَّ ، إنه لم يَمُت مَن رُثِي بهذا الشعر أو مِثلِه . وهذا شبيه بقول عَضُد الدولة حينما وقف على قصيدةِ أبي الحسن الأنباري في رثاءِ الوزير أبي طاهر .

ومن الأبيات المماثلة للبيت المسئولِ عنه ، قولُ صفية الباهلية :

كُنا كأنجُمِ ليلٍ بينهـــا قَمَرٌ يجلو الدُجى فهَوَى من بينها القَـمَرُ

ويقول أبو نُخَيلة الحِمّاني :

هَوَى قمرٌ مِن بينهم فكأنّما هَوَى البَدْرُ مِن بين النجوم الزّواهِر

ولأبي تَمّام بيتٌ آخر في رِثاء بني القَعْقَاع ، كما جاء في الأغاني :

كأنّ بني القَعقاع يومَ وفاته نجومُ سماءٍ خَرّ من بينهـــا البدر

● **السؤال** : من القائل ، وما معنى : رأيتُ بعينها ورأت بعيني ؟

رأت قمرَ السماءِ فَذَكَّرَتني ليـــاليَ قد مَضتْ بالرقمتَين
كلانـــا ناظِرٌ قمراً ولكنْ رأيتُ بعينهـا ورَأت بِعَيني

عوض بن سالم الغساني
ظفار — جنوب الجزيرة العربية

★

القاضي عياض

● **الجواب** : هذان البيتان معروفان للقاضي عياض . وقـــد اختلف المفسرون في تفسير هذين البيتين اختلافاً شديداً ، وقد جمع هـــذه التفسيرات عبد الرحيم السيوطي في كتاب خاص سمّاه (ثالث القمرين) وطبع بمطبعة النيل في القاهرة قبل ستين سنة تقريباً . وقد ألّف هو هذا الكتاب بنـاءً على طلب أحد الأدباء منه أن يُفسّر له معنى بيتي الرقمتين. ولنذكر الآن شيئاً من المقدمة لتفسير هذين البيتين . فأكثر المفسّرين يقولون إن القاضي أشار إلى قمرين : قمرٍ حقيقي وهو وجهها ، وقمرٍ مجازي وهو قمر السماء ؛ ولكنها هي لا تعرف إلا أنّ قمرَ السماء هو القَمَرُ الحقيقي وأنّ القمرَ المجازي هو وجهُها كما هي العادة في القول ؛ ولكنه هو رأى وجهَها برأي عينها هي أي إنهـا لما كانت تعتبر في نظرها قمراً حقيقياً واحداً فهو رأى هذا القمرَ بحسب نظرها هي ، فهو يَرَى

وَجْهَهَا وهو القمرُ الحقيقي ، أمَّا هي فقد رأت قمرَ السماء الذي هو يَعتبره في نظره قمراً مجازياً لا يُعادل وجهَها في الجمال . فهو إذن رأى وجهَها بأنّه هو القمر الحقيقي باعتبارها هي، ورأت قمرَ السماء الذي هو القمرُ المجازيُّ باعتباره هو. وقال الصلاح الصفدي هذا أحسنُ ما يُقال في معنى هذين البيتين. وخلاصةُ القول أنَّ وجهَها هو القمرُ الحقيقي ، وأنَّ القمرَ الحقيقيَّ هو مجازي كما تجري العادة في التشبيه المعكوس .

وقد يكون المعنى : إني رأيتُ ما رَأَتْه عينُها وهو القمرُ الحقيقي ولكنه وجهُها بحسب ما عندي ، أما هي فقد رأت ما رأتْهُ عيني وهو القمر المجازي ولكنَّه القمرُ الحقيقي بحسب ما عندها . وهذا من قبيل المبالغة .

وفي بعض التفسيرات الصوفية أنَّ هذا دليلٌ على الفناء والانمحاء ، بمعنى أن قمرَ السماء من عُشّاق محبوبته وأنها رأته ذاتَ ليلةٍ فكسته برؤيتها له نورَ جمالها وألقت عليه شبهها وأعارته اسمَها ، فانـمَحَت حقيقته في حقيقتها ، فذكَّرت هذا العاشق لياليَ وصلها في الرقمتين إذ كانت بوصالها له أفنَتْه عن صفاته وَغلَبت بصفاتها حتى صارت معه كالقمر الواحد ، وانمحى رسمُه في رسمها حتى صار معها شيئاً واحداً وهو قمر ، ولهذا قال : كلانا ناظرٌ قمراً واحداً تعدَّد مَظهرُه ، لكنها تنظره بعينه وهي عين المحبة ، فإن المحبَّ صار محبوباً ، وهو ينظره بعينها لأنها أعارته عيناً رآها بها فكان البصيرُ لها نفسَها ، على حدّ قول الشاعر :

بِكُمُ أَتَّحَدْتُ هَوىً فلو حَيَّيتُكم قلتُ السلامُ عليَّ إذا أنتمْ أنا

وفي تفسيرٍ بكلامٍ آخر أنَّ القائلَ كان يَنْظُرُ إلى محبوبته وهي تنظر إلى قمر السماء ، فهي تنظُرُ إلى القمر حقيقةً وهو لفرط الاستحسان يَرَى أن وجهَها هو القمرُ الحقيقي فقد رأى بعينها وهي تنظر الحقيقةَ وهو ينظر إلى وجهِها ولكنه لفرط الاستحسان يرى أن قمرَ السماء الذي تنظر إليه هي هو

المجاز ، فهي ترى قمرَ السماء أنه قمرٌ مجازي بحسب رأيه ، فكأنها ترى بعينه .

وأذكر هنا تفسيراً آخر بعبارة أخرى . وهو أن القائل يعتقد في قمر السماء أنه قمر مجازي بالنظر إلى حسن الفتـاة وأنها هي القمر الحقيقي بالنظر إلى كمال حسنها ، فعينها الناظرة إلى قمر السماء هي عينُه فهي تنظر قمراً مجازياً ، وعينُه الناظرة إلى الفتاة هي عينها فهو ينظر قمراً حقيقياً ، فهو إذن ينظر بعينها وهي تنظر بعينه .

وقد ذكرتُ في أول الجواب أن البيتين هما للقاضي عياض ولكنّ بعضَ المحققين يرى الصوابَ أنّ هذين البيتين هما لشرف الدين وزير الملك المظفر .



● **السؤال :** من القائل :

لا تَخْطُبَنّ سوى كريمةِ مَعشرٍ فالعِرق دسّاسٌ من الطرفين

ثابت بن مبارك بن حيدره
جاما – الصومال

★

نجم الدين الوارسي

● **الجواب :** هذ البيت لنجم الدين الوارسي ذكره الصفدي في شرح لامية العجم في معرض الكلام عن المَغْلَطة في المنطق بسبب كَذِب إحدى المقدمتين في القضية المنطقية ، والبيتُ يأتي مع بيتٍ آخر هو بيتُ القصيد في الكلامِ عن المنطق ، فالبيتان هما :

لا تَخْطُبَنَّ سوى كريمةِ معشرٍ فالعِرْقُ دسّاسٌ من الطرفينِ
أوَ لستَ تنظر في النتيجةِ أنّها تَبَعُ الأَخسِّ من المُقدَّمتَيْنِ

ومن ذلك مثلاً المغلطةُ التاليةُ في القضية المنطقية : الوَتِد في الحائط والحائطُ في الأرض ، فالوتد في الأرض . وهذا غير صحيح . أمّا لو قلنا :

الدراهم في الكيس والكيس في الصندوق ، فالدراهم في الصندوق ، لـكانت النتيجة صادقة . فالنتيجةُ تكون كاذبةً أو صادقة بحسب كَذِب إحـــدى المقدمتين أو صِدقِها . وفي هذا بحث طويل . ولكنّ المعنى المقصودَ في البيتين هو أنك إذا خطبتَ امرأةً ، فلتكن المرأةُ كريمةً من الطرفين لأنهـــا إذا فسَد أحدُ الطرفين ، فَسَدَت المرأة .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

تنَصَّرَتِ الأشرافُ من عارِ لَطمةٍ ... وما كان فيها لو صَبَرتُ لها ضَرَرْ

تكنَّفني فيها لَجـاجٌ ونَخوةٌ ... وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرِ

حسين عبد الرحمن البيضي
ملندي – كينيا



جَبلة بن الأيهم

● **الجواب :** لهذين البيتين حكايةٌ جرت مع جَبَلة بن الأيهم آخرِ ملوك غسان مع رجلٍ من فزارة . فقد حَضَر جَبَلةُ الموسِمَ مع عُمَرَ بنِ الخطاب، وفرح المسلمون بإسلامه . فبينما هو يطوف بالبيت ، إذ وَطِىء على إزاره رجلٌ من فزارة ، فانحل الإزار ، والتفت جَبَلةُ إلى الفَزاري مُغضَباً فلطمه وهَشم أنفَه ، فاستعدى الفزاريُّ عُمَرَ عليه . فقال له عمر : ما دعاكَ إلى أنْ لطمتَ أخاك ؟ فقال : وَطِىء إزاري ، ولولا حُرمةُ هذا البيت لأخذتُ الذي فيه عيناه (أي قطعتُ رأسَه) . فقال له عمر : أمّا أنتَ إذ أقررت ، فإمّا أنْ تُرضيَه وإمّا أن أُقيدَه منك . فقـال جبلة : أتُقيدُه مني وهو رجـلٌ سوقة . قال عمر : قد شمَلك وإياه الإسلام فما تفضُله أنت إلاّ بالعافيـة . قال جبلة : قد رجوتُ أن أكونَ في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية . فقال عمر:

هو ذاك . فقال جَبلة : إذن أتَنَصَّرَ . قال : إن تنصرتَ ضربتُ عُنُقَكَ . واجتمع وَفْدُ فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة . فقال جبلة : أنظِرْني إلى غدٍ يا أميرَ المؤمنين . قال عمر : ذلك إليك . فلما كان من جُنح الليل خرَجَ جَبَلَةُ في أصحابه إلى القسطنطينية فتَنَصَّر . ثم إن عمرَ بنَ الخطاب أرسل رسولاً منه إلى هِرَقل يدعوه إلى الإسلام ؛ وذهب الرسولُ لرؤية جَبَلة فوجده في نعيمٍ عظيم ووجد على أبوابه الخدمَ والحجابَ مثل ما على أبواب قيصر . وكان عنده من الأموال والذهب والفضة الشيءُ الكثير . وأحضَر جبلةُ الجواريَ فغَنَّيْن أمامَ رسولِ عمرَ بنِ الخطاب بشعر حسان :

لِلهِ دَرُّ عِصابــــةٍ نادمتهم يوماً بجِلِّقَ في الزمانِ الأول

إلى آخر الأبيات . فضحك جبلةُ ومَن معه . ثم غنت الجواري بشعرٍ آخر لحسان فبكى جبلةُ ، ثم أنشأ يقول :

تَنَصَّرَتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كان فيها لو صَبَرتُ لها ضَرَرْ
تَكَلَّفني فيهــا لَجَاجٌ ونخوةٌ وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ
فيــا ليتَ أمي لم تَلِدْني ولَيْتَني رَجعْتُ إلى الأمرِ الذي قال لي عُمَرْ
ويا ليتني أرعى المَخاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعةَ أو مُضَرْ
ويا ليتَ لي في الشام أدنى معيشةٍ أجالِسُ قومي ذاهِبَ السمعِ والبصرْ

وفي هذا الشعر إعرابٌ عن نَدَمه في حادثته مع الفزاري .

● **السؤال** : من القائل وما المعنى :

أطالـــع كُلَّ ديوانٍ أراه ... ولم أزْجرْ عن التضمين طَيْري
أَضمِّنُ كُلَّ بيتٍ فيه معنى ... فشعري نصفُه مِن شعر غيري

المنصِف الجُهَيناوي
القيروان – تونس

★

مجير الدين بن تميم

● **الجواب** : هذان البيتان لمجير الدين محمد بن تميم ، وكان كثيرَ التضمين في شعره ، أي إنه كان يُدخِل في شعره شعراً من غيره كقوله مثلاً :

تَعِبْتُ حتى جَوادي لا حَراكَ به ... يكاد من هَمْزِهِ بالرَّكض يَنْخَـذِم
فلا يَغُرَّنْكَ منـــه شَبُّه غَلَطاً ... (إنَّ الجوادَ على عِلاّتِه هَرِمُ)

فإن عَجُزَ البيت : (إنَّ الجواد على علاته هَرِمُ)هو لزهير بن أبي سلمى في مدح هَرِمِ بن سنان . وقد أورد الصفدي في شرح لاميـــة العجم أمثلةً عديدة من تضمينات مجير الدين محمد بن تميم هذا . وعبارة (لم أزْجُر عن التضمين طَيري) معناها أنه لم يمنع الطيرَ التي تمرُّ به أن تأتيَ له بالتضمين الشعري ، كما كانت العرب

تزجر الطير فإذا مرّت عن يسارهم كان لهم نَحْس ، وإذا عن اليمين كان لهم سعدٌ ، وكما قال المُقَنّع الكندي :

وإن زَجروا طيراً بنحسٍ تَمُرُّ بي ... زَجرتُ لهم طيراً تمرُّ بهم سَعْدا

فكأنّ مجيرَ الدين يقول إنني استلهم الشعرَ من غيري ، كما يُستَلْهَم السَّعْدُ من زَجْرِ الطيرِ ، فأنا إذا زَجَرْتُ طيري أزْجُره بحيث لا يأتي إلاّ بالتضمين ، ولا أزْجُرُه بحيث يأخذ اتجاهاً آخر .



● **السؤال :** ما معنى : « سَبَقَ السيفُ العَذَلَ » ؟

شرفي أحمد نعيم

حنشلة ـ عمالة باطنة ـ الجزائر

*

سبَق السيف العَذَل

● **الجواب :** هذا مَثَلٌ مشهور ، ومعناه أنَّ السيفَ قد سَبَقَ الملامَة .

وأوَّلُ من قال هذا المثل هو ضَبَّةُ بنُ أدِّ المُضري؛ وكان له إبنان، اسمُ أحَدِهما سَعدٌ واسمُ الآخر سُعَيْد . فحدَثَ أن إبِلاً لِضَبَّةَ نَدَّت أو نفَرت في أثناء الليل،فأرسل ابنَيْه في طلبها ، فوَجَدها سعدٌ،فاحتاشها وردها ؛ ومَضَى سُعَيْدٌ يبحث عنها في طريقٍ أُخرى. فلَقِيَه الحارِثُ بنُ كعبٍ ، وكان على سُعَيْدٍ بُردان ، فسأله الحارِث إيّاهما فأبى عليه فقتله وأخذهما . وكان ضَبَّةُ قد افتقد ابنيه ، فكان إذا رأى في الليل سواداً قال: أَسعْدٌ أم سُعَيد ، فذَهبَ قولُه هذا مثلاً .

وَمَكَثَ ضبَّةُ بعد ذلك مدةً من الزمـــان . ثُمَّ حجَّ . فلمّا وافى عُكَاظ لَقِيَ بها الحارثَ بنَ كعب قاتلَ ابنه ولم يكن يَعْرِفه . ولكنّه رأى عليه بُرْدَي ابنِه سُعَيد فعَرَفهما ، فقال له : هل أنتَ مُخْبِري مـــا هذان البُردان ؟ فقد أعجبني مَنْظَرُهما . قـال : لقيتُ غلامـــاً وهما عليه ، فسألتُه إيّاهما ، فأبَى عليَّ فقتلتُه وأخذتُهما . فقال له : أبِسَيْفِك هذا ؟ قال : نعم ! قال : ألاَ تُرِيني إيّاه ، فإني أظنّه صارماً . فأعطاه إيّاه. فلما أخذَه هَزَّه وقال : إنّ الحديثَ ذو شجون . فذَهب قولُه هذا مثلاً .

ثُمَّ ضرَبَه به فقتله . فقيل له : يا ضبَّةُ ، أتقتُلُ في الشهرِ الحرام ؟ فقال : سَبَقَ السيفُ العَذَلَ .

وذكرنا في الجزء الثاني من « قول على قول» طائفةً من الأقوال الشعرية وغير الشعرية عن هذا المثل. ونذكر هنا حكاية وردت في كتاب «المحاسن والأضداد» المنسوب إلى الجاحظ ، وهي أن أولَ من قـــال : « سبق السيفُ العَذَل » ضَمْضَم بن عمرو اللخمي وكان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة ، فأبت عليه ؛ وطلبها عزيز بن عُبيد بن ضَمضمة فأتته وتأبّت على ضمضم وكان ضمضم من أشدّ قومه بأساً فاغتَاظ لذلك، وانطلق ليلةً من الليالي وهو متقلّد سيفَه حتى صار بمكان يراهما إذا اجتمعا ولا يريانه . فلمّا نام الناس وطـــال هدوء ضمضم إذا بالعزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول :

أَمامُ تُواتيني وتأبى بنفسهـا على ضَمْضَمٍ تَعساً ورغماً لِضَمْضَم

وضمضم يسمع . فنزل العزيز وربط فرسه وعَمَد إلى ناحية خبائها فصَدح صدوحَ الهام وكان ذلك آيةً بينهما فخرجت إليه فعانقها وضمضم ينظر ثم خلا بها.

فلمّا رآهما ضمضم على هذه الحال مشى إليهما بالسيف وهو يقول :

سَتَعلم أني لَستُ أَعْشَقُ مُبْغَضاً فكان بِنا عنها وعنكَ عزاء

وهجم على العزيز وقتله . فعلم القوم بما فعل ضمضم فأخذوه وعرضوه للقتل وجعلوا يلومونه على قتل ابن عمه فكان يقول : سبق السيف العذل .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة ، وهل الهاء هي هاء السكت أم هاء الضمير ؟

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبوح يَلُمْنَني وأَلُومُهُنَّـــهْ

ويَقُلْن شَيْبٌ قد علاك وقد كَبِرتَ فقلتُ إنَّهْ

أزاز محمد
أولاد بالرحيل – المغرب

*

عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات

● **الجواب :** هذان البيتان للشاعر عبدِ الله بنِ قيس الرُّقَيَّات ، ولقب بالرقيات لأنه كان يتغزل بنسوةٍ اسمُ كُلِّهن (رُقَيَّة) ، ويقول بعد البيتين :

ولقد عَصَيْتُ الناهيـــاتِ الناشزاتِ جُيُوبَهُنَّهْ

حتى ارْعَوَيتُ إلى الهداية ، ما ارْعَوَيْتُ لِنَهْيِهِنَّهْ

أما الهاء الواردةُ في كلمةِ إنّه في قوله :

ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلاَكَ وقد كَبِرْتَ فقلتُ إنَّـــهْ

فقد قال بعضُهم إنّ (إنّ) هنا معناها (نعم) والهاء للسكت ، خلافاً لأبي عبيدة ، وأنكر ذلك البعضُ الآخر وقال إن (الهاء) هنا ليست للسكت وإنما هي ضميرٌ ، وهي اسمُ إنّ منصوبٌ بها والخبرُ محذوف أي إنّه كذلك . ولكنّ الأغلبَ أن تكون (إنّ) هذه بمعنى (نعم) والهاء للسكت ، كما استدلوا على ذلك بقول عبدِ الله بن الزُبَير (أو الزّبير) : لَعَنَ اللهُ ناقةً حَمَلتني إليك إنّ وراكبَها . أي : لعن اللهُ ناقةً حملتني إليك ! نعم ولَعَن راكبَها . ويقول القالي في أماليه إن معنى كلمة (إنّهْ) هو نَعَم . وهذا البحث موجود في « مغني اللبيب » .

● السؤال : من القائل وفي أية قصيدة :

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَدا وبِتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّدا

حسن خليل أبو النور
أرفو – السودان

★

الأعشى

● الجواب : هذا البيت للأعشى الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام ، ووفد على النبي ﷺ ، وأبوه قيس يُكنى بقتيل الجوع لأنه دخل غاراً فوقعت صخرةٌ من الجبل فسدّت فمَ الغار فمات جوعاً . وهو أول من استجدى بالشعر ، وكانوا يسمونه صَنّاجةَ العرب لجودة شعره ؛ وكان قد عَمِيَ في آخر عمره . وهو من جملةِ سبعةَ عشر شاعراً يلقبون بالأعشى ، وكان يُسَمّى بأبي بصير بعد أن عمي . وكان الأعشى يَفِد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ، ولهذا كثرت الألفاظُ الفارسية في شعره . ولمّا رحل إلى النبي في آخر عمره سأله بعضُ كفار قريش عمّا يريد بعد أن أهدَوا إليه هديةً يريدون أن يَكُفّوه عن الذهاب إلى النبي ، فقال : جئت إلى محمد ، فقالوا له : إنه يُحَرِّم الزِنا والخمرَ

والقِمار ، فقال أمّا الزنا فقد تركني ولم أتـرُكـه ، وأما الخمرُ فقد قضَيت منه وَطراً ، وأما القِمارُ فلعلّـي أصيب منه عِوضاً ، فاحتالوا في صرفه عن وجهه بأن جمعوا له مئةَ ناقةٍ حمراءَ . فبينما هو في بعض الطريق إذ نفَرت به دابته فقتلته . وكان قد صنع قصيدةً بمدح الرسول أولـُها :

ألم تَغتمض عيناكَ ليلةَ أرْمدا   وعادك ما عاد السليمَ المُسَهَّدا

ويقول فيها :

وآليتُ لا أرْثي لها مِن كَلالةٍ   ولا مِن حَفىً حتى تُلاقي مُحَمَّدا
نبيٌّ يرى ما لا يَرَوْن وذِكرُه   أغار لعمري في البلاد وأنجـــدا
متى ما تُناخِي عند باب ابن هاشمٍ   تُراحِي وتَلقَيْ من فواضله نَدَى

فلمّا سمع النبيُّ القصيدة قال : كاد ينجو ولمّا .

والأعشى يُعرَف بالأعشى الأكبر ، ويقال أنه أستاذُ الشعراء في الجاهلية كما يُقال عن جرير إنه استاذُهم في الإسلام . وله ثلاثةُ أبيات يقال إنها أغزل الأبيات وأخنثها وأشجَعها . فأغزلُ بيتٍ قولـُه :

غرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارِضُها   تمشي الهُوَينا كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

وأخنثُ بيتٍ قولـُه :

قالت هريرةُ لمّا جِئتُ زائرَهـا   ويلي عليك وويلي منكَ يا رَجُلُ

وأشجع بيتٍ قولـُه :

قالوا : الطِّرادُ فَقُلنا تلك عادتُنا أو تَنْزِلون فإنّا مَعْشَرٌ نُزُل

وجميعُ هذه الأبيات من قصيدةٍ واحدة ، مطلعها :

وَدِّع هريرةَ إن الركبَ مرتحلُ وهل تُطِيق وَدَاعاً أيُّها الرجلُ

وذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وتقع القصيدة التي منها البيت المسئولُ عنه في قريب من أربعة وعشرين بيتاً.



● **السؤال :** ما هي خطبة الغدير ، وفي أي موضع ألقيت وما مضمونها ؟

عباس عبد السلام

المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية

★

خطبة الغدير

● **الجواب :** خطبة الغدير خطبة خطبها الرسول ﷺ في غداة ليلة الغدير على أقتاب الإبل ، وكانت في غدير ُخمّ ، وقال في هذه الخطبة : مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه ، وانصُر مَن نصَره ، واخذُل مَن خذَله . وقد ذكر ابن طباطبا غداة الغدير في أبيات له قالها للوسمي :

يا مَن يُسِرُّ لِيَ العداوةَ أبدِها واعمِد لمكروهي بجَهْدِك أو ذَرِ

لله عندي عــادةٌ مشكورةٌ فيمن يعاديني فــلا تتحيَّرِ

أنا واثِقٌ بدعاء جَدي المصطفى لأبي غداةَ غدير ُخمٍّ فاحذَرِ

واللهُ أسعدَنا بإرثِ دعائــه في مَن يعادي أو يوالي فاصبرِ

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

يا هِرُّ فارَقْتَنا ولم تَعُدِ   وكنتَ عندي بمنزلِ الوَلَدِ

محمود الأسمر
ألمانيا الغربية
(والأصل من نابلس في الأردن)

★

هِرُّ العلاّف

● **الجواب :** هذا البيت هو مطلع قصيدة عددُ أبياتها خمسةٌ وستون بيتاً قالها الشاعر أبو بكر بن العَلاّف الضرير في هِرٍّ كان له ، وكان الهرُّ يدخل أبراجَ الحمام التي لجيرانه ويأكُلُ فِراخها ، وكَثُر ذلك منه ، فأمسكه أصحابُ الحمام وقتلوه ، ورثاه بهذه القصيدة . ويقال إن ابنَ العلاف رثى بهذه القصيدةِ عبدَالله بنَ المعتز ، وخَشِيَ من الإمامِ المُقْتَدِر أنْ يَتَظاهَرَ بها لأنه هو الذي قتله ، فنَسبها إلى الهر . وقيل إنَّ ابنَ العَلاّف كَنَى بالهر عن المُحْسِن بن الفرات أيامَ محنته ، لأنه لم يَجْسُر أنْ يَذْكُرَه ويَرثيه .

وذكر صاعِدُ اللغَوي أنْ أبا الحسن المَرْزُبَاني قال : هَوِيَتْ جاريةُ لعلي بن عيسى غلاماً لأبي بكر بن العلاف ، فَفُطِن بهما فقُتِلا جميعاً، وسُلِخا، وحُشِي جلداهما تبناً . فقال ابنُ العلاف هذه القصيدةَ يَرْثي بها غلامَه ، وكَنَى عنه بالهر .

يقول ابن العلاف في مطلعها :

يا هِرُّ فارَقْتَنا ولم تَعُدِ ... وكنتَ عندي بِمَنْزِلِ الولدِ

ثم يقول عن الهر :

تَطْرُد عنا الأذَى وتَحْرُسُنا ... بالغَيب من حَيَّةٍ ومن جُرَذِ

وتُخْرِج الفارَ من مكامنها ... ما بين مَفْتُوحِها إلى السُدد

حتى اعتقدتَ الأذَى لجيرتِنا ... ولم تَكُنْ للأذى بمُعْتَقِد

تَدْخلُ برجَ الحمام مُتَّئِداً ... وتَبْلَعُ الفرخَ غير متئد

وتَطْرَح الريشَ في الطريق لهم ... وتَبْلَعُ اللحمَ بلعَ مُزْدَرِدِ

فلم تَزَل للحَمَامِ مُرتَصِداً ... حتى سُقِيتَ الحِمامَ بالرَّصد

لم يَرْحموا صوتكَ الضعيفَ كما ... لم تَرْثِ منها لصوتِها الغَرِدِ

ثم يقول :

ألم تَخَفْ وَثْبَةَ الزمان كما ... وَثَبْتَ في البرجِ وَثْبَةَ الأسد

عاقبةُ الظلم لا تنام وإنْ تأخرتْ مدةً من المُدد

أرَدْتَ أن تأكلَ الفراخَ ولا يأكُلَكَ الدهرُ أكلَ مُضْطَهِد

لا بارك الله في الطعامِ إذا كان هَلاكُ النفوسِ في المِعَد

كم دَخلَتْ لقمةٌ حشا شَرِهٍ فأخرَجتْ روحَه من الجسدِ



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ضاقتْ فلما استحكمتْ حلَقاتُها   فُرجتْ وكنت أظنها لا تُفْرَجُ

خليفة عمر البكباك

مصراتة - ليبيا

★

ابراهيمُ بنُ العَبَّاس الصُّولي

● **الجواب:** هذا البيت منسوب إلى ابراهيم بن العباس الصُّولي من بيتين هما:

وَلَرُبَّ نازِلةٍ يَضيقُ بها الفتى   ذَرعاً وعند الله منها المَخْرَجُ

ضاقت فلما استحكمتْ حلَقاتُها   فُرِجتْ وكان يَظُنها لا تُفْرَجُ

وقال القاضي شمسُ الدين أحمد بن خلكان في وَفيات الأعيان إنه ما رَدَّدَهما مَن نزَلت به نازلةٌ إلا فرَّج اللهُ عنه . ومما هو قريبٌ من ذلك قولُ محمد بن وُهَيْب برواية مُعجَم الشعراء للمَرْزُباني :

أَبى ليَ إغضاءَ الجفونِ على القَذَى   يَقينيَ أنْ لا ضيقَ إلاَّ سيُفْرَجُ

ألاَ ربما ضاق الفضاءُ بأهله   وأمكن من بين الأسنةِ مَخْرَجُ

ويقول محمد بن مَخْلَد أو محمد بن بشير :

كم من مَضيقٍ في الفضاء　　ومَخْرجٍ تحت الأسنهْ

ويقول ديز بن عبدالله أو الأضبط بن قُرَيْع :

لِكُلّ ضِيقٍ من الأمور سَعَهْ　　والصُبحُ والُمسْي لا بقاء معه

ويقول أمية بن أبي الصلت ، وهو مشهور :

لا تَضيقَنَّ في الأمور فقدْ تُكْشَفْ غَماؤُها بغير احتيالِ

رُبّما تكره النفوس من الأمرِ له فَرجة كَحَلِّ العِقال

والشافعي يقول :

إذا ضاق رزقُ اليوم فاصبر إلى غدٍ　　عسى نكباتُ الدهر عنكَ تَزولُ

وفي كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاضي التنوخي وفي غيره من الكتب أشعار كثيرة بهذا المعنى .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

أَوْقِدْ فإن الليلَ ليـــلٌ قَرٌّ ... والريحُ يا غـــلام ريح صَرٌّ
عسى يَرى نارَكَ مَن يَمُرُّ ... فإن جَلَبتْ ضَيفاً فأنت حُرٌّ

حسن دخيل حمادي
الكوفة — العراق



حاتم الطائي

● **الجواب :** هذان البيتان للشاعر المشهور حاتِمِ الطائي ، والنـــارُ التي يُريد من غلامه ايقادَها هي نارُ القِرى ، وكانت النيرانُ عند العرب على أنواع ، منها : نار الوَسْم ، ونار الاستسقاء ، ونار التحالف ، ونار القيد ، ونار الحرب ، ونار الغدر ، ونار السلامة ، ونار الراحل ، ونار الأسد إلى آخره ... ولكنْ أولَ النيران نارُ القِرَى .

وكان حاتمٌ الطائي له غُلامٌ ، كان يأمُره بإيقاد النار حتى يراها الضيفُ ، فيأتيَ إليها . وهذه العادةُ كانت من أفضل وأمجدِ عاداتِ العرب ، وتَغَنّى الشعراءُ بها في الجاهلية كثيراً .

وقد ذَكَرتُ في مناسبةٍ سابقة أشعاراً كثيرة عن نار القِرى وكيف كان العربُ يُوقِدونها إيقاداً شديداً حتى يراها الضيف ، وكانوا ، إذا أوقدها الأجوادُ منهم ، يُوقِدونها على مرتفعٍ من الأرض . وكانوا يَذُمون النارَ الضعيفةَ التي لا تُرى من بعيد ، وشبهوها بنار الحُباحِب أو نارِ دودةِ الليل .

وحاتمٌ ، هو ابنُ عبد الله بن سَعْدٍ الطائي ، وكُنْيَتُه أبو سَفَّانة وأبو عَدِيّ ، لأن ابنتَه كان اسمُها سفَّانة ، وابنَه الأكبرَ اسمُه عَدِي .

وأجوادُ العرب في الجاهلية ثلاثــة : حاتمٌ الطائي ، وهَرِم بن سِنان (الذي مدحه زهيرُ بن أبي سُلمى) وكعبُ بنُ مامَة ؛ وحاتمٌ أشهرُهم ذِكراً .

وحُكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال يوماً : سُبحانَ الله ، ما أزْهَدَ كثيراً من الناس في الخير ! عَجَباً لرجل يجيئُه أخوه المسلم في حاجةٍ فلا يَرَى نفسَه للخير أهلاً ، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً لكان ينبغي له أن يُسارِعَ إلى مكارم الخيرات ، فإنها تَدُل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجلٌ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين، أسَمِعْتَه من النبيِّ ﷺ ؟ قال: نعم . لمَّا أُتِي بسبايا طيِّء ، وَقفَتْ جاريةٌ عَيْطاء لَعْساء (والجارية هي الفتاة أو الصبيّة ، والعَيطاء طويلة الجيد ، واللعساء هي التي شفتها تضرب إلى السواد) ؛ فلمَّا رأيتُها أعْجِبتُ بها ، وقُلتُ : لأَطلُبَنَّها من النَّبي . فلمَّا تكلَّمَتْ أنسِيتُ جمالَها بفصاحتها . فقالت : يا مُحمَّد (تخاطب النبي) ! إنْ رأيتَ أنْ تُخَلِّيَ عني ، ولا تُشَمِّتَ بي أحياءَ العرب ، فإني ابنةُ سيدِ قومي ، وإنَّ أبي كان يَفُكُّ العانِيَ (وهو الأسير) ويُشْبِعُ الجائعَ ، ويكسو العاريَ ، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجةٍ قط . أنا ابنةُ حاتم الطائي .

فقال النبي ﷺ : يا جاريةُ ، هــذه صفةُ المؤمن ، ولو كان أبوكِ مسلماً ،

استرحمنا عليه . خلّوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارمَ الأخلاق .

وحكايات حاتم الطائي في الجود كثيرة وهو شاعر مجيد ، ومن أشعاره قوله :

شَربنا بكأس الفقر يوماً وبالغِنى   وما مِنهما إلاَّ سقانا به الدهرُ
فما زادنا بَغياً على ذي قرابةٍ   غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ

ويقول :

أعاذلُ إن المالَ غيرُ مُخَلَّدِ   وإنَّ الغِنى عاريَّةٌ فَتَزَوَّدِ
وكم من جوادٍ يُفْسِدُ اليومَ جودَه   وساوسُ قد ذكَّرنَه الفقرَ في غدِ
وكم لِيمَ آبائي فما كَفَّ جودَهم   مَلامٌ ، ومن أيديهِمُ خُلِقتْ يدي

ومن الأشعار المشهورة في النار وإيقادها للضيفان . .

يقول الحطيئة :

مَتى تأتِه تَعشو إلى ضوء نارهِ   تَجِد خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقِدِ

ويقول مِهيار الديلمي :

ضَرَبوا بمَدْرَجةِ الطريق خِيامَهم   يتقارعون على قِرَى الضيفان
ويكاد مُوقِدُهم يَجود بنفسِه   حُبُّ القِرَى حطَباً على النيران

ويقول أبو دُؤاد الإيادي :

أكُلَّ امرِىءٍ تحسَبين امرءاً   وناراً تُحَرَّق بالليل نارا

والنارُ الضعيفة التي تدل على البخل كانت تُسمَّى ، بنار الحُباحِب . ومن

ذلك قولُ عبد الصمد بن المُعَذّل يَذُم أخاه :

لَيتَ لي منكَ يا أخي جــارةٌ من مُحارب
نارُهــا كُلَّ شتــوةٍ مثــلُ نار الحُباحِب

وهو يريد بهذه الجارة جارةَ القُطامي الذي يقول فيها :

إلى حَيزبونٍ تُوقِد النارَ بعدما تَلَفَّفَت الظلماءُ من كل جانب
فلما تنازعنا الحديثَ سأَلتُها عن الحيّ قالت مَعْشرٌ من مُحارب
ألا إنما نيرانُ قومي إذا شَتَوْا لطارقِ ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحِب

ويقول أبو زيادٍ الأعرابي في ضد ذلك :

له نارٌ تُشَبُّ على يَفَــاعٍ إذا النيرانُ أُلبِسَتِ القِنَاعــا
فلم يَــكُ أكثرَ الفتيان مالاً ولكنْ كان أرْحَبَهمْ ذِراعــا



● **السؤال** : من القائل :

له يومُ بؤسٍ فيه للناس أبؤسٌ ... ويومُ نعيمٍ فيه للناس أنْعُمُ
فَيَمْطُرُ يومَ الجود من كفه النَّدَى ... ويَمْطُرُ يومَ البؤس من كَفِّه الدمُ

مسعود ممدوح مسعود
جت - حيفا

★

حُسَين بن مُطَيْر

● **الجواب** : هذان البيتان للشاعر حُسَيْن بن مُطَيْر ، من جملة أبيات في الفضل بن يحيى البرمكي وهي :

رأى اللهُ للفضل بن يحيى فضيلةً ... ففضَّله واللهُ بالناس أعلمُ
له يومُ بؤسٍ فيه للناس أبؤسٌ ... ويومُ نعيمٍ فيه للناس أنعم
فَيَمْطُرُ يومَ الجود من كفِّه الندى ... ويَمْطُرُ يومَ البؤس من كفِّه الدم
فلو أنَّ يومَ البؤس خَلَّى عِقابَه ... على الناس لم يُصْبِح على الأرض مُجرم
ولو أنَّ يومَ الجود خلَّى نوالَه ... على الأرض لم يُصْبح على الأرض مُعْدِم

والإشارةُ هنا إلى يوم البؤس ويوم النعيم أصلُها أنَّ النُعمانَ بنَ المنذر كان له يومُ بؤسٍ ويومُ نعيمٍ ، فإذا جاءه أحدٌ يومَ البؤس قتله أو عذّبه ، وإذا جاءه يومَ النعيم أكرمه .

ويقول أبو فراس الحمداني :

له يوم بؤسٍ فيه للناس أبؤس ويومُ نعيمٍ فيه للناس أنعمُ
فلو أنَّ يومَ البؤس جرَّد سيفَه لِقتلِ العدى لم يَبقَ في الأرض مُجْرِمُ
ولو أنّ يومَ النعم أطلق كفَّه لِبَذلِ الفِدى لم يَبْقَ في الأرض مُعْدِمِ

ويقول مَروان بن أبي حَفصَة :

تَشابه يوماه علينا فأشكلا فلا نحن نَدْري أيُّ يوميه أفضلُ
أيومُ نَداه الغَمْر أم يومُ بَأْسِه وما منهما إلاّ أَغرُّ مُحَجَّلُ



● السؤال : هل عمر الخيام عجمي أم تركي ؟

الدكتور كال إينال
أضنة – تركيا

★

عمر الخيام

● الجواب : نجيب عن هـذا السؤال ، ولو أنّ موضوعه خارجٌ عن موضوعاتنا العادية ؛ ولكن لمّا كانت رباعيات عُمَرَ الخيام قد تُرجمت إلى اللغةِ العربية ، وانتشر اسمُه بين قُرّاءِ العربية ، فإننا نرى أن ذلك يُقرّبُه من مجال الأدب العربي .

عُمَرُ الخيام فارسيُّ الأصل ، وليس في هذا خلاف . إلا أنه يُقال إن أباه كان عربياً فقد وُلد في بلدة نيشابور في خراسان في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي ، وتُوُفّيَ أيضاً في البلدةِ نفسِها في أواخر الثلث الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، بعد أن عاش طويلاً .

وكان عُمرُ الخيام شاعِراً ورياضياً وفلكياً . أمّا شِعْرُه فأكثرُ مـا اشتهر برباعياتِه التي ترجمها ترجمةً انكليزيةً بديعةً الشاعِرُ الانكليزي Edward Fitzgerald ، ويُقال إن الترجمةَ أجملُ من الأصل . وأصلَحَ عُمَرُ الخيام التقويمَ إصلاحاً حسناً ، وألّف كتاباً في الجبر تُرجِم إلى اللاتينية وعُرِف في أوروبا .

وكان عمرُ الخيام في أول عهده تلميذاً للإمام مُوفَّق النيسابوري ، ووَجَد عند المُوفَّق تلميذين آخرَيْن من سِنّه ، وهما نظامُ المُلك وحسَن بن الصبّاح . وفي أحدِ الأيام قال حسن بن الصبّاح لزميليه نظام الملك وعُمَرَ الخيام أنْ يَنْذُرَ كلٌّ منهُم على نفسِه ، بأنَّ مَن يَنَال السعادةَ في حياته يجب أنْ يُشارِكَ زميليْه فيها على التساوي . واتفق الجميعُ على ذلك .

ومَضَت السنون، إلى أنْ تعيّنَ نظامُ الملك وزيراً للسلطان ألْب أرْسلان. فجاء إليه عُمَرُ الخيام وحسن بن الصبّاح ، وطلبا منه أن يُشاركاه في نِعمته. وطلب حسن بن الصباح مَنْصباً له في الدولة ، فأعطاه نظام الملك ما طلب ؛ ولكنّه أخذَ يَدُسُّ الدّسائسَ لإخراج نظام الملك من الوزارة والحُلُول محلّه ، فعُزِل من منصبه . وبعد ذلك استولى على قلعة عَلامَوت إلى الجنوب من بحر الخزَر ، وقاد حركةً هدّامَة ، وتمكّن من اغتيال صديقهِ القديم نظام الملك .

أمّا عُمَرُ الخيام فلم يأتِ إلى نظام الملك ليطلبَ مَنْصِباً أو لقباً ، وإنما طلَب أنْ تكونَ له زاويةٌ ينزوي فيها ويتابعَ دراساتِه بهدوءٍ واطمئنان. فكان له ما أراد وأجرى عليه نظام الملك مُرَتّباً سنوياً وافياً . وتُوُفّيَ في نيسابور ودُفِن فيها .



● **السؤال** : من القائل :

لا ناقةَ لي في هذا ولا جَمَل .

مُحمّد عبد المحسن
بغداد – العراق

★

لا ناقة لي فيها ولا جمل

● **الجواب** : هذا مَثَل من أمثال العرب المشهورة . وأصلُه أن امرأةً تسمى الصَّدوفَ العُذْرِيّة كانت زوجةً لزيدِ بنِ الأخنس العُذْري ، وكانت له بنتٌ من غيرِها تسمى الفارعة ، وكانت تسكن بمعزلٍ عن امرأةِ أبيها في خِباءٍ آخر . فغاب زيدٌ عن زوجته مدةً ، فَعلِق الفارعةَ رَجُلٌ عُذْرِي يسمى شَبيباً ، وطاوعته . فكانت تركب كُلَّ عشيةٍ جملاً وتذهب مع شبيبٍ إلى مكانٍ يَبيتان فيه . ولمّا رجع أبوها زيدٌ من غيبته ، عَرّج على كاهنةٍ اسمُها طريفة ، فأخبرته بما يجري من الريبة في بيته . فأقبل وظنَّ الخيانةَ في زوجته . فلمّا دَخَل عليها عَرَفَت الشرَّ في وجهه ؛ فقالت له : لا تُعجِّل ، واقْفُ الأثَر ؛ لا ناقةَ لي في هذا ولا جمل .

وهذا المثل يُضْرَب في التَبَرُّءِ من التهمة . وقد ضُمِّن هذا المثل في أقوال

العرب وأشعارهم . ومن أحسن التضمين قولُ الشهاب أبي الثناء محمود في قصيدة له يقول فيها :

أَستغفِرُ اللهَ أينَ الغَيثُ مُنفَصِلاً ... مِن بِرِّه وهو طولَ الدهر مُتَّصِلُ
مَنْ حاتِمٌ ، عدِّ عنه وأطرحْ فَبِه ... في الجودِ لا بسواه يُضرَبُ المثَلُ
أينَ الذي بِرُّه الآلافُ يَتْبَعُها ... كرائمُ الخيل مِمَّن بِرُّه الإبِلُ
لو مُثِّلَ الجودُ سَرْحاً قال حاتِمُهم ... لا ناقةٌ لِيَ في هــذا ولا جَمَلُ

وقال الراعي :

وما هَجَرْتُكِ حتى قُلتِ مُعلِنَةً ... لا ناقَةٌ لِيَ في هذا ولا جَمَلُ

ويقول الطُغرائي في لاميته المشهورة :

فِيمَ الإقامةُ في الزوراء لا سَكَني ... بها ولا ناقتي فيهــا ولا جملي



● **السؤال :** من القائل :

وكنت إذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي ووجهُكَ من ماءِ البشاشة يقطر

فَمَن لِيَ بالعين التي كنتَ مرةً إليَّ بها من سالفِ الدهرِ تنظر

سعاد يونس
عاليه – لبنان

★

أبو العتاهية

● **الجواب :** هذان البيتان لأبي العتاهية في حكايةٍ تذكرها عنه كتبُ الأدب . فإن الرشيدَ قدِم الرقّة ، فأظهر أبو العتاهية الزهدَ والامتناعَ عن قول الشعر الغزلي . فلما كان في مجلس الرشيد أمرَه الرشيد بأنْ يقولَ الغزل ، فأبى ، فأمر الرشيدُ بحبسه فحُبِس ، فقال يتظلم :

خَليلَيَّ مالي لا تزال مَضَرَّتي تكونُ على الأقدارِ حَتْماً من الحَتْم

كفاك بحقِّ الله ما قــد ظَلَمْتَني فهـذا مَقَـامُ المستجير من الظُلم

ألاَ في سبيل الله جسمي وقُوَّتي ألاَ مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جسمي

فلما سَمِع الرشيدُ بهذا الشعر أمر بإحضاره ، فلما أُحضِر بين يديه قال له: بالأمس ينهاكَ أميرُ المؤمنين المهديُّ عن الغزل فتأبَى إلاّ لجاجاً ومَحْكاً ؛ واليومَ آمُرُك بالقول فتأبَى جرأةً عليّ وإقداماً . فقال أبو العتاهية: يا أميرَ المؤمنين ، إن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات . كنتُ أقول الغَزَلَ ولي شبابٌ وجِدَة،وبي حَراكٌ وقُوة ، وأنا اليومَ شيخٌ ضعيف لا يَحْسُن بمثلي تَصابٍ. فغضب الرشيد وردّه إلى حبسه فكتب أبو العتاهية إليه :

أنا اليومَ لي ، والحمدُ لله ، أشْهُرُ يَروح عليَّ الغَمُّ منكَ ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ ،أمينَ الله،حَقّي وحُرْمَتي وما كنتَ تُولِيني لَعَلَّك تَذْكُرُ
لَيالِيَ تُدْنِي منكَ بالقُرب مَجْلِسِي ووجهُك مِن ماءِ البشاشة يَقْطُر
فَمَنْ لِيَ بالعَيْنِ الَّتي كنتَ مَرةً إليَّ بها مِن سالِفِ الدهرِ تَنْظُر

فَبَعث إليه الرشيد بتوقيعٍ قال فيه : لا بأسَ عليك فلمّا قرأ ذلك أبو العتاهية قال مادحاً :

كأنَّ الخلقَ رَكْبٌ فيــه رُوحٌ له جَسَدٌ وأنت عليه راسُ
أمــينَ اللهِ إنَّ الحبسَ باسٌ وقد وَقَّعْتَ : ليس عليكَ باسُ

● السؤال : من القائل : « أتتك بحائنٍ رجلاه » وما المناسبة ؟

محمد عبد الله الفضيل
تعز – اليمن

★

أتتك بحائنٍ رجلاه

● الجواب : الحائن هو الأحمق ؛ فمعنى المثل : أنّ الأحمقَ أتاك بنفسِه من غير اضطرار ، كمن يسعى إلى حتفه بظِلفه .

كنّا في مناسباتٍ عديدة في هذه الندوة تكلمنا عن النعمان بن المنذر والمنذر ابن ماء السماء ، وعن نديميه . فقد نادمه رجلان من بني أسد أَحدُهما خالد بن المُضَلّل والآخر عمرو بن مسعود . فأغضباه يوماً ، فأمر بأن يُحْفَرَ لكلِّ واحدٍ حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يُجْعَلا في تابوتين ويدفنا في الحفيرتين . ففُعِل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح المنذر سأل عنهما ، فأخْبِر بهلاكهما ، فنَدِم على ذلك وغمّه الخبرُ . ورثاهما شاعر بني أسد بقوله :

يا قَبْرُ بين بيوتِ آلِ مُحَرّقٍ ... جاءت عليك رواعِدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فقلَّ عنكَ كثيرُه ... ولئِن بَكَيْتُ فَلَلْبُكاءُ خليقُ

ثم ركب المنذرُ ونظر إليهما ، فأمر ببناءِ الغَرِيَّيْن فوق قبريهما وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن ، أحدهما يومُ نعيم والآخَرُ يومُ بؤس . فأولُ مَن يَطلعُ عليه يومَ نعيمه يُعطيه مئةً من الإبل ، وأولُ مَن يَطلَع عليه يومَ بؤسه يعطيه رأسَ ظَرِبانٍ أسود ثم يَأمرُ به فيُذبَح ويُغرّى بدمه الغَرِيّان .

وتنسب هذه الحكاية إلى النعمان بن المنذر في كثيرٍ من كتب الأدب. والأغاني ينسبها إلى المنذر بن ماء السماء .

ثم إنّ عَبيدَ بنَ الأبرص كان أولَ من أشرفَ عليه يومَ بؤسه . فقال له : هلاّ كان الذّبحُ لغيرِك يا عبيد !؟ فقال له: أتتك بحائنٍ رجلاه. فأرسلها مثلاً. فقال المنذر : أوْ أَجلٌ بلَغَ أناه (أي ميعادَه) وأصله أناءَه

ثم قال له أنشِدني فقد كان شِعرُك يُعجِبُني. فقال عَبِيد: **حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحِزَامُ الطُبْيَيْن** ، فأرسلها مَثلاً .

والجريض هو الريقُ اليابس في الفم من غمٍّ أو خوف . ولهذا المثل حكاية أخرى وهي أن رجلاً كان له ابنٌ نبغ في الشعر فنهاه عنه. فمرض الابنُ وأشرف على الموت فأذن له أبوه في قول الشعر فقال : حال الجريض دون القريض . أي حالت غصة الموت دون الشعر .

وفي المثل الثاني : الطبي : الخِلْف أو الضَّرْع .

فقال له المنذر : أسمِعْني ! فقال : **المنايا على الحوايا** فأرسلها مثلاً .

والحَوِيّة كساءٌ يحشى بالثُمام أو الكلأ اليابس ويُدار حولَ سنام البعير . ومعنى المثل : البلايا تساق إلى أصحابها على الحوايا ، أو تحمل إليهم حملاً ، فلا يَفِرُّون منها .

فقال له : ما أشدّ جزَعَك من الموت ! فقال عبيد: **لا يَرْحَلُ رَحْلَك**

مَنْ ليس مَعَك . فأرسلها مثلاً . أي لا يَرْحَلُ أحدٌ كما تَرْحَلُ أنت إلا إذا كان صَفْوُه معك .

ويُروَى المثـــل : لا يُرَحّلَن رَحْلَكَ من ليس معك : لا تستعن إلا بأهل ثقتك . فقال له المنذر : قد أملَلْتني فأرِحْني قبل أنْ آمُرَ بِكَ . فقال عبيد : من عزْ بَزْ . فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : أنشِدني قولَكَ: أقْفَر من أهله مَلْحوبُ ، فقال :

أقْفَر من أهلِه مَلْحوبُ فليس يُبْدِي ولا يُعِيدُ

عَنَّتْ له عَنّـةٌ نَكُودُ وحان منهـــا له ورود

فقال له المنذر : وَيْحَكَ أنشِدْني قبل أن أذْبَحَك . فقال عبيد :

واللهِ إنْ مِتُّ لَمَـا ضَرَّني وإنْ أعِشْ ما عِشْتُ في واحِدَه

فقال المنذر : إنه لا بد من الموت ، ولو أنَّ النعمانَ عرض لي في يوم بؤسي لذبحته .

فقال عبيد : إن كنتَ لا مَحَالةَ قاتلي فاسْقِني الخمرَ حتى إذا ماتت مفاصلي وذَهَلت ذواهلي فشأنك وما تريد .

فأمَرَ المنذرُ بحاجته من الخمر حتى اذا أخذَت منه وطابت نفسُه ، دعا به المنذر لِيقتُلَه ، فلما مَثَل بين يديه أنشأ عبيدٌ يقول :

وخَيَّرني ذو البؤسِ في يومِ بؤسه
خِصالاً أرى في كُلِّها الموتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرَتْ عادٌ من الدَّهر مَرَّةً
سَحَائِبَ ما فيها لذي خِيرَةٍ أنَقْ

سَحائِبَ رِيـــحٍ لم تُوَكَّلْ ببلدةٍ
فَتَـتْرُكُهـا إلاَّ كما ليـلةِ الطَّلَق

فأمَرَ به المنذر فَفُصِد حتى مات .

ويضرب المثلُ في يوم عَبيدٍ لشؤمه ، قال أبو تمام :

لَمَّا أَظَلَّتني سمــاؤك أقْبَلَتْ
تلك الشهودُ عليَّ وهي شُهودي

مِنْ بَعْدِ ما ظَنَّ الأعادي أنَّه
سيكون لي يومٌ كيومِ عَبيـــد

وفي قولٍ آخر أنَّ أولَ من قال المثل: أتَتْـكَ بحائنٍ رجلاه هو الحارث ابنُ جَبَلة الغسـاني ، قاله للحارثِ بن عَيْـفٍ العَبْـدي وكان ابنُ العَيف هذا قد هجاهُ ، أي هجا الحارث بن جَبَلة . وكان ابن العيف في جيش المنذر بن ماء السماء ، فَقُتِل المنذر في حربه مع الحارث بن جبلة ،وأُسِرَ ابنُ العيف وأُتِيَ به إلى الحارث،فقال له: ما الذي أتى بك ؟ فقال ابنُ العيف:أتتكَ بحائنٍ رجلاه.



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة وما معنى البيتين :

أَبَت لي عِفّتي وأبى بَـلائي ... وأخذي الحمدَ بالثمن الرَّبيحِ

وإمساكي على المكروهِ نفسي ... وضربي هامةَ البَطلِ المُشيحِ

رمضان الحاج معاذ

فور فورو – الكاميرون

★

عمرو بن الإطنابة

● **الجواب :** هذان البيتان للشاعر عمرِو بنِ الإطـْنابة ، والإطنابة أمُّه وهو من الخزرج ، وكان فارساً معروفاً . ويأتي بعد البيتين بيتان آخران مشهوران ، وهما :

وقَولي كلما جَشَأت وجاشت ... مَكانَك تُحْمَدي أو تستريحي

لِأَدْفَع عن مآثِرَ صالحاتٍ ... وأحْمِيَ بَعْدُ عن عِرضٍ صحيحِ

ويُذكر بهذه المناسبة حكايةٌ عن معاويةَ بنِ أبي سفيان ، فقد قال : لقد وَضعتُ رجلي في الرِّكاب يومَ صِفّين وَهَممتُ بالفِرار ، فما منعني من ذلك إلا

قولُ ابنِ الإطنابة :

وَقولي كُلّما جَشَأت وجاشت مَكانَكِ تُحْمَدِي أو تستريحي

وقيل لحسّانِ بنِ ثابت : مَن أشعرُ النـاس ؟ قال الذي يقول (يعني ابنَ الإطنابة) :

إنّي من القومِ الذين إذا انْتَدَوْا بَـدَأوا بحَقّ اللهِ ثم النائـلِ

المانعين من الخنـا جيرانَهم والحاشدينَ على طعامِ النازلِ

إلى آخر الأبيات .

أما المعنى فهو أنّ ابنَ الإطنابـة يأبى إلاّ أن يكون عفيفاً ذا بَلاءٍ في القتال ، وأن لا يَطلبَ الحمدَ إلا إذا ناله بثمنٍ مُستَحَق ، ويأبى إلا أن يُكرِهَ نفسَه على المكروه وأنْ يَضرِبَ رأسَ البطل الماضي العزم ، وذلك كُلُّه ليدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ وعن عِرضٍ صحيح . وكان عمرو بنُ الإطنابة مليكَ الحجاز .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

الأرضُ قد لَبِست رِداءً أخضرا ... والطَّلُّ يَنْثُر في رباهـا جوهرا

هاجت فَخِلتُ الزهرَ كافوراً بها ... وحَسِبتُ فيها التربَ مسكاً أذفرا

محمد ولد الحاج بوريد
الجزائر

★

ابن سهل الإسرائيلي

● **الجواب:** هذان البيتان من قصيدة للشاعر الأندلسي ابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي يصف فيها مناظرَ الطبيعة الجميلة . وكان يهودياً وأسلم في آخر أيامه ، وبعضُهم يشك في صحة إسلامه حتى قالوا إنّ اليهوديةَ كانت متمكنةً من نفسه وكان لها أثرٌ في شعره . وقالوا في ذلك : «سُئِل بعضُ المغاربة عن السبب في رقةِ نظمِ ابن سهل فقال : لأنه اجتمع فيه ذُلان : ذُلّ العِشق وذُلّ اليهودية» . ومن أبيات هذه القصيدة الوصفية قولُه بعد البيتين :

والنهرُ ما بـين الرياض تَخالُه سَيْفـاً تَعَلَّق في نجـادٍ أَخْضَرا

وَجرَت بصفحتها الرُّبى فحسِبتَها كَفّاً يُنَمِّق في الصحيفةِ أسْطُرا

والطيرُ قد قامت بـــه خُطباؤُه لم تتخـــذ إلا الأَراكةَ مِنبرا

وتوفي ابن سهل سنة ٦٤٩ هجرية .



● **السؤال :** من القائل و لِمَن ؟

لَيتَ هنداً أنجزتنا ما تَعِدْ ... وشَفَت أَنْفُسَنا مما تَجِدْ

واسْتَبَدَّت مرةً واحدةً ... إنما العاجِز مَن لا يستبد

محمد الغالي زمامة
مكناس — المغرب

★

عمر بن أبي ربيعة

● **الجواب :** هذان البيتان من شعر عمر بن أبي ربيعة ؛ وهما من قصيدةٍ مشهورةٍ له طويلة .

وُلِد ليلةَ قُتِل عمر بن الخطاب ، فكان يُقَال : أيُّ حَقٍّ رُفِع ، وأيُّ باطِلٍ وُضِع ؛ والمعنى في هذا يُشير إلى كثرةِ معاشرةِ عمر بن أبي ربيعة للنساءِ وتَغَزُّلِه بهن .

والمعروف أنه كان مُشْتَهراً بحب الثُّرَيّا بنتِ عبد الله بن أُمية وكانت تَصيِف في الطائف ، وكان عُمر يأتي إلى الرُّكبان الذين يَحْمِلون الفاكهة من

الطائف يسألـُهم عن الأخبار . فلقي يوماً بعضَهم ، فسأله عن أخبارهم ، فقال: عَلِمنا خبراً ، إلاّ أنني سَمِعتُ عند رحيلِنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأةٍ من قريش اسمُها نجمٌ في السماء ذَهَب عني اسمُه . فعَرف عمر أنه يَعني الثريا ، وقد كانت قبل ذلك عليلة . فرَكب فرَسه ، وذَهب في الحال إلى الطائف ، فوجدها سليمةً ومعها أختها ، فأخبرها الخبَرَ ، فضحكت وقالت : أنا واللهِ أمرْتـُهم بذلك لِأخبُرَ ما عندك من الحب .

وقال عُمَر : مـا أخجلني إلاّ ليلـَى بنتُ عمرو ، لـَقِيتـُها وهي راكبةٌ على بغلةٍ لها ، وكنتُ أُشبِّبُ بها . فقلتُ لهـا : جُعِلْتُ فِداكِ ، قِفي واسْمَعي بعضَ ما قلتُ فيك . فوَقفَت ، فأنشَدْتـُها :

ألا يا ليـلَ إنَّ شِفاءَ نفسي ... نَوالُك لو عَلِمْتِ فنَوِّلينا

وقد أزِف الرحيلُ وحـان منا ... فِراقُكِ فانْـظري ما تَأمرينا

فقالت : آمُرُكَ بتقوى الله ، وإيثـارِ طاعته ، وتركِ ما أنتَ عليه . وانصرفت .

والبيتان اللذان سأل عنهما السيد محمد الغـالي زمامة ، هما من أبياتٍ قالهـا عُمرُ بنُ أبي ربيعة في هندٍ بنتِ الحارث بن عوف المُرّيّة. ويقول بعد هذين البيتين :

ولقد قالت لأترابٍ لهـا ... ذاتَ يومٍ وتَعرَّت تَبْترِدْ

أكَما يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَني ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقتَصِد

فتضاحَكْنَ وقد قُلنَ لها ... حَسَنٌ في كلِّ عينٍ مَن تَوَد

حَسَداً حُمِّلْنَه من أجلها وقديماً كان في الناسِ الحسد

وَشبَّب بفاطمةَ بنتِ عبدِ الملك بنِ مَروان ، وبعائشةَ بنتِ طلحة ، وبسُكَينة بنتِ الحسين .

وكانت سُكَيْنَة من أجمل نساءِ زمانها ، وكان مُصْعَبُ بنُ الزبير قد جَمَع بينها وبين عائشةَ بنتِ طلحة ، وكان عُمَرُ يُشَبِّب بهما . ومن شعره في سُكَينة :

أَسُكَيْنَ ما ماءُ الفراتِ وطيبُه مِنّي على ظَمأٍ وفَقْدِ شرَاب
بأَلَذَّ منكِ ، وإن نأَيتِ ، وقلَّما تَرْعَى النساءُ أَمانةَ الغُيّاب
إنْ تَبْذُلي لي نائلاً أَشْفِي به داءَ الفؤادِ فقد أَطلْتِ عَذابي
وعَصَيْتُ فيكِ أقاربي وتَقَطّعت بيني وبينهمُ عُرَى الأسباب
فتركتِني لا بالوِصالِ مُمَتَّعاً منهم ، ولا أَسْعَفْتِني بثواب
فَقَعَدتُ كالمُهَريقِ فضلةَ مائه في حَرِّ هاجرةٍ بِلَمْعِ سَرَاب

ويقال إنَّ الثريا هَجَرت عُمَرَ ، فقال :

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي أَتُحِبُّ القَتولَ أُختَ الرَّباب ؟
قُلتُ : وَجْدِي بها كوَجدِكَ بالماءِ إذا ما فَقَدْتَ بَرْدَ الشراب
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفلٍ إذ دَعَتْها مُهْجَتي ، ما لِقاتلي مِن مَتَاب

أبْرَزُوها مِثلَ المهـــاةِ تَهادَى   بـين خمسٍ كواعبٍ أترابِ

وهي مَكنونة تحَدَّر منها   في أديمِ الخدَّيْن مـــاءُ الشباب

ثم قـــالوا : تُحِبُّها ؟ قلت بَهْراً   عددَ الرملِ والحصَى والتراب

ثم تزوَّجت الثريا رجلاً يقـــال له سُهَيْل ، ورَحلت معـه إلى مصر ، فقال عمر :

أيُّهـــا المُنكحُ الثريا سُهَيـلاً   عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيـــان

هي شامِيَّةٌ إذا مــــا استقلَّت   وسهيـــلٌ إذا استقلَّ يماني

وهذان البيتان في حاجةٍ إلى تفسير . فإن الثريا نجمٌ يكون في الجهةِ الشماليةِ من السماء ، وسُهَيلٌ نجمٌ يكون في الجنوب . والنجمان لا يجتمعان ولا يَقْتَربان ؛ فكيف إذن جازَ لهما أن يَجْتَمعا ، أي أنْ يَجتمعا بالزواج ؟ وَشبَّب عُمَر بأختِ طَلْحَةِ الطَّلَحات ، وهي رَمْلَة بنتُ عبدِ الله بنِ خَلَف ، وكانت قد خَرَجت إلى الحج ؛ فقال فيها :

أصبح القلبُ في الحِبالِ رهينا   مُقْعَداً يومَ فارَقَ الظاعنينا

وهي أبياتٌ عديدة .

وكان عُمَرُ يأتي الى مكة ، ونَصَحه أخوه أن يَترُكَ الشعْرَ ، فرَفض ما دام في مكة ، ولكنه قال إنّه سَيَخرُج إلى اليمن ، وخَرَج فعلاً ، ولكنْ نفسَه لم تَدَعْه وتَرْكَ الشعر ، فقال من جملة أبيات :

هَيهات من أمَّةِ الوَهّاب مَنْزِلُنا   إذا نَزَلْنا بِسِيفِ البحر من عَدَنِ

بل ما نَسِيتُ غداةَ الخَيْفِ مَوقفها وَمَوْقِفي ، وكلانا ثَمَّ ذو شجنِ

وقولَها للثريا وهي مُطرِقةٌ والدَّمعُ منها على الخدَّين ذو سَنَنِ

باللهِ قولي له في غيرِ مَعْتَبةٍ ماذا أردتَ بطولِ المُكثِ في اليمن

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظَفِرتَ بها فما أخذتَ بتركِ الحج من ثمن ؟

وكان عُمَر حين أسنَّ حلَفَ أن لا يَقولَ بيتاً من الشعر إلاَّ أعْتَق رَقبةً ، وانصرف الى مَنزِله واجماً ، فأخذَتْ جاريتُه تُكلِّمه ولا يُجيبها ، فقالت : إنَّ لكَ لشأناً ، وأراكَ تُريد أن تقولَ شعراً ، فقال أبياتاً تسعة ، منها :

وذو الشوقِ القديم وإن تَسَلَّى مَشوقٌ حين يلقى العاشقينا

فكم من خُلَّةٍ أعرضتُ عنها لغير قِلىً ، وكنتُ بها ضنينا

أردتُ بِعادَها فصَدَدتُ عنها وإنْ جُنَّ الفؤادُ بها جُنونا

وأعتقَ تسعةً من رقيقه .

وحدَّث عثمانُ بنُ ابراهيم قال: حَجَجْتُ أنا وأصحابٌ لنا، فلمَّا رَجعنا من مكة مَرَرْنا بالمدينة . فرأينا عُمَرَ بنَ أبي ربيعة ، وكان قد تَرَكَ الشعر وَتنَسَّك . فأرَدْنا أن نُهيِّجَ ما في نفسه ، فمِلْنا إليه وسلَّمْنا ، وجلَسنا وهو ساكتٌ لا يُكلِّمنا ، فقال له بعضُنا : أيُعجِبُك قول الفرزدق :

سَرَت لِعَيْنِكَ سَلْمى بعد مَغفاها

فَبِتَّ مُستَلْهِياً من بعد مَسْراها

فَقُلْتُ : أهْلاً وسهلاً ! مَن هَداكِ لنا ؟
إن كنتِ تِمثالَها أو كنتِ إيّاهــا

تأتي الرِياحُ التي من نحوِ بَلدتِــكم
حتى نقولَ : دَنَتْ مِنــا بِرَيّاها

الخ ..

فلم يَهَشّ لذلك ، وظلَّ على صمته .

فقال له آخَرُ منا : أيُعْجِبُكَ قولُ العُذْرِي :

لو حُزَّ بالسيفِ رأسي في مَودَّتِها ... لمرَّ يهوي سريعاً نحوَهــا راسي

ولو بَلِي تحت أطباقِ الثرى جَسدِي ... لكنتُ أبْلَى وما قلبي لكم ناسي

لولا نَسيمٌ لذِكراكم يُرَوِّحُــني ... لكنتُ مُحْتَرِقاً من حَرِّ أنفاسي

فتحرّكتْ نفسُ عمر ، وأخذ يحدث القومَ عن اجتماعــه بهند ، ثم أنشد شعرَه عن ذلك الاجتماع ، وفيه :

ألم تسألِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعــا ... ببَطْنِ حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلْقَعا

إلى أن قال عن هندٍ وأترابها :

فلمّا تواقفنــا وسلَّمتُ أقْبَلَت ... وجوهٌ زَهَاها الحسنُ أنْ تَتَقَنَّعا

تبالَهْنَ بالعِرفان لمّـــا رأيْنَني ... وقلنَ : امرؤٌ باغ أكَلَّ وأوْضعا

وقَرَّبنَ أسبابَ الهوى لِمُتَيَّمٍ ... يَقِيس ذِراعاً كلما قِسْنَ إصْبعا

وقُلْنَ: كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ   فَحُقٌّ له في اليوم أن يَتمتّعا

واجتمع جميلُ بنُ مَعمَرٍ العُذْري صاحبُ بثينة بعُمَرَ بنِ أبي ربيعة، فأنشده جميلٌ قصيدَته التي يقول فيها:

لقد فَرِحَ الواشونَ أنْ صَرَمت حَبْلي
بُثَيْنَةُ أو أبدت لنا جانبَ البُخل

يقولون: مهلاً يا جميلُ، وإنني   لأُقسِمُ مالي عن بُثَينةَ من مَهْل

خليليَّ فيما عِشْتُما هل رأيْتُما   قتيلاً بكى من حبِّ قاتله مثلي

فلمّا أتمّها قال لعمر: يا أبا الخطّاب، هل قلتَ في هذا الرَّوِيّ شيئاً، فقال عمر: نعم، وأنشد:

جَرَى ناصِحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها   فعرَّضني يومَ الحِصَاب إلى قتلي

فما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها   ومَوقِفَها يوماً بقارعة النخل

فلما تواقفْنا عرَفتُ الذي بها   كمِثلِ الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعل

فَسلَّمتُ واستأنستُ خيفةَ أن يَرَى   عدوٌّ مكاني أو يَرَى حاسِدٌ فِعْلي

وأَقبلَ أمثالُ الدُّمى يَكْتَنِفْنَها   وكُلٌّ يُفَدِّي بالمودَّةِ والأهلِ

فقالت وأرخت جانبَ الستر: إنَّما   معي، فتكلَّم غيرَ ذي رِقْبَةٍ، أهلي

فقلتُ لها: ما بي لهم من تَرَقُّبٍ   ولكنَّ سِرِّي ليس يحمله مِثلي

ولمّا مات عمرُ بنُ أبي ربيعة نُعِيَ لامرأةٍ من مولَّداتِ مكة، فبكت وقالت: مَنْ لأباطِحِ مكة؟ ومَن يَمْدَحُ نِساءَها، ويَصِفُ محاسِنَهُنّ؟

فقيل لها : قد نشأ فتى من ولدِ عثمانِ بن عفان على طريقته (وهو العَرْجي) . فأنشدوها له :

وقد أرسَلَتْ بالسرِّ ليلى بأنْ أقِم ... ولا تقرَبنَّا فالتَّجَنُّبُ أجمَلُ
لَعَلَّ العيونَ الرامقاتِ لِوَصْلِنا ... تُكَذِّبُ عنا أو تَنامُ فتَغفُلُ
أناسٌ أمِنَّاهم فَبَثُّوا حَدِيثَنا ... فلمَّا كتمنا السرَّ عنهم تَقَوَّلوا
فما حفِظوا العهدَ الذي كان بيننا ... ولا حِينَ هَمُّوا بالقطيعةِ أجملوا

واشتهر عمرُ بنُ أبي ربيعة برائيته التي مَطْلَعُها :

أمِن آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرُ ... غداةَ غدٍ ، أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

ويقولُ فيها :

تَهيمُ إلى نُعْمٍ ، فلا الشملُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلبُ مُقصِرُ
ولا قُربُ نُعْمٍ ، إن دَنَت ، لكَ نافِعٌ ... ولا نَأيُها يُسْلِي ، ولا أنتَ تَصْبِرُ

ويقول :

بآيةِ ما قالت غداةَ لَقِيتُها ... بِمَدْفَعِ أكْنانٍ : أهذا المُشَهَّرُ
أشارت بِمِدراها وقالت لِأُخْتِها ... أهذا المُغيرِيُّ الذي كان يُذْكَر ؟
رَأَت رَجُلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضت ... فيَضحَى ، وأمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

وهي طويلة .

ويقال إنَّ بَيتي عمر بن أبي ربيعة المسئول عنهما كانا من جملةِ الأسباب في حملِ الرشيد على نكبة البرامكة .

● السؤال : من القائل وفي أية مناسبة :

يا سيدي وأميرَ الناس كُلّهم — قد جار في حكمه مَن بات يسقيني

إني غَفَلتُ عن الساقي فصيّرني — كما تراني سليبَ العقل والدين

مصطفى علي الفويل
زليطن – ليبيا

★

يحيى بن أكثم

● الجواب : هذان البيتان يُنسبان إلى يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون في حكاية يُشَكّ في صحتها ، ونفاها ابن خلدون ، والحكايةُ هي أنّ يحيى بن أكثم ، بتدبير من المأمون ، سكر وغلب عليه السكر ، وكان في المكان وَرْدٌ وريحان فوُضِع يحيى بنُ أكثم بين الورد والريحان على هيئةِ القبر ، ثم عَمِل المأمون بيتين من الشعر ودعا بقينةٍ فغنّت بهما ، وهما :

نادَيْتُه وهو حيٌّ لا حَراكَ بـه — مُكَفَّنٌ في ثيـابٍ من رياحين

فقلتُ: قُم،قال رِجلي لا تطاوعني — فقلت : خُذ قال كفي لا تواتيني

فانتبه يحيى لرنةِ العود فقال مخاطباً المأمون :

يا سيدي وأميرَ النـــاس كُلّهم قد جار في حكمه من كان يسقيني

إني غَفَلتُ عن الساقي فَصَيَّرني كما تَراني سليبَ العقـــل والدين

لا أستطيع نُهوضاً قد وهى قَدمي ولا أُجيبُ لداعٍ حين يدعوني

فانظُر لنفسِكَ في قاضٍ يكون لكم إني غَدَوْتُ دفيناً في الرياحين

ويَنْسُبون إلى يحيى بن أكثم من ركوب المحرّمات أموراً كثيرة لا يكاد الإنسان يصدقها . وقد رأيتُ في كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز ثلاثةً من هذه الأبيات لعبد الصمد بن المُعَذّل ، وهي :

ناديتُه وظلامُ الليـــل معتكرٌ تحت الرُواق دَفيناً في الرياحين

فقلتُ قُم قال رِجلي لا تطاوعني فقلت خُذ قـــال كفّي لا تواتيني

إني غَفَلتُ عن الساقي فصيّرني كما تراني سليب العقـــل والدين

وبعضهم ينسبها لأحمد بن المُعَذّل وعاش هذا بعد المأمون . وقال الشعراء في قاضي القضاة هذا أشعاراً لا محلّ لذكرها هنا .



● السؤال : بِمَ يضرب هذا المثل :

حديث خُرافةٍ يا أمَّ عمرو .

عبد الجبار محمود السامرائي
سامرا – العراق

★

حديث خرافة

● الجواب : خُرافة رجل من قبيلة عُذْرة استهوتـه الجن كما تزعم العرب مدة ، ثم رجع إلى قومه ، وأخبر بما رأى في غيبته ، فكذّبوه وقالوا عن الشيء الذي لا يمكن : حديث خرافة . ويقال إن النبي ﷺ صَدّق ما تحدث بـه خُرَافة عن الجن .

وجاء في أمثال المُفَضّل بسندٍ يتصل بعائشةَ رضي الله عنها أنهـا قالت للنبي ﷺ : حَدّثني حديثَ خُرافة ! فقال : رحم الله خُرافة كان رجلاً صالحاً ، فأخبَرني أنه خَرَج ذات ليلة فلقي ثلاثةَ نفرٍ من الجِن ، فسَبَوْه ، فقال أحدهم نعفو عنه ، وقال آخر نقتله ، وقال آخر نستعبده . فبينما هم يتشاورون في أمره إذ وَرَد عليهم رجلٌ فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام . قال : وما أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الجن ، أَسَرْنا هـذا ، فنحن نأتمر في أمره ،

فقال : إنْ حدّثتكُمْ حديثاً عجباً أتشركوني فيه ؟ قالوا : نعم . قال : إني كنت ذا نعمةٍ فزالت عني ، وركبني دَينٌ ، فخرجتُ هارباً ، فأصابني عطشٌ شديدٌ ، فسرتُ إلى بئرٍ فنزلت فيها لأشرب ، فصاح صائحٌ من البئر ، فخرجْتُ منها ولم أشرب ، فغلبني العطشُ الشديدُ ، فعُدت إلى البئر ثانيةً ، فصاح بي صائحٌ ، فخرجت ثم عُدت الثالثةَ فشربت ولم ألتفت إلى الصياح. فقال الصائح : اللهم إنْ كان رجلاً فحوّله امرأةً ، وإن كان امرأةً فحوّلها رجلاً ، فإذا أنا امرأة. فأتيتُ مدينةً فتزوجني رجل، وولدت منه ولدَين، ثم عدْتُ إلى بلدي . فمررتُ بالبئر التي شربتُ منها ، فنزلتُ فيها ، فصاح بي الصائحُ كما صاح في الأول فشربتُ ولم التفت اليه ، فدعا كما دعا في الأول ، فعُدت رجلاً . فأتيت بلدي فتزوجتُ امرأةً وولدت منها ولدين ، فلي ابنانِ من ظَهْري وابنانِ من بطني . فقالوا : إن هذا لعجيب ! أنت شريكُنا .

فبينما هم يتشاوَرُون إذ وَرَد عليهم ثورٌ يطير ، فلما جاوزهم إذا رجلٌ بيده خشبة ، وهو يَحْفِر في أثره ،فوقف عليهم فسلّم ، فردّوا ، وسألهم فردّوا عليه مثلَ ردهم على صاحبيهم ، فقال : إنْ حدّثتُكم بحديثٍ أعجبَ من هذا أتشركوني؟قالوا : نعم.قال:كان لي عمّ،وكان موسِراً،وكانت له ابنةٌ جميلة، وكنا سبعةَ إخوةٍ ، وكان لعمي عِجْل يُربّيه.فانفلت . فقال : أيُّكم يَرُدُّه فابنتي له . فأخذتُ خشبتي هذه ، واتزرْتُ ، ثم حفرْتُ في أثره وأنا غلام ، وقد شِبتُ فلا أنا ألحقُه ولا هو يكِلّ . فقالوا : إنّ هذا لعجب . أقعُد فأنت شريكنا .

فبينما هم يتشاورون إذ وَرَد عليهم رجلٌ على فرسٍ أنثى ، وخلفَه غلامٌ على فرسٍ ذكَر ، فسلّم كما سلّم صاحباه،فردوا عليه كردّهم على صاحبيْه. فسألهم ، فأخبروه الخبر . فقال لهم إنْ حدّثتُكم بحديثٍ أغربَ من هذا أتشركوني فيه ؟ فقالوا : نعم . قال : كانت لي أمٌّ خبيثة ، ثم قال للفرس الأنثى التي تحته : أليس كذلك ؟ فقالت برأسها : نعم ، قال : وكنت أتّهمها

بهذا العبد ، وأشار إلى الفرس الذكر الذي تحت غلامه ،وقال له : أليس كذلك؟ فقال الفرس برأسه : نعم . فوجهتُ بغلامي هـذا الراكبِ ذاتَ يوم في بعض حاجاتي ، فحبَسَتْه عندها . فأغفى فرأى في منامه كأنها صاحت صيحةً فإذا هي بجُرَذٍ قد خرج ، فقالت له : أسْعد فسجد؛ ثم قالت : أكرُب فكرب. ثم قالت : أدرُس فدرس . ثم دَعت برحىً فطحنت قدَح سَويق ، فأتت به الغلامَ ، فقالت له : إئتِ به مولاك . فأتاني به ، فاحتلتُ عليها حتى سَقَيْتُها القدَح ، فإذا هي فرسٌ أنثى وإذا هو فرس ذكر. وقال: أليس كذلك؟فقالت الفرس الأنثى برأسها نعم ، وقال الفرس الذكر برأسه : نعم .

فقالوا : إنّ هذا أعجبُ شيء سمعناه ، أنت شريكنا. فأجمع رأيُهم ، فأعتقوا خُرافة ، فأتى النبيّ ﷺ فأخبره بهذا الحديث . والله أعلم .

ولكنّ عبارةَ حديث خرافة يا أم عمرو ، وَرَدت في شعرٍ لأبي نواس وكُفّر فيه : فهو يقول :

تُعَلَّلُ بالمُنَى إذ أنتَ حَيٌّ ... وبعدَ الموت من لَبَنٍ وخَمْرِ
حيـاةٌ ثم موتٌ ثم بَعْثٌ ... حديثُ خُرافةٍ يا أمَّ عمرو

وعبارة أم عمرو تأتي بالشعر كثيراً ، ولا تعني شخصاً مُعَيّناً مثل قول جرير :

يا أمَّ عمروٍ جزاكِ الله مغفرةً ... ردي عليّ فؤادي كالذي كانـا

● **السؤال :** وجدتُ هذين البيتين في كتاب (مفتاح البلاغة) لحسان بن ثابت وهما :

إن كان في الناس سبّاقون بعدَهم   فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهم تَبَعُ

ولا يَضِنُّون عن مولىً بفَضْلِهمُ   ولا يُصيبُهمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ

وقال صاحبُ الكتاب : هذا رَدٌّ على الزبرقان بن بدر ، وأنا ظننت أنه ردٌّ على بني تميم حين أتَوْا إلى النبي ، وكان شاعرُهم يهجو النبي ،فقيل: يا حسان، رُدَّ على بني تميم .

الصادق الصادق أبو قباسي
مصراتة – ليبيا

★

حسان بن ثابت

● **الجواب :** هذان البيتان لشاعر النبي حسان بن ثابت ، وهما من قصيدةٍ ذكرها مع ما ذكر ابنُ هشام في كتابِ السيرة : فقد جاء وفدُ تميمٍ إلى النبي ومعهم الزبرقان بن بدر وهو شاعِرُهم وعُطارِدُ بنُ حاجب وهو خطيبهم. فقام

خطيبُهم وألقى كلمته وردّ عليه ثابتُ بنُ قيس ، ثم قـام الزِبرقانُ بنُ بدر وقال قصيدة بدأها :

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلنـــا   منا الُملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

وأكثرُ أهْلِ العلم بالشعر يُنكِرها للزبرقان . وكان حسانٌ غائباً ، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ فخرج وهو يقول :

مَنَعْنا رسولَ الله إذ حلّ وَسْطَنا   على أنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغم

فلمّا وصل إلى النبي ، وفرَغ الزبرقـانُ من شعره ، قـــال له : قُمْ يا حسّان فأجب الرجلَ فيما قـال . فقام حسان وقال بنفس الوزن والقافيـة :

إنّ الذّوائبَ من فِهْرٍ وإخْوَتهمْ   قد بَيَّنوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَـــع

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدُوَّهم   أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نَفَعوا

إنْ كان في الناسِ سبَّاقون بعدهم   فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهم تَبَـعُ

أما البيتُ الثاني الذي ذكره السائل الكريم فيُرْوَى على هذه الصورة :

لا يَبْخَلون على جـارٍ بفضلهم   ولا يَمَسُّهُمُ مِن مَطْمَعٍ طَبَعُ

وفي حكاية أخرى ذكرَها ابنُ هشام أنّ الزّبرقانَ بنَ بدر لمّـا قدِمَ على رسولِ الله في وفدِ بني تميم قام فقال من قصيدة :

أتيناكَ كيما يَعلَمَ الناسُ فَضْلَنا   إذا احتفلوا عند احتضارِ المواسم

فقام حسان وأجابه من قصيدة :

هلِ المجدُ إلا السودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ

ثم قال في آخر القصيدة :

فــلا تَجْعَلوا للهِ نِدًّا وأسْلِموا ... ولا تَلْبَسوا زِيًّا كَزِيِّ الأعاجمِ

ثم أسلم القوم .



● السؤال : من القائل وفي أية مناسبة :

ما في الديارِ أخو وَجدٍ نُطارِحُه حديثَ نجدٍ ولا خِلٌّ نُجاريه

علي بن خالد السناوي
رُوهَنكِيرِي ، جمهورية رُوَاندا
افريقيا الوسطى

★

شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي

● الجواب : هذا البيت منسوبٌ في كتاب ثمراتِ الأوراق لابن حِجة الحموي إلى الشيخ شهابِ الدين السُّهْرَوَرْدي في حكايةٍ خلاصتُها أنَّ الشيخ لمّا رجع من الشام إلى بغداد ، وجلس إلى الناس يحدثهمْ كعادته ، أخذ ينتقص من طبائع الناس ومن صفاتهم ، ويتأفف من عدمِ وجودِ الرجالِ الأكفاء الذين هم أهل للمباراة والمجاراة ، ثم قال :

ما في الصحاب أخو وجدٍ نطارحه حديثَ نجدٍ ولا خِل نجاريه

فصاح من طرف المجلس شاب عليه قباءٌ فقال: يا شيخ لِمَ تنتقص من القوم؟ والله إن فيهم مَن لم يَرْضَ أن يُجاريَك ، هلاّ قلت :

ما في الصحاب وقد سارت حُمولُهم   إلاَّ مُحِبٌّ له في الركب مَحبوبُ
كأنما يوسفٌ في كلّ راحلةٍ   والحيُّ في كل بيتٍ منه يعقوب

فصاح السهروردي طرباً ونزل عن الكرسي وطلب الشاب فلم يجده .



● السؤال : من القائل وفي أية مناسبة وما هي الأبيات الأخرى :

أَشوْقاً ولمّا يَمضِ لي غيرُ ليلةٍ فكيف إذا جَدَّ المَطِيُّ بِنا عَشرا

محمد صالح عمر با عثمان
مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

★

سُحَيْمٌ عبدُ بني الحَسْحَاس

● الجواب: قائل هذا البيت سُحَيْم عبدُ بني الحَسْحاس. وكان عبداً أسودَ أعجمياً ، ولكنه كان يقول الشعر ويُحْسِن فيه ، ولو أنه لم يكن من المبرزين . فإنه يُروى أنّ سُحَيماً أنشد عمرَ بنَ الخطاب قولَه :

عُمَيْرَةُ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزتَ غاديا كَفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال له عمر : لو كان شِعْرُك كُلُّه مثلَ هذا لأعطيتُكَ عليه .

وقيل إن عثمانَ بنَ عفّانَ أُتِيَ بسحيمٍ لِيَشتَرِيَه ، فقالوا إنه شاعرٌ ، وأرادوا أن يُرَغّبوه فيه . فقال عثمان : لا حاجةَ لي به إذ الشاعرُ لا حَرِيمَ له ، إنْ شَبِع تشبّب بنساءِ قومِه وإن جاع هجاهم . فاشتراه غيرُه ، فلما رَحَل قال في طريقه :

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غـــيرُ ليلةٍ فكيف إذا سار المَطِيُّ بنا عشرا

وما كنتُ أخشى مالكاً أن يَبيعَني بشيءٍ ولو أمست أنامِلُه صِفرا

أخوكم ومولى مالِكم وحليفُكم ومَن قد ثوى فيكم وعاشَرَكم دهرا

فلمّا بلغهم شعرُه هذا رَثَوا له فاشتروه واستردُّوه فكان يُشَبِّب بنسائهم .

ومن أقواله الغزلية المعروفة :

فما بَيْضَةٌ بات الظليمُ يَحُفُّهــــا ويَرْفع عنهـــا جُؤجُؤاً متعافيا

بأحسنَ منها يوم قالت أظاعِنٌ مع الرَّكب أم ثاوٍ لدينا لياليـــا

وهَبَّت شَمالٌ آخِرَ الليل قَرَّةٌ ولا ثوبَ إلاّ بُردُهـــا وردائيا

وما زال بُردي طيِّباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج الثوبُ باليا

ولما كَثُر منه هذا التشبيب وأمثالُه أجمع سادتُه على قتله فقتلوه . ولمّا قُدّم للقتل قال :

شُدّوا وثاقَ العبدِ لا يَغلِبْكُمو إنّ الحياةَ من المماتِ قريبُ

فلقد تَحدَّر من جبينِ فتاتِكم عَرَقٌ على جَنْبِ الفِراشِ يَطيب

وقولُ عبد بني الحسحاس عن الشوق بعد فراقِ ليلةٍ واحدة يشبه قولَ أبي الطيب المتنبي :

أرَى أسَفِي وما سِرْنا شديداً فكيف إذا غدا السيرُ ابتراكا

وهو يُشبه أيضاً قولَ أشجعَ السُّلَمي :

فما أنتَ تبكي وهم جِـــيرةٌ فكيف تكونُ إذا ودَّعـــوا

لقد صَنَعوا بـــك ما لا يَحِلّ ولو راقبوا اللهَ لم يَصنعوا
أتطْـمَع في العيشِ بعد الفِراق مُحالٌ، لَعَمْرُك، ما تَطْـمَع

وشبيهٌ بقول الآخر :

لقد كنتُ أبكي خِيفةً لِفِراقه فكيف إذا بان الحبيبُ ووَدَّعـا

وجاء في حماسة ابن الشجري أن الأصمعي سمع صوتاً حزيناً ينشِد في الليل :

أهـــذا ولمّا تمضِ للبين ليلةٌ فكيف إذا مرت عليـه شهور

ويقول مجنون ليلى :

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ رُويدَ الهوى حتى يَغِبَّ لياليا



● **السؤال : ما المعنى :**

« لا يُعْجِبَنَّكَ العالِمُ ما لم يكن عالماً بمواضعِ ما لم يَعْلَم ، ولا العامِلُ إذا جَهِلَ مواضِعَ ما يَعْمَل » .

أبو بكر صالح المدني
عدن

★

العالمُ بعمَلِه

● **الجواب :** هذا المعنى لطيف : وخُلاصتُه أنَّ العالِمَ لا يكون عالماً إلا إذا عرَف أنه جاهلٌ لأشياءَ أخرى ، تواضعاً منه ، واستعداداً منه لمعرفةِ هذه الأشياء الأخرى ؛ والعالم الذي لا يعمل بعلمه ليس بعالمٍ ، ولكن يجب عليه إذا أراد العمل أن يَعْرِفَ أيْنَ يَستفيد من علمه ، وفي أي الميادين الصالحة يَستَخْدِمُ عِلْمَه .

وفي هذا الباب أقوال كثيرة شعرية وغيرُ شعرية ، منها قول حاتم الطائي :

ولم يَحْمَدوا مِن عالِمٍ غيرِ عاملٍ   خِلافاً ، ولا مِن عاملٍ غيرِ عالمِ
رَأَوْا طُرقاتِ المجدِ عُوجاً قَطِيعةً   وأَقْطَعُ عجزٍ عندهم عَجْزُ حازم

ويقول أبو القاسم الآمدي :

إذا كنتَ لا تَدري ولم تَكُ بالذي ... يسائل مَنْ يَدْري فكيف إذن تَدري

جَهِلْتَ ولم تَعْلَمْ بانك جاهلٌ ... فَمَنْ لي بأنْ تَدري بانك لا تَدري

إذا كنتَ مِن كلّ الأمور على عَمىً ... فكن هكذا أرضاً يَطاك الذي يَدري

ومِن أعجبِ الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بانك لا تدري

ويقول أبو بكر بن دريد :

جَهِلْتُ فعادَيتُ العلومَ وأَهْلَها ... كذاك يُعادِي العِلْمَ من هو جاهِلُهْ

ومَن كان يهوى أن يُرَى مُتَصَدّراً ... ويكره (لا أدري) أُصِيبت مَقاتِلُهْ

وقال سُقراط ما معناه :

« يقول الناس إنني حكيم وإنني أعرف أشياء كثيرة ، ولا أَعرِفُ ما يَعنون ، ولكنّ الذي أعرِفه أنني لا أعرف شيئاً » .

وهذا شبيهٌ بقول الشافعي :

كُلَّما أدَّبني الدهرُ أراني نَقْصَ عَقْلي

وإذا ما ازْدَدْتُ علماً زادني علماً بجهلي

وهذا مع العلم بأن الشافعي كان من أعلم أهلِ زمانه ومِن أكثرهم ذكاءً وفطنة . قال الشافعي : قَدِمتُ على مالكِ بنِ أنسٍ ، وقد حَفِظْتُ كتابَه المُوَطّأ ، فقال لي : أَحضِرْ مَنْ يَقرأُ لك ! فقلتُ : أنا قارىء ، فقرأتُ عليه المُوَطّأ حِفظاً ، فقال ابنُ أنس : إن يَكُ أحدٌ يُفلحُ فهذا الغلام .
وكان سُفيانُ بنُ عُيَيْنة إذا جاء شيء من التفسير أو الفُتيا ، التفتَ إلى

الشافعي وقال : سلوا هذا الغلام . وكان الزَّنْجي بنُ خالد يقول للشافعي : أفْتِ يا عبدَ الله ، فقد آن لك أن تُفتي . وكان الشافعي ابنَ خمسَ عشرةَ سنة فقط .

ومِمّن اعتذر عن عدم العمل بالعلم ابنُ عُيَيْنة . فقد ذكر الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء أن رجلاً وقف على ابن عُيَيْنة وهو يعظ الناس فأنشده :

وغيرُ تَقِيٍّ يأمرُ النـــاسَ بالتُّقَى   طبيب يداوي الناسَ وهو عليل

فأنشده ابنُ عُيَيْنة (والبيت للخليل بن أحمد كما جـــاء في سمط اللآلي على أمالي القالي) :

إعْمَلْ بِعِلْمي وإن قصّرتُ في عملي   يَنْفَعْكَ علمي ولا يَضْرُرْكَ تقصيري

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي في العلم والعمل من أبياتٍ :

إعْمَلْ بعلمكَ تَغنَمْ أيها الرجـــلُ   لا ينفَعِ العلمُ إن لم يَحْسُنِ العَمَلُ
تَعَلَّمِ العلمَ واْعمَلْ ما استطعتَ به   لا يُلهِيَنَّك عنه اللهوُ والجَدَلُ
وعَلِّمِ الناسَ واقصِدْ نفعَهم أبداً   إياكَ إياكَ أن يَعتادك الملـــلُ

ومما يُقال في أخذ العلم وعدم النظر إلى العمل قول بعضهم :

خُذ من علومي ولا تَنْظُرْ إلى عَمَلِي   واقصِد بذلك وجهَ الخالق الباري

● السؤال : من القائل وفي أية مناسبة :

إلى ديّانِ يوم الدين نَمْضي وعند الله تجتمع الخصومُ

علي محمد عمر الوهابي
جدة – المملكة العربية السعودية

★

أبو العتاهية

● الجواب : هذا البيت من جملة أبياتٍ نُسبت إلى غيرِ قائلٍ في غير مناسبة . من ذلك مثلاً أن أدبَ الدنيا والدين للماوردي يقول إنّ أبا العتاهية كتب أبياتاً إلى الرشيد وهو في حبسه فقال :

أَمَا واللهِ إن الظلمَ شومُ وما زال المسيءُ هو الظَّلومُ
إلى دَيّانِ يومِ الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ
سَتَعْلَمُ في المَعَاد إذا التقينا غداً عند المليكِ مَن المَلومُ

وجاء في المُستَطرَف أن البيتين الأوّلَيْن وُجدا في رُقعَةٍ تحت فراشِ يحيى بن خالدٍ البرمكي ويروى البيت الأول :

أما واللهِ إن الظلم لُؤمُ وأنّ الظلم مرتعه وخيم

وجـــاء في المستطرف أيضاً في مكانٍ آخر أنْ رجلاً حبَسه الحجاج ظلماً فكتب إليه هذه الأبيات :

سَتَعلم يا نؤومُ إذا التقينـــا ... غداً عنـــد الإله مَن الظَّلومُ
أمـا واللهِ إن الظلمَ شوم ... ومـا زال الظَّلوم هو الملوم
سَيَنقَطِـع التلذُّذُ عن أُناس ... أداموه ويَنقطـــع النعيم
إلى دَيّانِ يومِ الدين نمضي ... وعنـد الله تجتمع الخصوم

وفي بعض الروايات أن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه كتب إلى معاويةَ هذه الأبيات :

أَمَا واللهِ إنَّ الظـلمَ شوم ... ولا زال المسيءُ هو المَلومُ
إلى الديّانِ يومَ الدين نَمضي ... وعنـد الله تجتمع الخصوم
سَتَعْلَمُ في الحساب إذا التقينا ... غداً عند المَليكِ مَن الظَّلوم
سَتَنْقَطِـع اللّذاذةُ عن أناسٍ ... من الدنيا وتنقطع الهُمُومُ
لِأَمرٍ ما تصرَّفت الليـالي ... لِأَمرٍ ما تحرَّكت النجوم
سَلِ الأيامَ عن أُممٍ تَقضَّت ... ستُخْبِرُك المَعالِمُ والرسوم
تَروم الُخلدَ في دارِ المنـايا ... فكم قد رام مِثلُك ما تَروم
تَنام ولم تَنَمْ عنكَ المنـايا ... تَنَبَّـــهْ للمنيـةِ يا نؤوم
لَهَوْتَ عن الفناء وأنتَ تَفنى ... فما شيءٌ من الدنيا يدوم

ويقول العرب والمسلمون أقوالاً كثيرة عن دعوه المظلوم ، وهي تصعـد إلى السماء لا يحجبها حاجب . ويقول المعري :

لا شيءَ في الجوّ وآفاقِـــه أصعـدُ من دعوةِ مَظلوم

وكتب بعضُ الملوك على بساطه هذين البيتين :

لا تَظْلُمَنَّ إذا ما كنتَ مُقتَدِراً فالظُّلْمُ مَصْدَرُه يُفْضِي إلى النَّدَمِ
تنام عَيناكَ والمظلوم مُنْتَبِـــهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَمِ

ويقول مُحرِز بن خَلَف في الظلم وعاقبته :

إذا ظالمٌ قد حالف الظلمَ مَذْهباً وجار غُلُوّاً في قبيح اكتسابه
فَكِلْهُ إلى رَيْبِ الزّمانِ وَجوْرِهِ سَيُبْدِي له ما لم يَكُن في حِسابه
فكم ذا رأينا ظالمـــاً مُتَجَبِّراً يَرَى النجمَ، تيهاً، تحتَ ظِلّ رِكابه
فلمّا تمادى واستطال بِجَوْرِهِ أناخت صروفُ الحادثاتِ ببابِه
وعوقِب بالذنب الذي كان يجتني وَصَبَّ عليـه اللهُ سَوْطَ عذابه
فلا فِضَّةٌ تَحميه عند انفضاضه ولا ذَهَبٌ يَثْنيه عند ذَهابـــه

وفي دعوة المظلوم يقول ابن القَيْصراني في مدح الملك العادل نور الدين زنكي:

كَلَّفْتَ هِمّتَك السموَّ فَحلَّقتْ فكأنّما هي دعوةٌ في ظـــالم
وَطَنَتْ بأوطان النجوم فكم لها مِن ماردٍ قَذَفت إليه بِراجِمِ

ويقول جمال الدين بن نُباتة :

ألا رُبّ ذي ظُلمٍ كَمنتُ لحربه فأوقعهُ المقدورُ أيَّ وُقـــوعِ
وما كان لي إلاّ سِلاحُ تَهجُّدٍ وأدعيـــةٍ لا تُتَّقى بِدُروعِ

وهيهات أن ينجو الظلوم وخلفه   سِهام دعـــاءٍ مِن قِسِيٍّ رُكوع

ولبعض العرب في دعوة المظلوم (ولعلّه محمد بن حازم الباهلي أو مسكين الدارمي أو محمد بن وهيب) :

وسائرةٍ لم تَسْرِ في الأرض تبتغي   محلاً ولم يقطع بها البِيدَ قاطِعُ

سَرَت حيث لم تُحْدَ الركابُ ولم تُنَخ   لِوِردٍ ولم يَقْصُر لها القيدَ مانِعُ

تَمُرّ وراء الليل والليلُ ضارب   بجُثمانه فيه سَميرٌ وهاجع

إذا وَفَدت لم يُرْدِدِ اللهُ وفدَها   على أهلِهـــا واللهُ راءٍ وسامع

تفَتحُ أبوابُ السماواتِ دونَها   إذا قَرع الأبوابَ منهن قارع

وإني لأرجو الله حتى كأنّمـــا   أرى بجميل الظن ما الله صانِع

وقال أبو الدرداء : إياكَ ودمعةَ اليتيم ودعوةَ المظلوم فإنهـا تسري بالليلِ والناس نِيام .

● السؤال : هل كلمة « قهوة » معناها في الأصل « الخمر »؟

محمد سعيد
بيت لحم – الأردن

*

القهوة

● الجواب : نعم ، كلمة « قهوة » في الأصل معناها الخمر ؛ ويتضح ذلك من مراجعة الكلمة في جميع القواميس .

ومن ذلك قولُ الشاعر ، وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب :

يا صاحِبَيَّ استيقظا من رَقْدَةٍ تُزْرِي على عَقْل الأديب الأكيس
هذي المجرَّةُ والنجومُ كأنها نهرٌ تَدَفَّق في حديقةِ نَرْجِس
وأرى الصَّبَا قد غَسَّلَت بنسيمها فَعَلامَ شُرْبُ الراحِ غير مُخَلَّس
قوما اسقياني قهوةً روميةً من عهدِ قَيْصَر دَنُّها لم يُمْسَس
صِرْفاً تُضِيف إذا تسلَّط حُكمُها موتَ العُقولِ إلى حياةِ الأنفسِ

ويقول سعد بن هاشم (أبو عثمان) الخالدي :

هتف الصبح بالدُجى فاسقنيهـــا قهوةً تترك الحليم سفيهـــا

لستَ تدري لرقـــةٍ وصفاء هي في كاسها أم الكاس فيها

ويقول العَلاّمة أبو بكر بن أبي زيد في مؤلفه «إثارةُ النخوةِ بحِلّ القهوة» إنّ اشتقاق القهوة من الإقهاء وهو الاجتواء أي الكراهة ، أو من الإقهاء بمعنى الإقعاد ، من أقـهى الرَّجُلُ عن الشيء أي قَعَدَ عنه وكَرِهَه ؛ ومنه سُمّيَت الخمرةُ قهوةً لأنها تُقهِي أي تُكَرِّهُ الطعامَ أو تُقعِد عنه .

أمّا القهوةُ التي نَشربها من نقيع البن فاستعمال هذه الكلمة للدلالة عليها كان متأخراً . ووصف بعضهم قهوةَ البُنّ بقوله :

عَرِّجْ على القهوةِ في حانِها فاللّطفُ قد حَفَّ بنُدْمانِهـــا

فإنّهـــا لا غَمَّ تُبْقِي إذا قابلـــك الساقي بِفِنجانهـــا

لا يُوجَد الغَمُّ بحاناتهـــا قـــد خَضَع الغَمُّ لسلطانها

بمائهـــا تَغْسِـــلُ أكدارنا ونُحرِق الهَـــمَّ بنيرانِهـــا

يَقول مَن أبْصَر كانونَهـــا أفٍّ على الخمرِ وأدْنانِهـــا

فاشْرَبْ ولا تَسْمَعْ كلامَ الذي بِجَهْلِه يُفتِي بِبُطْلانِهـــا



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

أفاطمَ قبــل بينكِ مَتِّعيني ... ومنعُكِ ما سألتُ كأن تَبيني
فلا تَعِدي مَواعِدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بهـا رياحُ الصيف دوني
فـإني لو تُخـالِفني شِمالي ... خِلافَكِ ما وَصلتُ بها يميني
إذَنْ لقطعتُها ولَقُلتُ بيني ... كذلك أجتَوي مَن يجتويني

المهدي محمد الزنتاني
زنتان – ليبيا

★

المُثقَّب العبدي

● **الجواب :** هذه الأبيات للشاعر الجـاهلي المُـثَـقّب العبدي ، وهي من قصيدة تدخل في عِداد مَشُوباتِ العرب السبع، وهي في مدح عمرو بن هند، وتزيد على أربعين بيتاً . ويقال إنه سُمّي بالمُـثَـقّب لقوله في هذه القصيدة :

رَدَدْنَ تَحِيةً وكَنَنَّ أُخرى ... وثَقَّبْنَ الوَصـاوِصَ للعيونِ

ويأتي بعد الأبياتِ المسئولِ عنها بيتان مشهوران وهما :

فإمّا أن تكونَ أخي بِحَقٍّ ... فأعرِفَ منكَ غَثّي من سَميني

وإلاَّ فاطَّرِحْني واتَّخِــذني   عَــدُوًّا أَتَّقِيكَ وتَتَّقيني

ومن الشعراء العرب كثيرون سُمُّوا ببيتٍ لهم من الشعر . منهم المُثَقِّب الذي ذكرناه ومنهم المُمَزَّق العَبْدي لقوله :

فإن كنتُ ماكولاً فكن خيرَ آكِلٍ   وإلاَّ فأَدْرِكْني ولمَّــا أُمَزَّقِ

ومنهم العَجَّاج لقوله :

حتى يَعِجَّ عِنْدَها مَن عَجْعَجَا

ومنهم المُرَقَّش الأكبر لقوله :

الدارُ قَفْــرٌ والرسومُ كما   رَقَّش في ظهر الأَديمِ قَلَمْ

ومنهم المتلمِّس لقوله :

وذاكَ أوانُ العَرْضِ جُنَّ ذُبابُه   زَنابيرُه والأزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

إلى آخره . وفي كتاب المُزْهِر للسيوطي بحث في ذلك .

● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة :

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضَنكِ   كلاهمـا ذو قوةٍ وسفكِ
وَصولةٍ وَبطشةٍ وفَتك   إنْ يكشِف اللهُ قِناعَ الشك
فأنتَ لي في قَبضتي ومُلكي

السيدالي محمد الهادي
ناضور — المغرب
بشير ونيس شلاك
مصراتة — ليبيا

★

جَحْدَر بن ربيعة العُكْلي

● **الجواب** : لهذا الشعر حكايةٌ مذكورةٌ في كتب الأدب عن جَحْدر ابن ربيعة العُكلي ، وكان بطلاً شجاعاً مِغواراً وشاعراً ؛ يُقال إنه غلَب على أهل اليمامة وَقهَرهم ، وَبلغ ذلك الحجاجَ بنَ يوسف فأرسل إلى عامله يوبخه على تهاونه هذا وتوانيه في محاربة جحدر . فوجّه العاملُ إليه فِتيـةً من بني حنظلة وجعل لهم جُعلاً عظيماً إن هم قتلوه أو أتـوْا به أسيراً . فتوجه الفتيةُ إليه ، حتى إذا كانوا قريباً منــه أرسلوا إليه يقولون إنهم يريدون خِدمتَه

والانقطاعَ إليه ، فوثق بهم واطمأنّ إليهم . فبينما هو معهم في أحد الأيام إذ وثبوا عليه وأوثقوه وقدموا به على العامل ، فوجّه العاملُ به إلى الحجّاج ، فلما وصل ومثَلَ بين يدي الحجاج قال له الحجاج : أنت جحدر ؟ قال : نعم ، أصلح اللهُ الأمير . قال : وما جرّأك على ما بلغني عنك ؟ قال : أصلح اللهُ الأمير ، كَلَبُ الزمان وجفوةُ السلطان وجراءة الجبان . قال الحجاج : وما بلغ من أمرك ؟ قال : لو ابتلاني الأمير وجعلني من الفرسان لرأى مني ما يعجبُه . فتعجب الحجاجُ من ثباتِ عقله ومنطقه فقال له : يا جحدر ، إني قاذفٌ بك في الحاجر وفيه أسدٌ عظيم ، فإنْ قتلَكَ فقد كفانا مؤونتك ، وإن قتلتَه عفَوْنا عنك . قال جحدر : أصلح الله الأمير ، قرُب الفرجُ إن شاء الله . فأمر به فصفّدوه بالحديد ، ثم كتب إلى عامله أن يرتادَ له أسداً ويَحْمِلَه إليه . فتحيّل العاملُ وأرتاد له أسداً كان كاسراً خبيثاً ، فأخذوه وصيّروه في تابوتٍ وسحبوه على عجلٍ . فلما قدموا به على الحجاج،أمرَ به فألقي في الحاجر ، ولم يُطعَم شيئاً ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب . ثم أمر بجحدر فأنزلوه إليه مُقيّداً وأعطوه سيفاً وأدخلوه على الأسد. فلما رآه الأسد نهَض وزأر زأرةً شديدة ، فأقدم عليه جحدر وهو ينشد :

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضنكِ ... كلاهما ذو قوةٍ وسفكِ

وصولةٍ وبطشةٍ وفتكِ ... إنْ يكشِفِ اللهُ قِناعَ الشّكّ

فأنتَ لي في قبضتي وملكي

ثم دنا من الأسد وضربه بالسيف ففلق هامتَه،فأعجِب الحجاج به، وخيّره إمّا أن يعودَ إلى بلده وإمّا أن يبقى في صحبة الحجاج فاختار صحبةَ الحجاج وبقي معه من سُمّاره وخواصّه .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

لا تطمعوا أن تُهينونا ونُكْرِمُكم   وأنْ نَكُفَّ الأَذَى عنكم وتُؤْذونا
إنا لَقَومٌ أَبَتْ أخلاقُنا شَرَفاً   أنْ نبتدي بالأذَى مَن ليس يُؤْذِينا

سائل من مدرسة التهذيب الاسلامي
ممباسا – كينيا

★

١ – الفضل بن العباس   ٢ – صفي الدين الحلّي

● **الجواب:** هذان البيتان لشاعرين مختلفَيْن ، البيتُ الأولُ :

لا تطمعوا أن تُهِينونا ونُكْرِمكم   وأن نكُفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

للفضل بن العباس ، كما جاء في حماسة أبي تمام ، وهو من جملةِ أبياتٍ له خاطب بها بني أمية ، وكان هو من الهاشميين وكانت له صحبةٌ حسنة مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . ويقول في هذه الأبيات :

مهلاً بني عَمِّنا مهلاً مَوالينا   لا تَنْبِشُوا بيننا ما كان مدفونا
لا تَطمعوا أن تُهينونا ونُكْرِمكم   وأن نَكُفَّ الأذَى عنكم وتؤذونا
مهلاً بني عمِّنا عن نَحتِ أَثْلتِنا   سِيروا رويداً كما كنتم تسيرونا

أللهُ يعــلمُ أنّا لا نُحِبُّكم   ولا نلومُكم أنْ لا تُحِبّونـــا

كُلٌّ له نِيَّةٌ في بُغضِ صاحِبِه   بنعمـــةِ الله نَقْلِيكم وتَقْلونا

أما البيتُ الثاني فهو لصفي الدين الحلي من قصيدة مشهورة مطلعها :

سَلِ الرماحَ العوالي عن معالينا   واستشهدِ البيضَ هل خابَ الرجا فينا

وفيها يقول : = (٤/ ١٥١)

إنا لقومٌ أبت أخلاقُنا شرفــاً   أن نبتدي بالأذى مَن ليس يؤذينا

بيضٌ صنائعُنا سودٌ وقائعُنـــا   خضرٌ مَرابِعنا حمرٌ مواضينـــا



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

وما كنت أخشى مَعْبداً أن يَبيعَني ... بمالٍ ولو أضحت أنامِلُه صفرا
أخوهُمْ ومولاهُمْ وصاحبُ سِرِّهم ... ومَن قد نَشا فيهم وعاشَرَهم دَهرا

سالم سليمان الندّابي العماني
تنزانيا

٭

الغلام ماهر ومَعْبَد

● **الجواب :** لهذين البيتين حكاية تَرويها بعض كتب الأدب ، وهي أن جعفرَ بنَ يحيى عُرِض عليه في بعض أسفاره مملوكٌ من المماليك كان لرجلٍ غضِب عليه السلطان فأخذ مالَه وأمر ببيعِ مماليكه ، فعُرِض على جعفر بن يحيى هذا غلامٌ مملوك من جملتهم فسأله جعفرٌ عن اسمِه فقال : ماهر. وقال إنّ صنعتَه الأدبُ والغناءُ والشعرُ . فدفع جعفر ثمَنه ثم سأله أن يُسمِعَه شيئاً من الغناء ، فأخذ العودَ وغنّى :

حَملتُ جبالَ الحب فوقي وإنني ... لأَعجزُ عن حَملِ القميصِ وأضعَفُ
ظَفِرْتُم بكِتمانِ اللسانِ ، فمَن لكم ... بكتمانِ عينٍ دَمْعُها الدهرَ يَذرِفُ

ثم لمّا اجتاز الغلامُ بمنزلِ مولاه أنشأ يقول :

وماكنتُ أخشى مَعْبَداً أن يَبيعني بشيءٍ ولو أضحت أنامِلُه صِفرا

أخوهم و مولاهم وحامِلُ سِرِّهم ومَن قد ثَوَى فيهم وعاشَرَهم دَهرا

أشوقاً ولمَّا تَمضِ لي غيرُ ساعةٍ فكيف إذا خبَّ المَطِيُّ بنا شهْرا

ثم إن جعفراً هذا ، لمّا عَلِم بحاله ، أطلقه لوجه الله ، فذهب وهو يقول :

لا يوجَد الخيرُ إلاّ في معادنه والشرُّ حيثُ طلبتَ الشرَّ موجود

والبيت الثالث في قول الغلام : أشوقاً ولما تمضِ لي غيرُ ساعةٍ .. مأخوذٌ من قول سُحَيم عبد بني الحَسْحاس :

أشوقاً ولمّا يَمضِ لي غيرُ ليلةٍ فكيف إذا سار المطيّ بنا عَشرا

وذكر كتاب تزيين الأسواق حكايةً عن سُحَيم عبدِ بني الحَسْحاس وكان هذا حبشياً نشأ في بني الحَسْحاس وتخرّج في الشعر حتى شاع ذكره .

وقد أوردت بعض أخباره في مكان آخر من هذا الكتاب.

● السؤال : من القائل : سيد القوم خادمهم . وما المناسبة ؟

أحمد علي غالب
الشيخ عثمان – عدن

★

سَيِّد القوم خادمهم

● الجواب : الذي قال هـــذه العبارة هو : عُمرُ بن الخطاب ، ولا أعلم أحداً قالها قبلَه .

وفي هذا حكاية . فقد زَعَمت الرُّواة أن بَني العَجْلان ، وكانوا يفتخرون بقول الحطيئة إنّهم أنفُ الناقة ، جاءوا إلى عُمَرَ بنِ الخطاب يَسْتَعْدُونه على الشاعرِ النجاشي لأنه هجاهم فقال عمر : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه قولَ النجاشي :

إذا اللهُ عادى أهـــلَ لؤمٍ ورِقَّةٍ
فعادى بني العَجْلاَنِ رهطَ ابنِ مُقْبِلِ

فقال عمر : إنّ اللهَ لا يُعَادي مُسْلِماً . فقالوا : ولكنه يقول :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْـدِرون بِذِمَّـةٍ ولا يَظْلِمونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

ويُريد بذلك أنهم ضعفاء ، وهم أقلُّ من أن يَغْدِروا أو يظلموا . فقال عمر : وَدِدْتُ أنَّ آلَ الخطّاب كانوا كذلك ؛ أي إنهم لا يَغْدِرون ولا يَظلِمون .

فقالوا : ولكنه قال أيضاً :

تَعافُ الكِلابُ الضارياتُ لحومَهم وتأكُلُ من عوفِ بن كعبِ بن نَهْشَل

فقال عمر : كَفَى ضَياعاً مَن تأكلُ الكلابُ لحمَه ! فقالوا : ولكنه قال أيضاً :

ولا يَرِدون الماءَ إلاَّ عَشِيَّةً إذا صَدَرَ الوُرَّاد عن كل مَنْهَل

ويَعني بذلك أنهم قومٌ أضعفُ من أن يُزاحِموا الناسَ على الماء . فقال عُمَر : ذلك أصفى للماء ، وأقلُّ للزِحام .

فقالوا : وهو القائل :

وما سُمِّي العَجْلانَ إلاَّ لقوله خُذِ القَعْبَ واحلِبْ أيُّها العَبْدُ وأعْجَلِ

فقال عمر : سيدُ القومِ خادِمُهم .

وكان عُمَر يَعْرِف أنَّ هذا من أقذع الهجاء ولكنه أراد أن يَدْرَأَ الحدودَ بالشُبُهات . وسُمِّي جدُّهم ، وهو عبدُ الله بن كعب ، بالعَجْلان لأنه كان يُعَجِّل القِرَى للضيوف . فقد نَزَل به حيٌّ من طيّء ، فبَعَثَ إليهم بقِرامِ عبداً له ، وقال له : اعْجَل عليهم ، ففَعل ، فأعتقه لِعَجَلته .

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة وما القصيدة :

وقد يَتَزَيّا بالهوى غيرُ أهله ... ويَستصحبُ الإنسانُ مَن لا يُلائِمُه

هادي سليمان بركات
حمص – سوريا

★

المتنبّي

● **الجواب** : هذا البيت للمتنبي . ومعناه ، وهو واضح ، أنّ الإنسان قد يتكلف الهوى ، وهو ليس من أهل الهوى ، كما أنّه قد يُصاحب شخصاً ولا يكون هذا الشخصُ ملائماً له ولا على مَشربه. وقد جاءت إشارة إلى هذا البيت في معرض الكلام على بيت آخر من القصيدة نفسها في الجزء الثاني من « قول على قول » .

والبيت من قصيدةٍ مَطلَعُها :

وَفاؤُكما كالرَّبعِ أشجاه طاسِمُه ... بأَنْ تُسعِدا والدمعُ أشفاه ساجِمُه

ومعنى هذا البيت كما يلي :

يخاطب المتنبي خليليه ويقول لهما إن وفاءكما بوعد الإسعاد إذا ضعف وقل شبيه بالربع إذا تقادم عهده ودرست آثاره ، فانه كلما طمست آثاره كان أشجى وأشد حزناً، وكذلك الدمع فإن المحزون يبكي ليَنْفِيَ عنه الحزن ويشتفي ، وكلما كان الدمع ساجماً غزيراً، كان ذلك أشفى للحزن.
والمعنى العام هو أن المتنبي كان يبكي الربع فصار الآن يبكي وفاء خليليه ، فكأنه يقول: كلما ازددت بالربع وبوفائهما وجداً ، ازددت بكاء . فوفاؤهما له بالإسعاد قد عفا ودرس كآثار الديار الطامسة أو الطاسمة ، كالربع الذي إذا درس كان أشجى وأبعث على الحزن . فالبكاء يشفي من الحزن .

وفي هذا المعنى يقول الفرزدق :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يومَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ	بكيتُ فنادتني هُنَيدةُ ماليا
فقلتُ لها إنَّ البكاءَ لراحةٌ	به يَشْتَفِي مَن ظَنَّ أن لا تلاقيا

وفي البكاء يقول العباسُ بن الأحنف في هذا المعنى :

إذا ما دَعوتُ الصَّبْرَ بَعْدَكِ والبكا	أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبرُ
فإن يَنْقَطِعْ منكِ الرجاءُ فإنما	سَيَبْقَى عليكِ الحزنُ ما بَقِيَ الدَّهْرُ

ومن ذلك قول الخُوزي :

سَقَى الدمعُ مغنى الوابلية بالحِمَى	سواجِمَ تُغني جانبيه عن الوَبْل
ولا بَرِحَت عَيني تنوب عن الحيا	بدمعٍ على تلك المَناهِلِ مُنْهَلّ

وقد سَخِر أبو نواس من البكاء على الأطلال ، فقال :

عـــاج الشقيُّ على رسمٍ يسائلُه ورُحت أسأل عن خَمَّـــارة البلد
يبكي على طَلَلِ الماضين من أسدٍ لا دَرَّ دَرُّك قُلْ لي من بنو أسد

وأراني قـــد خرَجْت عن الصَّدَد ، ولكن للحديث شجون ، والكلامُ بالكلام يُذْكَر .

ولْنَعُد الآن إلى ما نحن فيه :

قلتُ إن البيتَ الذي سأل عنه السائلُ الكريم من قول المتنبي .

وفي هذا البيت نُكْتَةٌ لغوية نَبَّه عليها المُفَسِّرون ، وهي عن كلمـــة **يَتَزَيّا** .

ذَكَر ابنُ جِنّي ، وهو عالمٌ لُغَوِي ، أنه سألَ المتنبي عن قوله يَتَزَيّا هل يَعْرِفُه في اللغَة أو في كتابٍ قديم ؟ فقال المتنبي : لا . فقال ابن جِني : فكيف تُقدِم عليه؟ فقال المتنبي: قد جرَت به عادة الاستعمال. فقال ابن جني: وهل تَرْضى بشيءٍ تُورِدُه العامة ؟ فقال المتنبي : ومـا عندكَ فيه ؟ فقال ابن جني : القياس يَتَزَوَّى ، لأنـــه من الزِّي ، وأصلُه زِوْيٌ ، والأصل من الفعل زَوَى .

وذكر الخليلُ بنُ أحمد الفعل تَزَيّا كما قاله المتنبي . وذكره أيضاً صاحب القاموس المحيط ، وقال : تَزَيّا ، وذكر جمعَ زِيّ ، أزْياء ولم يَقُل أزواء على اعتبارِ أنَّ الأصلَ هو زِوْي ، مثلِ كلمة **رِيح** فأصلُها رِوْحُ ، ولذلك تجمع على أرْوَاح استناداً إلى الأصل او أرياح استناداً إلى صورةِ الكلمة ؛ ومن ذلك **عِيد** ، فإن أصلَها عِوْد ، ولكنها لا تجمع على **أعواد** ، بل على **أعياد** .

وأعتقد أنَّ تَزَيّا من قبيـــل الاشتقاق الرَّجْمي مثل : **تَمَنْدَل** ، من

المِنديل ؛ وتَمَذْهَب من المَذْهب ، وتَمَنْطق من المِنطقة أو الحِزام .

لِنَعُد مَرّةً ثانية إلى الكلام عن المتنبي .

قال المتنبي هـذه القصيدة في مَدْحِ سيفِ الدولة عند نزوله انطاكية بعد ظفَرِه بحصن بَرْزُوَيْه ، وكان سيف الدولة جالساً تحت فازة ، أو مِظلّة بعمودين ، من الديباج ، وعليها صورة ملك الروم وصورُ وحشٍ وحيوان. والى هذا يشير المتنبي في قصيدته فيقول :

وما خضَبَ الناسُ البياضَ لأنّـه	قبيحٌ ، ولكنْ أحسنُ الشعر فاحِمُهْ
وأحسَنُ من مـاءِ الشبيبةِ كُلِّه	حَيَا بارقٍ في فـازةٍ أنا شائمُـهْ
عليها رياضٌ لم تحُـكْها سحابـةٌ	وأغصانُ دَوْحٍ لم تَغَنَّ حمائمُـهْ
وفوقَ حواشي كُلِّ ثوبٍ مُوَجَّهٍ	من الدُّرِّ سِمطٌ لم يُثَقِّبْه ناظِمُه
تَرَى حيوانَ البَرِّ مُصْطَلِحاً بها	يحاربُ ضدٌّ ضِـدَّه ويُسالِمُهْ
إذا ضَرَبَتْه الريحُ ماج كأنّـه	تَجُولُ مَذاكيه وتَدْأَى ضَراغِمُه
وفي صورةِ الرومي ذي التاج ذِلّةٌ	لِأَبْلَجَ لا تِيجانَ إلاّ عمائِمُـه

ثم ينتقل المتنبي إلى مدح سيف الدولة، ويَصِفُه بالبطشِ والشدةِ على أعدائه والتنكيل بهم . فهو يقول :

لهعَسْكَرا خَيلٍ وطَيْرٍ إذا رَمَى	بها عَسكراً لم يَبْقَ إلاّ جَماجِمُه

وفي عبـارة : لم يَبْقَ إلاّ جَماجِمُه ، بعضُ النظر . فإنّ بعض الشراح

يقول : يَجوز أن يكونَ المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسِرون، ويأخذون رؤوسَ القتلى يجعلونها في أعناق الأسرى ؛ فلهذ لم تبقَ إلا الجماجم .

ولكنْ لي أنا تفسيرٌ آخر ، ولا بُدَّ أن يكونَ المتنبي عالماً بذلك ، وهو أنَّ آخِرَ ما يَبْلَى من عِظام الميت الجمجمة ، فكأنَّ المتنبي يقول : إن القتلى يَبْلَوْن وتبْلَى عِظامُهم ، ولا يبقى إلا الجماجم لأنه أقوَى على مقاومة البِلى . واللهُ أعلم .

وكلامُ المتنبي عن الطير التي تُرافق جيشه شبيهٌ بكلام النابغةِ الذبياني ، إذ يقول :

إذا ما غَزَوْا بالجيش حلَّق فوقَهمْ عصائبُ طيرٍ تَهتَدِي بعصائب

ويقول أبو تَمّام :

وقد ظُلِّلَت عِقبانُ أعلامه ضُحىً بعِقبانِ طيرٍ في الدماءِ نَواهِلِ
أقامَت مع الرايات حتى كأنَّها من الجيشِ إلاَّ أنَّها لم تُقاتِلِ

ويقول المتنبي في تَتِمَّة مديحه لسيفِ الدولة :

لَقَد سَلَّ سيفَ الدولةِ المجدُ مُعلَماً[1] فلا المجدُ مُخْفِيه ولا الضَرْب ثالِمُه
على عاتِقِ الملكِ الأَغرِّ نِجادُه وفي يَدِ جَبَّار السماوات قائمُه
تُحارِبُه الأعداءُ وهي عَبيدُه وتَدَّخِرُ الأموالَ وهي غنائمُه

---

١ – ويجوز مُعْلِماً .

وَيستكبِرونَ الدهرَ والدهرُ دونَه وَيستعظِمونَ الموتَ والموتُ خادِمُه

وإنَّ الذي سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ وإنَّ الذي سَمَّاه سيفاً لظالِمُه

وعَلِيٌّ هو اسمُ سيفِ الدولة .

وما كُلُّ سيفٍ يَقطعُ الهامَ حَدُّه وتَقْطَعُ لَزْباتِ الزّمانِ مَكارِمُه

وهذا هو آخِرُ بيتٍ في القصيدة .

● **السؤال** : من هو شاعر البيت :

وقد يجمع اللهُ الشتيتين بعدما ... يَظُنان كُلَّ الظن أن لا تلاقيا

صلاح حسن محاري
دنقلة – السودان

★

مجنون ليلى

● **الجواب** : هذا البيت لقيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلى أو بمجنون بني عامر ، من قصيدته اليائية المعروفة التي يقول في أولها :

تذكرتُ ليلى والسنينَ الخواليا ... وأيامَ لا أُعدي على الدهرِ عاديا

ووجدتُ البيت أيضاً من قصيدةٍ لأبي سعدٍ الكاتب في كتاب فوات الوَفَيات ، يقول في مطلعها :

خليليَّ في بغدادَ هل أنتما لِيا ... على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا

ثم يقول :

ولا تيأسا أن يجمعَ اللهُ بيننا ... كأحسنِ ما كُنّا عليه تصافيا

فقـــد يجمع اللهُ الشتيتين بعدما   يَظُنان كُلَّ الظن أن لا تلاقيـا

وُيضَمِّن أبو سعدٍ الكاتب بعضَ أبياتٍ من قصيدة مجنون ليلى ، ومن ذلك مثلاً هذان البيتان :

وخَبَّرْتُمـــاني أنّ تيماءَ مَنزِلُ   لليلى إذا ما الصيفُ أرْخى المَراسِيا

فهذي شهورُ الصيف عنّا قد انقضت   فما للنوى ترمي بليلى المَرَامِيا

والفرق بين القصيدتين أن مجنونَ ليلى يتشوق لليلى وأبا سعدٍ الكاتب يتشوق لبغداد . فهو يقول :

فدىً لكِ يا بَغدادُ كُلُّ مدينةٍ   من الأرض حتي خِطتي وديارِيا

فقد سِرْتُ في شرقِ البلادِ وغربِها   وطوَّفتُ خيلي بينَها وركابيـا

فلم أرَ فيها مثلَ بغدادَ منزِلاً   ولم أرَ فيها مِثلَ دِجلةَ واديا

ويعتذر أبو سعدٍ الكاتب عن تركه بغداد فيقول :

وكم قائلٍ لو كان وِدُّك صادقاً   لبغدادَ لم ترْحَـلْ وكان جوابيا

يُقيم الرجالُ الموسرون بأرضهم   وتَرمي النوى بالمُقترين المَراميا

والظاهر أن أبا سعدٍ الكاتبَ أخذ البيت من مجنون ليلى .



● **السؤال** : من القائل :

تَبَيَّن لي أنَّ القَمـاءةَ ذِلَّةٌ   وأن أشِداءَ الرجال طِوالُها

عبد الصادق بن صالح البو يحيى
الرديف — تونس

★

الشَّعبي

● **الجواب** : هذا البيت قائله الشَّعْبي ، ودَخل يومـاً على عبد الملك بن مروان، فاقتحمته عينُ عبد الملك لأنه كان وُلِد توأماً مع أخيه وكان نحيفـاً فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إني زُوحِمْتُ في الرَّحِم ، ثم قال :

ولما التقى الصَّفَّان واختلف القنا   نِهالاً وأسبابُ المنايا نِهالُها
تَبَيَّن لي أنَّ القماءةَ ذِلَّةٌ   وأنَّ أشِدَّاءَ الرجال طِوَالُها

ويظهر أن العَرَبَ كانت تقول إنَّ التوأم يكون قميئـاً ضئيلَ الجسم ، فعنترة يقول :

بَطَلٌ كأن ثِيابَه في سَرْحَةٍ   يُحْذَى نِعالَ السِبْت ليس بتوأم

ويظهر أن عبدَ الملك بن مروان كان يحتقر القِصار ، كما جَرَى له مع الشعبي.

ودخل عليه كُثيِّر عزة وكان قصيراً دميماً ، فاحتقره عبدُ الملك وازدراه ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين، كُلُّ إنسانٍ عند محلّه رَحْبُ الفِناء شامخُ البِناء عالي السَّناء ، ثم أنشد قصيدته التي مطلعها :

ترى الرَّجلَ النحيفَ فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ هصور

وتُنسَب القصيدة أيضاً إلى عباس بن مِرداس .

ومنهم مَن لم يفتخر بالطول ، مع العلم بأنّ العرب كانت تفتخر به فمن ذلك مثلاً قولُ الشاعر ، وهو مُبَشّر بن الهُذَيل الفزاري كما جاء في معجم الشعراء للمَرْزُبَاني :

إذا كنتُ في القومِ الطِوالِ فَطُلْتُهم ... بعارفةٍ حتى يُقالَ طويلُ

ولا خيرَ في حسنِ الجسوم وطولِها ... إذا لم تَزِن حسنَ الجسوم عقولُ

فكائِنْ رأينا من فروعٍ طويلةٍ ... تموت إذا لم تُحْيِهِنّ أصولُ

فإلاّ يَكُنْ جسمي طويلاً فإنني ... له بالفَعال الصالحاتِ وَصُولُ

ولم أرَ كالمعروفِ أمّا مَذاقُه ... فَحُلْوٌ وأما وَجْهُه فجميل

وقال بنو الدّيّان الحارثيون لحسان بن ثابت : ما زِلْنا نَطُول بأجسامنا على العرب حتى قُلتَ عنا :

دَعُوا التَّجَاُجوَ وامْشُوا مِشيةً سَجَحاً ... إن الرجالَ ذوو قَدٍّ وتذكير

لا باسَ بالقومِ من طولٍ ومِن قِصَرٍ ... جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافير

وأخذَ هذا المعنى ابنُ الرومي فقال :

وُنصَيْفٍ من الرجالِ نَحِيفٍ   راجِح الوزن عند وَزنِ الرجالِ

في أناسٍ أوتُوا حلومَ العصافير   فــلم تُغْنِهِم جسومُ البِغالِ

وينسب البيت المسئول عنه في بعض الكتب إلى رجل من طيء لأنه يقول في أحد أبياتها :

دَعَوْا يا لَسَعْدٍ وانتمينا لطيِّءٍ   أسودُ الشرى إقدامُها ونِزالها

وقوله أيضاً :

دَعَوْا لِنِزارٍ وانتمينا لطيِّءٍ   كاسد الشَّرَى إقدامُها ونزالها

وتقع القصيدة في قريب من عشرين بيتاً وتحتوي على كلمات تحتاج إلى شرح وتفسير .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

أَرَب يَبُولُ الثُعلبانُ برأسِه لقد ذَلّ مَن بالت عليه الثعالب

ماء العينين أبو بكر
أغادير – المغرب

★

لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعالب

● **الجواب:** قائل هذا البيت رجلٌ من العرب اسمه غاوي بن ظالم السلمى، ورأيت البيت في كتاب الاشتقاق لابن دريد وفي غيره. وكتابُ الأمثال للميداني يذكر البيت ولا يسمي القائل ، ولكنه يَنْسبُه إلى رجل من العرب كان يَعْبُد صنماً ، فنظر يوماً إلى ثعلبٍ جاء فبال على الصنم فقال :

أرَبٌّ يبول الثُعلبان برأسِه لقد ذَلّ من بالت عليه الثعالب

وقد ذهب الشطرُ الثاني من البيت مَذهبَ الأمثال . ويقال في المثل أيضاً : أذَلُّ مِمّن بالت عليه الثعالب ، ويقال أيضاً : بال بينهم الثعلب . ويقول حُمَيد ابن ثَوْر :

أَلَمَ تَرَ ما بَيْني وبين ابنِ عامرٍ مِن الودِ قد بالت عليه الثعالبُ

وأصبحَ باقي الودِ بيني وبينه كأن لم يَكـُن،والدهرُ فيهعجائب

وحكاية غاوي بن ظالم المذكور هي أنه كان لبني سُلـَيم قومِه صنم يعبدونه في الجاهلية وكان هو سادناً له ، فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبل ثعلبان اثنان يشتدان فشَغَر كُلٌ واحد منهما رجلـَه وبال على الصنم ، فلمّا رأى ذلك ذهب إلى قومه وقال لهم : يا بني سليم ، واللهِ ما يَضُر ولا ينفع ولا يُعطي ولا يمنع ، ثم أنشد :

أرَبٌ يبول الثّعْلَبان برأسه لقد هان مَن بالت عليه الثعالبُ

ثم كَسَر الصنم وَفرّ . فأتى النبيّ ﷺ فأسلم . فقال له : كيف اسمُك ؟ فقال : غاوي بن ظالم . فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه .

ويُرْوَى البيت = كما ذكرنا أولاً – باستعمال كلمة الثُعلبان (بضم الثاء) وهو ذكر الثعالب .

وقد أورد ابن زيدون في رسالته شطْرَ البيت وهو : لقد هان مَن بالت عليه الثعالب .

وجاء في كتاب الحيوان للدميري قوله عن أبي حاتم الرازي أنّ الرواية هي الثعلبان (بالتثنية) وأن الحكاية هي أن بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان فرفع كل منهما رجلـَه وبال على الصنم وكان للصنم سادن يقال له غاوي بن ظالم فقال البيت وكسر الصنم وأتى النبيّ ﷺ فقال له النبي : ما اسمك ؟ فقال : غاوي بن ظالم . قال : لا بل أنت راشد بن عبد ربه .

وفي «نهاية الغريب» أنه كان لرجل صنم وكان يأتي له بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له : إطعَم . فجاء ثُعلُبان (أي ذكر الثعالب) فأكل الخبز والزبد ثم عَصَل (أي بال على رأس الصنم) .

وفي كتاب الهروي : فجاء ثعلبان (بالتثنية) فأكلا الخبز والزبد .

قال الحافظ بن ناصر : أخطأ الهروي في تفسيره وصحّف في روايته وإنما الحديث : فجاء ثعلبان (وهو الذكر من الثعالب اسمٌ له معروف ولا مثنى له) فأكل الخبز والزبد ثم عصَل على رأس الصنم فقام الرجل فضرب الصنم وكسره وجاء إلى النبي وقال في ذلك شعراً :

لقد خاب قوم أمّلوك لِشِدّةٍ	أرادوا نِزالاً أن تكون تُحارِب
فلا أنت تغني عن أمورٍ تواترت	ولا أنت دفّاع إذا حلّ نائب
أَرَبٌّ يَبُول الثُعلُبان برأسه	لقد ذلّ مَن بالت عليه الثعالب

والحديث مذكور في معجم البغوي وابن شاهين وغيرهما والرجل المذكور راشد بن عبد ربه وحديثه مشروح في كتاب دلائل النبوة لأبي نُعيم الأصفهاني .

وأهلُ اللغة يستشهدون بهذا البيت في أسماء الحيوان والفرق في ذلك بين الذكر والأنثى كما قالوا: الأفعُوان لِذَكر الأفاعي والعُقْربان لذكر العقارب.



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

ولقـد عَلِمتُ بأنَّ دينَ محمـد ... مِن خَيرِ أديانِ البَرِيَّةِ دينا

أحمد سليمان لِهْ البويتي
كبهيد – موريتانيا

★

أبو طالب

● **الجواب :** هذا البيتُ لأبي طالب عَمّ النبي ﷺ وكان شاعراً ، وله القصيدةُ المعروفةُ التي قالها في الشِّعْب الذي أوى إليه بنو هاشم مع الرسول لمّا تحالفت عليهم قريش . ومما قاله في الشِّعب :

ألاَ بَلِّغا عني على ذاتِ بينِنا ... لُؤَيّاً وخُصّاً مِن لُؤَيٍّ بني كعب

أَلم تَعلموا أنا وَجدنا محمّداً ... نبيّاً كموسى خُطَّ في أول الكتب

وأنّ عليه في العِبـــادِ مودّةً ... وخُيِّر فيمن خَصَّه اللهُ في الحب

وقصيدتُه المشهورةُ التي قالها في الشِعب مطلعها :

خليليَّ ما أذْني لأولِ عاذلٍ   بصغواءَ في حقٍّ ولا عِندَ باطلِ

وفيها أقوالٌ كثيرة ضد قريش وفي الدفاع عن النبي .

والبيتُ المسئولُ عنه يأتي مع بيتٍ آخر وهما :

ودَعَوْتني وزَعَمتَ أنكَ صادق   ولقد صَدَقْتَ وكنتَ قبلُ أمينا

ولقد عَلِمتُ بأَنَّ دينَ محمـــد   مِن خَيرِ أديانِ البريةِ دينا

وُيرْوَى البيتان أيضاً على هذه الصورة :

فامْضِ لِأَمرِكَ قدزَعمْتُكَناصحي   فلقد صَدَقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينـا

وَعرَضْتَ ديناً قد عَرفتُ بأَنه   من خيرِ أديانِ البريةِ دينـا

ولهذين البيتين حكايةٌ ذكرها ابن حِجَّةَ الحَمَوي في ثمرات الأوراق نقلاً عن القُرْطُبي . وهي أنَّ النبيَّ ﷺ خَرجَ يوماً إلى الكعبة، وأراد أن يصلي، فلمَّا دَخَلَ في الصلاةِ قال أبو جهل : مَن يقومُ إلى هذا الرجل فيُفْسِدَ عليه صلاتَه ؟ فقام عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى فأخذ فرْثاً ودَماً فلطخ به وجهَ النبي فسلَّم النبي من صلاته وأتى إلى أبي طالبٍ عمِّه ، وقال له : يا عَمّ ، ألاَ ترى ما فعَلَ بي ؟ فقال له أبو طالب : مَن فعل بك هذا ؟ قـــال : عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى . فقام أبو طالب فوضع سيفَه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم ، فلما رأوْه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب : واللهِ إن قام رجلٌ جللْتُه بسيفي هذا . ثم قال للنبي : يا بُنَيّ ، مَن فعل بك هذا ؟ فقال: عبدُ الله بنُ الزبعرى. فأخذ أبو طالب فرْثاً ودماً فلطخَ وجوههم ولحاهم وثيابَهم ، وأساء لهم القول . ثم قال أبو طالب :

واللهِ لن يَصِلوا إليكَ بجمعهم   حتى أُوَسَّدَ في التراب دَفينـا

فامضِ لأمرِكَ قد زعمتُكَ ناصحي فلقد صَدَقْتَ وكنتَ ثَمَّ أمينا
وعَرَضْتَ دِيناً قد عَرَفْتُ بأنه من خيرِ أديانِ البريّةِ دِينا
لولا المَلامةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَني سَمْحاً بذاك قَمِينا

وأبو طالب هو الذي نَزَلت فيه الآية الكريمة: «إنكَ لا تَهْدِي مَن أحببتَ ولكنّ اللهَ يَهدي مَن يشاء».



● **السؤال :** من القائل :

مُحَجَّبَةٌ في الخدر عن كل ناظرٍ   ولو بَرَزت في الليل ما ضَلَّ من يسري

بصير عبد الرحيم

سمارة – الصحراء الأسبانيولية

★

القاضي أبو محمد عبد الوهاب

● **الجواب :** هــذا البيت للقاضي أبي محمد عبد الوهاب ، وهو من جملةِ أبيات ، يقول فيها :

أقولُ لها والدمعُ يَغلِب صَبرَها   أعِدّي لفقدي ما استطعت من الصبر

سأُنفِق رَيْعانَ الشبيبةِ آنِفــاً   على طَلَبِ العَلياء أو طَلَب الأجرِ

أليس من الحرمــانِ أنّ لياليًا   تَمُرُّ بلا نفعٍ وتُحسَبُ من عمري

وكان قد خرج من بغداد مُكرَهاً لقلةِ ذاتِ يده. وكانت وفاته في واسط سنة ٤٣٧ هجرية .

ووَجَدت الأبيات التاليــة في "معجم الأدباء منسوبة" إلى الحسين بن علي

الوزير المغربي :

وَمحجوبةٍ في الخدر عن كُلّ ناظرٍ ... ولو بَرَزت بالليل ما ضَلّ مَن يَسْري

أقولُ لها والعيسُ تُحْدَجُ للسُّرَى ... أعِدّي لِفَقْدي ما استطعتِ مِن الصبرِ

سَأُنفِق رَيعانَ الشبيبة آنِفـاً ... على طَلَبِ العلياء أو طَلَبِ الأَجْرِ

أَلَيس من الخُسْرانِ أنّ لياليـاً ... تَمُرّ بلا نَفعٍ وتُحْسَبُ مِن عُمري

وجاء في فوات الوَفَيات أنّ هذه الأبيات لرافع بن الحسين الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد .



● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة :

١) ومَن يطلب المالَ الممنَّع بالقنا
يَعِشْ مُثْرِياً أو تَخْتَرِمْه المَخارِمُ

٢) فلا صُلْحَ حتى تَعْثُرَ الخيلُ بالقَنا
وتُضْرَب بالبيضِ الرِّقاقِ الجماجِمُ

١ — **عبد الله عبد الله القزيفي**
لحج — جنوب الجزيرة العربية

أحمد نصار
٢ — **قلقيلية — الأردن**

★

عمرو بن بَرَّاقة

● **الجواب** : هذا البيت للشاعر الجاهلي عمرو بنِ بَرّاقَة ، وبَرّاقَةُ أمّه . والبيت من قصيدةٍ قالها عمرو في حادثةٍ له مع رجلٍ من همْدان . فقد أغار هذا الرجلُ واسمُه حريم على إبلٍ لعمروِ بنِ بَرّاقَة وعلى خيلٍ له

فذَهَب بها . فأتى عمرو امرأةً كان يجالسها ويتحدث إليها ويزورها، فأخبرها بما كان من حريم ، وقال لها إنه يُريد الإغارةَ عليه ، فحذّرته من ذلك وقالت له : وَيْحَكَ لا تتعرّضْ لِتَلَفَاتِ حريم فإني أخافُه عليك . فلم يَسْمَع منها وخالفها وأغار على حريم ، فاستاق كُلَّ شيءٍ له وقال في ذلك قصيدةً أولُها :

تقولُ سُلَيمى لا تَعَرَّضْ لِتَلْفَةٍ ... وَلَيلُك عن ليلِ الصعاليكِ نائمُ

وكيف ينامُ الليلَ مَن جُلُّ مالِه ... حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أبيضُ صارمُ

وفيها يقول وهو من مشهور الشعر :

متى تَجْمَعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيًّا تَجْتَنِبْك المَظالمُ

ومَن يَطْلُبِ المالَ المُمَنَّعَ بالقَنا ... يعِشْ ذا غِنىً أو تَخْتَرِمْه المَخارمُ

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوتُهم ... فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالمُ

والبيت : فلا صُلْحَ حتى تَعْثُرَ الخيلُ بالقنا .. من هذه القصيدة .

وفي معنى البيت المسئول عنه يقول جَحْظَة الشاعر :

ومَن يطلبِ المالَ المُمَنَّع بالقَنا ... يَعِش مُثْرِياً أو يُودِ فيمن يُمارِسُ

ولعلّ جحظةَ استعار البيتَ من غيره لأنه يقول من جملة الأبيات ، قبل هذا البيت :

فأنشدتُ بيتاً قاله ذو صَرامَةٍ ... وقد ناوشته بالرِماح الفوارِسُ

ويحكى أن الحجّاج لمّا كان في الكوفة سَمِع تكبيراً في السوق فراعه

ذلك ، فخرج من القصر وصَعِد المنبر ، وبدأ يخاطِب أهلَ العراق ، ثم قال :
إنما مَثَلِي ومَثلكم كما قال عمرو بن بَرّاقة الهَمْداني :

متى تَجمع القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنفاً حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوني غَزَوتُهم فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالم ؟



● **السؤال :** يقول أبو فراس :

عليَّ طِلابُ العِزِّ من مُستَقَرِّه ولا ذنبَ لي إن حاربتني المطالبُ

ويقول محمود سامي البارودي :

عليَّ طِلابُ العز من مستقره ولا ذنبَ لي إن حاربتني المَقادِرُ

هل هذه سرقة ، أم هذا يجوز في الشعر العربي ؟

أحمد سليمان
جبلة – سوريا

✶

أبو فراس – البارودي

● **الجواب :** التشابه في أقوال الشعراء معنىً ولفظاً مردُّه شيئان: السرقة أو توارد الخواطر . وقد بحث العرب في هذين الشيئين ، وخرجوا بأقوالٍ متناقضة . ولكنَّ الشعراءَ في كل دورٍ اعتادوا أن يستعملوا بعض العبارات الثابتة، ولذلك كانوا يكررونها في أشعارهم ، كما هو معروفٌ في شعراء الجاهلية وغيرهم . وقد كنت ذكرتُ عن هذا التكرار والترديد شيئاً في مناسبة سابقة ، وذكرت امرأ القيس بصورةٍ خاصة . ونذكر هنا مثالين على هذه العبارات :
المثال الأول على عبارة : وأترُكُ القِرْنَ مُصفرًّا أنامِلُه. فهذا عَبيدُ بن

الأبرص يقول :

قد أترُكُ القِرْنَ مُصفَرًّا أنامِلُه كأنَّ أثوابَــه مُجَّت بِفِرْصادِ

ويقول أبو المُثَلَّم :

ويَترُكُ القِرْنَ مُصفَرًّا أنامِلُه كأنَّ في رَيْطَتَيْه نَضْخُ أرقان

وتقول رَيْطَـةُ أختُ عمرو بنِ العَجْلان :

والتاركُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُه كأنه مِن رَجيع الجوفِ مَخْضُوبُ

ويقول المُتَنَخِّل الهُذَلي :

والتاركُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُه كأنّه مِن عُقــارٍ قهوةٍ ثَمِلُ

والمثالُ الثاني على عبارة : إذا الجبّار صعّر خدّه .

فالمُتَلَمِّس يقول :

وكُنّا إذا الجبّــارُ صعّر خدَّه أقَمْنا له مِن دَرْئِه مـا تَقوَّما

ويقول الفرزدق :

وكُنّا إذا الجبّارُ صعّر خـــدَّه ضربناه تحت الأُنْثَيَيْن على الكَرْد

ويقول بَشّار :

وكنا إذا الجبّـــارُ صَعَّر خدَّه مَشَيْنا إليه بالسيوف نعاتبُــهْ

ويقول عمرو التغلبي :

وكنا إذا الجبّارُ صعّر خـــدَّه أقَمْنَـــا له من مَيْلِه فتَقَوَّمِ

أي فتَقَوَّمْ أنتَ .

وهذا دليل على أن الشعراء كانوا يستعملون صورةً معينة ويعربون عنها

بعباراتٍ معينة ، ولا مجالَ هنا للسرقة ولا لتوارد الخواطر بالمعنى الصحيح .

والمجال هنا لا يتسع للكلام على سرقات الشعراء وعلى توارد خواطرهم، والذي يريد مزيداً من ذلك فعليه أن يرجع إلى كتب الأدب ومنها كتاب ابن وكيع في سرقات المتنبي ، وقد جـــاء بأمثلةٍ على السرقات شرحُ الشريشي لمقامات الحريري ، وجاء أيضاً بأمثلةٍ على توارد الخواطر .

أما البيتان المسئولُ عنهما ، فإني أميل إلى أنْ بيتَ محمود سامي البارودي تكرارٌ لبيتِ أبي فراس عن طريق الحافظة ، ولكنه لا يخلو أن يكونَ من السرقة .

ومن العبارات الثابتة التي يرددها الشعراء في أشعارهم وهي ليست من قبيل السرقة قولُهم مثلاً : أَطوِّف ما أُطوِّف ؛ نهاري نهارُ الناس ؛ أريد لِأنسى؛ إن أنْسَ لا أَنْسَ ،وما أنسَ مِ الأشياء ، إلى غير ذلك ..

وفي العمدة لابن رشيق بحث في سرقات الشعراء .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

فوحقّ نعليها وما وَطِئ الثرى شيءٌ أعزُّ عليَّ من نعليهـــا

جمال عبد الله

بغداد - العراق

*

ديك الجن

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر ديك الجن ، وهو لقب غلب عليه، واسمه الحقيقي عبدالسلام بن رَغْبان مات سنة ٢٣٥ هجرية . كان تزوج بامرأةٍ من أهل حمص اسمُها (ورد) وكان يُحِبُّها . فخرج يوماً عن حمص في سفرٍ طويل، وفي أثناءِ غيْبته زوّر عليه ابنُ عَمٍّ له أخباراً فيها قَدْحٌ بعَفافِ زوجته ، وأشاع أنّها تُحب غلاماً له في البيت ؛ وشاع الخبرُ حتى وَصَل إلى أسماع ديك الجن . فعاد إلى حِمص ، فلاقاه ابنُ عمه وأخذ يُعنّفه على تمسكِه بزوجته بعد ما شاع عمّا بينها وبين الغلام ، فلما جاء إلى البيت قتلَها . ولكنه نَـدِم على ذلك ندماً شديداً ، بعد أن بَلَغه أنّ الحكاية كُلّها لا أصلَ لها وإنمـــا هي مُختلَقة من أساسها . ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يأكل إلاّ ما يُقيم رَمَقه ، وقال في ندمه على قتلها :

يا طَلْعةً طلع الحِمامُ عليهـــا ... وجَنَى لها ثَمَرَ الرَّدَى بيديها

روَّيتُ مِن دَمِها الثرى ولطالما ... روَّى الهوى شَفَتَيَّ مِن شفتيها

قد بات سيفي في مجالِ وشاحِها ... ومدامعي تجري على خديها

فوَحَقِّ نعليها وما وطىء الحصَى ... شيءٌ، أعزُّ عليَّ من نعليها

وقال فيها :

أشْفَقْتُ أن يَرِدَ الزمانُ بغدره ... أو أبتلَى بعد الوصـــالِ بهجره

قمرٌ أنا استخرجته من دَجْنِه ... لِبَلِيَّتي وجَلَوْتُـه من خِدره

فقتلتُه وبـه عليَّ كرامــةٌ ... فَلَهُ الحشَى وله الفــؤادُ بأسره

لو كان يَدري الميْتُ مـــاذا بعده ... بالحيِّ حَـلَّ بكى له في قبره

وقال فيها أيضاً :

أساكِنَ حُفرةٍ وقرارِ لَحْدٍ ... مُفارقَ خُلَّةٍ مِن بعد عَهْدِ

أَجِبْني إنْ قَدِرتَ على جوابي ... بحقِّ الوُدِّ، كيف ظَلِلْتَ بعدي

أمـا واللهِ لو عايَنْتَ وَجدي ... إذا استعبرتُ في الظلماء وحدي

وَجدَّ تَنَفُّسي وعلا زفيري ... وفاضت عَبرتي في صحن خَدِّي

إذنْ لَعَلِمتَ أني عن قريبٍ ... سَتُحْفَرُ حُفرتي ويُشَقُّ لحدي

ثم يقول في القصيدة :

ويَعْذُلني السفيهُ على بكائي ... كأني مُبْتَلىً بالحُزن وحـدي

يقول قتلتَها سَفَهاً وجهلاً ... وتبكيها بكاءً ليس يُجدي

كصيّادِ الطيورِ له انتحابٌ ... عليها وهو يَذبحها بِجدّ

وقال فيها أيضاً :

ما لامرىءٍ بيدِ الدهرِ الخؤونِ يدٌ ... ولا على جَلَدِ الدنيا له جَلَد

طُوبَى لأحباب أقوامٍ أصابَهمُ ... مِن قبلِ أن عَشِقوا موتٌ فقد سَعِدوا

يا دَهرُ إنكَ مَسْقِيٌّ بكأسِهِم ... ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وَرَدوا

وقال فيها يتشوق إليها :

أما آنَ للطيفِ أن يأتيا ... وأن يَطْرُقَ الوطنَ الدانيا

وإني لأَحسَبُ ريبَ الزمان ... يَترُكني جَسَداً باليا

سأَشكُرُ ذلك لا ناسياً ... جميلَ الصفاءِ ولا قاليا

وقد كنتُ أَنشُرُه ضاحكاً ... فقد صِرت أَنشُرُه باكيا

ويقال في حكاية أخرى أن ديكَ الجن كان له جاريةٌ وغلام وكان يحبهما حبّاً شديداً ، فوجدهما يوماً تحت غطاءٍ واحد فقتلها وأحرق جسديهما وأخذ رمادهما وخلط به شيئاً من التراب وصنع منه كوزين للخمر ، كان يُحضِرُهما في مجلسِ شرابه ، ويَضَع أحدَهما عن يمينه والآخر عن يَساره ، فتارة يُقَبِّل الكوزَ المتخذَ من رماد الجارية وينشد :

يا طَلعةً طَلَع الحِمامُ عليها ... وجَنى لها ثمرَ الرَّدَى بيديها

رَوَّيتُ من دَمِها الثرى ولطال ما   روَّى الهوَى شفتيَّ من شفتيها

وتارةً يقبِّل الكوزَ المتخذَ من رماد الفلام ويُنْشِد :

وقتلتُه وبه عليَّ كرامةٌ   فلِه الَحشَى وله الفؤادُ بأسره

عهدي به مَيْتاً كأحسنِ نائمٍ   والُحسْنُ يَسْفَح أدمعي في حِجْره

وقد ذكرنا أشياء أخرى عن ديك الجن في الجزء الثاني من هذا الكتاب .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

فإن تُولِني منك الجميلَ فأهلُه ... وإلاّ فإني عـــاذر وشكور

عبد السلام بلقاسم
صرمان – ليبيا

★

أبو نواس

● **الجواب :** هذا البيت لأبي نواس من قصيدةٍ مدح بها أبا نصْرٍ الخصيبَ ابنَ عبد الحميد صاحبَ ديوان الخراج في مصر ، وأوّلها :

أَجـارةَ بَيْتَينا أَبُوكِ غَيورُ ... ومَيْسورُ ما يُرْجَى لديكِ عسيرُ

وفيها يتفجع على تركه الوطن ، وارتحالِه إلى مصر مُتَغَرِّباً ، ثم يقول في أواخرها يمدح الخصيب :

زها بالخصيب السيفُ والرمحُ في الوَغَى ... وفي السِلْمِ يَزهو مِنْبَرٌ وسريرُ
جوادٌ إذا الأيدي قُبِضْنَ عن الندى ... ومن دونِ عَوْراتِ النساء غيورُ
فإني جديرٌ إن بَلَغْتُكَ ، بالغِنى ... وأنتَ ، لِمَا أَمَّلْتُ منك جدير

فإن تُولِني منكَ الجميلَ فأهلُه ... وإلاّ فإني عـــاذِرٌ وشكورُ

ولمّا عاد إلى بغداد مدح الخليفة . فقيل له : وأيّ شيء تقول فينا بعد أن قلتَ في بعضِ نُوّابنا :

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيبِ ركابُنا ... فأيَّ فتىً بعدَ الخصيب تَزُورْ

فما جازَه جُودٌ ولا حلّ دونَـــه ... ولكنْ يَصِيرُ الجودُ حيث يَصِيرُ

فاطرق أبو نواس ، ثم رفع رأسه وأنشد يقول :

إذا نحنُ أثنَينا عليكَ بصالحٍ ... فأنتَ كما نُثنِي وفوقَ الذي نُثْنِي

وإن جرَت الألفاظُ منّا بمدْحةٍ ... لِغيرِك إنساناً فأنتَ الذي نَعني

ومَدَح أبو نواس الخصيب بأشعارٍ عديدةٍ أخرى ، ومنها بيتُه المشهور :

أنت الخصيبُ وهـــذه مصر ... فتدفّقــا فكِلاكُما بَحرُ

ويقال إنّ ولادة بنتَ المستكفي صاحبة ابن زيدون مرت يوماً بدار الوزير ابن عَبْدوس ، وكانت تُبْغِضُه لأسبابٍ تتعلق بحبّه لها ، وهو جالسٌ بالباب وحوله جماعةٌ من أصحابه ، وأمامَه بركةٌ تتولّد من مراحِيضَ وأقـــذار ، فوقفتْ عليه وقالت : يا أبا عامر

أنت الخصيبُ وهذه مِصْرُ ... فتدَفّقا فكِلاكُما بَحْرُ

● **السؤال :** في أية مناسبة قال صاعد :

أتتكَ أبا عـامرٍ وردةٌ   يُذَكِّرُكَ المسكُ أنفاسَها
كعذراءَ أبصرها مُبْصِر   فَغَطَّتْ بأكمامهـا رأسَها

بو عبوش محمد
زاكورة — المغرب

★

صاعِدُ اللُّغَوِي

● **الجواب :** هذان البيتان لصاعدٍ اللـُّغَوي، ولهما حكاية ، فإن المنصورَ ابنَ أبي عامر المذكورَ في البيتين كان قـــد بلغه من الأدباء الذين كانوا يغشون مجلسَه أنّ صاعداً يقول الشعر ويُحَدّث الأحاديثَ سَرِقةً من غيره؛ فبينما كان صاعدٌ في مجلس ابن عامر أُدخِلت على ابن عامرٍ وردةٌ لم تتفتح بعد ولم تزل في أكمامها ، فقال صاعدٌ ارتجالاً :

أتتكَ أبـا عامرٍ وردةٌ   يُذَكِّرُكَ المِسْكُ أنفاسَها
كعذراءَ أبصرها مُبْصِرٌ   فغطّـت بأكمامها راسَهـا

فسُرّ المنصور بالبيتين ؛ وكان ابنُ العريف ، وهو من حُسّادِ صاعد ، حاضراً فاغتاظ ، وقال إن هذين البيتين لغيره ، وهو إنما سَرقهما وانتحلهما لنفسه . ثم ذَهَب ابنُ العريف هذا إلى أحدِ الأدباء المعروفين بحسن البديهة ، فوصف له ما جرى في مجلس ابن عامر . فوضع لابن العريف أبياتاً بدأها بقوله :

عَشَوْتَ إلى قصرِ عَبّاسةٍ وقد صَرَعَ النومُ حُرّاسَها

وأدخل البيتين من جملة الأبيات . فكتب ابنُ العريف الأبياتَ وأخذها إلى أبي عامر لِيُبَرْهِنَ على أنّ صاعداً من سُرّاق الشعر . فاغتاظ أبو عامر ، وعَزَم على أنْ يَمْتَحِنَه امتحاناً عسيراً. فدعا أبو عامر صاعداً إلى مجلسٍ فيه طَبَقٌ عليه ضروبٌ من الأنوار والياسَمين ، على بركة ماءٍ حَصْباؤها من الدر والجوهر ، وكان الناس حضوراً . فقال له : هذا طَبَقٌ فيه شيءٌ ما توهمت أنه قُدّم بين يَدَيْ ملكٍ قبلي ، فصِفْه . فقال صاعدٌ على البديهة :

أبا عامرٍ هل غيرُ جدْواك واكِفٌ وأعجبُ ما يلقاه عندك واصِفُ
وشائعُ نَوْرٍ صاغها عامرُ الحيا حُلِيًّا فمنها عبقرٌ ورفارفُ
ولمّا تناهى الحسنُ فيها تقابلت عليها بأنواعِ الملاهي الوصائف
كمثل الظِباءِ المُسْتَكِنّةِ كُنَّساً تُظَلِّلُها بالياسَمين السقائفُ

والحكايةُ بكاملها موجودة في الذخيرة لابن بسّام . ويحكى أيضاً من هذا القبيل عن صاعد أنه كان يوماً مع أبي عامر في أرض الزهراء ، فأخذ أبو عامر شيئاً من التُرُنْجان ورمى به إلى صاعدٍ كأنه يطلب إليه أن يصفه ، فقال صاعدٌ على البديهة :

لم أدرِ قبل تُرُنْجانٍ عَبِثتَ به ... أنّ الزُمُرُّدَ قُضبانٌ وأوراقُ

من طيبه سَرَق الأُتْرُجُّ نَكهتَه ... يا قومُ حتى من الأشجار سَرّاق

كأنما الحاجبُ المنصورُ علَّمه ... فِعلَ الجميل فطابت منه أخلاق

مَن ليس يُقْعِدُه عن سُؤددٍ كَرَمٌ ... ولا يَقُومُ له في سوأةٍ ساقُ



● السؤال : من صاحب هذه الأبيات وفي من قيلت :

قالت أُمَامَةُ يومَ بُرقةِ واسطٍ يا ابنَ الغدير لقد جعلتَ تَغَيَّرُ

الشاذلي الطاهر التليلي

باردو – تونس

★

ابن الغدير

● الجواب : هذا البيت لرجل اسمُه حسّانُ بنُ الغدير ، ولهـذا البيت حكاية ، فإن ابنَ الغدير هـذا ، رأى فتاةً من بني جُشمَ بنِ بَكر وكانت من أجملِ الفتيات ، فخطبها لنفسه ولكن لم يُقَدَّرْ له أن يتزوجَ بها . ثمَّ انقضى على ذلك أربعون سنة ؛ وجاء أهلُها إلى بلادِ ابنِ الغدير ومَعَهم عجوزٌ كانت تسأل عنه وهي الفتاة التي كان قد خطبها ، فلما جاءها ونَظَرَتْ إليه ورأته قد أسنّ ، قالت : أنتَ ابنُ الغدير ؟ فقال : نعم ، فقالت : لقد أكل الدهرُ عليكَ وشرِب . فقال يصف حالَه :

قالت أمامةُ يومَ بُرقَةِ واسطٍ يا ابنَ الغدير لقد جعلتَ تنكَّرُ

أصبحتَ بعد شبابِكَ الغَضّ الذي وَلّت شبيبتُه وغُصنُك أخضر

شيخاً دعامتُك العصا ومُشيَّعاً لا تبتغي خَبَراً ولا تُستَخْبَرُ

فأَجبتُها أنْ مَن يُعمَّرْ يَعْتَرِفْ ما تَزْعُمِين ويَنْبُ عنه المنظر

إلى أن يقول :

وشَرِبتُ في القَعْبِ الصغير وقادني نحوَ الجماعة مِن بَنِيَّ الأَصغر

والحكايةُ موجودةٌ في ذيل الأمالي والنوادر لأبي عليٍّ القالي وغيره .



● **السؤال :** من قال هذه الجملة وما المناسبة :

« وعند جهينة الخبرُ اليقين » .

محمد عبد الله حنوش
ابقيق – المملكة العربية السعودية

★

جُهَينة

● **الجواب :** في رواية هذا المثل اختلاف ، فالأصمعي كان يقول : وعند جُفَيْنَةَ ؛ وقال أبو عبيدة : وعند حُفَيْنة ؛ وقال هشام ابن الكلبي : وعند جهينة . وقال أبو عُبيدة : كان ابنُ الكلبي في هذا النوع أكثر من الأصمعي ، أي إن قولَ ابنِ الكلبي أصح ، وعلى هذا فإن المثلَ يُرْوَى على الوجه الأصح بـ : وعند جهينةَ الخبرُ اليقين .

ولهذا المثل حكايتان. نَرْوي أولاً الحكاية الأولى :

(١) قال السيرافي : جُهَيْنَةُ اسمُ خمّارٍ اجتمع عنده رجلان فشَرِبا وسكرا ، ثم تَوَاثَبا ، فقام شخصٌ ثالثٌ يُصْلِحُ بينهما فقتَله أحدُ

الاثنين ، فأخذَ أهلُ القتيل الرجلين إلى الحاكم ، فقال الحاكم : عليكم بجهينة ، فإن عنده الخبرَ اليقين .

(٢) والحكايةُ الثانية هي أنّ رجلاً اسمُه حُصَيْنُ بنُ عَمرِو بنِ معاويةَ بنِ كلاب خرَجَ يَطلُبُ فُرْصَةً له ، فاجتمع برجلٍ من جُهَينة يُقال له الأخنَسُ ، فنزَلا في بعضِ منازِلِهما ، وتعاقدا أن لا يَلْقَيا أحداً إلاّ سلَباه ، وكلاهما فاتِكٌ . فلقيا رجلاً فسلباه كلّ ما معه فقال لهما : هل لكما أنْ تَرُدّا عليّ بعضَ ما أخذْتُماه مني ، وأدُلّكما على مغنم ؟ فقالا : نعم . فقال لهما : هذا رَجُلٌ لَخْميٌّ قَدِم من بعضِ الملوك بمَغْنَمٍ كثير ، وهو خلْفِي في موضعِ كذا . فقَبِلا منه ، ورَدّا عليه بعضَ ماله . ثم طَلَبا اللخْميّ فوجداه نازلاً في ظلّ شجرة ، وقدّامَه طعامُه وشرابُه ، فحَيَّياه وحيّاهُما ، وعرَض عليهما الطعامَ ، فنزلا وأكلا وشربا معه ، أي مع اللخمي . ثم إنّ الأخنَسَ ذهَب لبعضِ شأنه ، فاغتنم حُصَيْنٌ غيابَ صاحبه ، فقام وضرَب اللخْميَّ بسيفه . فلمّا رَجع الأخنسُ وَجد سيفَ صاحبه مسلولاً ، ووجد اللخميَّ يتشحّط في دمه ، فسلّ سيْفَه وقال لحصين : وَيْحكَ قتلتَ رجلاً قد تحرّمْنا بطعامه وشرابه . فقال حُصَيْن : أقْعد يا أخا جُهَينة ، فلهذا وشِبهِه خرَجنا . ثم إن الأخنَسَ الجُهَنِي شغَل صاحبَه بشيءٍ ثم وَثب عليه فقتله وأخذَ متاعَه ومتاعَ اللخمي ؛ ثم انصرف إلى قومه راجعاً بماله ، فمرّ ببَطنين من قيس يقال لهما مِراح وأنمار ، وإذا امرأةٌ تنْشُد الحصين في المواسم ، وتسأل عنه ، فلا تجِدُ من يُخبِرها بخبره . فقال الأخنسُ حين أبصرها : من أنتِ ؟ قالت : أنا صخرةُ امرأةُ الحُصَيْنِ الغطفاني (ويقال إنها كانت أختَه) . فمضى وهو يقول :

وكم مِن ضَيْغَمٍ وَرْدٍ هَموسٍ أبي شِبْلَين مَسكنُه العرينُ
عَلَوْتُ بياضَ مَفرِقه بعَضبٍ فأضحى في الفلاةِ له سُكون

وأضحت عِرسُه ولها عليه … بُعَيْدَ هُدُوٌّ لَيلتِها رَنينُ
كَصَخْرَةَ إذ تُسائِل في مِراجٍ … وأغْـارٍ وعلمُها ظُنُون
تُسائِلُ عن حُصَيْنٍ كُلَّ ركبٍ … وعند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ

وتُروى هذه الأبيات على هذه الصورةِ أيضاً :

وكمْ مِن فارسٍ لا تَزْدَريه … إذا شَخَصَت لرؤيته العُيونُ
عَلَوْتُ بياضَ مَفرِقه بعَضبٍ … يَبين لوقعه الهامُ السُكونُ
يَذِلُّ له العَزيزُ وكُلُّ ليثٍ … من العِقبان مَسْكَنُه العَرينُ
فاضحتْ عِرسُه ولها عليه … هُدُوًّا بعدَ رَقْدَتها أنينُ
كَصَخْرةَ إذ تُسائِلُ في مِراج … وفي جَرْمٍ وعِلْمُها ظُنونُ
تسائل عن حُصَينٍ كُلَّ رَكْبٍ … وعند جُهَينَةَ الخبرُ اليقينُ
فمن يَكُ سائلاً عني فعندي … لسائِلِهِ الحديثُ المُسْتَبينُ

ونُوجَد حكايةٌ ثالثة، على رأي الأصمعي، وهي أنَّ جُفَيْنَةَ (لا جُهَيْنة) رَجُلٌ كان يعلم خبرَ قَتيلٍ كان قد قُتِل، وكان قومُه يبحثون عنه، فأخْبَرَهم به. وفيه يقول الشاعر :

تُسائلُ عن أبيها كُلَّ ركبٍ … وعند جُفَيْنَةَ الخبرُ اليقين

ويُفْهَمُ من هذه الحكاية أن التي كانت تبحث عن الخبر هي ابنةُ الرجل المقتول، وهو أبوها .

ويُقال أحياناً عن الشخصِ العالم بحقيقة الأخبار إنه جهينةُ الأخبار كما قال الحريري في مقامته الفراتية ، واستعمل العبارة اليازجي في مقامته الرُّصافية، فقـال :

إذا كان العبـــادُ بكلّ عصرٍ	شِمَالَ غَريبـةٍ فأنا اليمينُ
سَلُوا عَمَّا أَرَدْتُم من فنونٍ	فَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

ولا السانحاتُ البارحـاتُ عَشِيةً أمرَّ سلـيمُ القرن أم مرَّ أعضب

ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنهى وخيرِ بني حواءَ والخيرُ يُطلَب

عبد الرحيم بن أحمد
أنواذيب — موريتانيا

★

الكُمَيْتُ بن زيد

● **الجواب :** هذان البيتان من قصيدةٍ مشهورةٍ للشاعر الكُمَيت بن زيد الأسدي ، ومطلعُ القصيدة :

طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطْرَبُ
وما لَعِباً مني وذو الشوقِ يَلْعَبُ

ثم يقول بعد المطلع :

ولم تُلْهِني دارٌ ولا رسمُ مَنزِلٍ ولم يَتَطَرَّبْني بَنـــانٌ مُخَضَّب

ولا السانحاتُ البارحاتُ عَشِيةً أمرَّ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعْضَب

ولكنْ إلى أهل الفضائلِ والنُهى   وخيرِ بني حواء والخيرُ يُطلَب

وكان الكميت في أيام بني أمية، وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم، ومَدَحهم وتعصّب لهم بقصائد عُرِفت بالهاشميات .

ويقال إنّ الكميت هجا قبائلَ قحطان بقصيدةٍ من قصائده ، فغَضب عليه خالدٌ القَسْريِ ، فأراد أن ينتقِم منـــه . فجاء بجوارٍ اشتراهُنّ وروّاهُن قصائدَ الكميت الهاشميات ثم دسّهُن إلى هشام بن عبد الملك . فلما سمع هشامٌ تلك القصائدَ أمر بإحضار الكميت ، فأخـذ هشامٌ يُذكّره بأقوالِه في تلك القصائد ، وهو يعتذر ويقول شعراً يمدح به بني أمية في حكاية طويلة ، إلى أنْ رَضِي عنه .

ويقال أيضاً إنّ الكميت جاء إلى الفرزدق يوماً لمّا قدِم الكوفة فقال له : إني قد قلتُ شيئاً فاسْمَعْه مني يا أبا فِراس . قال : هاتِه . فأنشده قصيدَته البائية . فلما سمعها الفرزدق قال : يا ابن أخي أذِع أذِعْ فأنتَ واللهِ أشعرُ مَن مضَى وأشعرُ من بقي .

وسُئِل مُعاذٌ الهرّاءُ يوماً : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أمِن الجاهليين أم مِن الإسلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين . فقال : امرؤُ القيس وزهيرُ وعَبيد ابن الأبرص، قالوا : ومن الإسلاميين ؟ قال:الفرزدق وجرير والأخطل والراعي. فقالوا له : يا أبا محمد ، ما رأيناكَ ذكرتَ الكُميت فيمن ذكرت ؟ قال : ذاك أشعرُ الأوّلِين والآخِرين .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

إنَّ من البيانِ لَسِحْرا .

فهد محمد النجدي
المملكة العربية السعودية

★

إن من البيانِ لسحرا

● **الجواب :** قائل هذه العبارة هو النبي ﷺ. والحكاية كما أوردها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ، هي كما يلي :

سأل رسولُ الله عَمْرَو بنَ الأهتم عن الزِبْرِقان بنِ بدرٍ ، فأجاب: مانعٌ لحوزته ، مُطاعٌ في أدْنَيْه ، شديدُ العارِضة .

فقال الزِبْرِقان : أَمَا إنَّه قد عَلِمَ أكثرَ مما قال ، لكنَّه حَسَدني شرفي .

فقال عمرو بنُ الأهتم : أَمَا لَئِن قال مـــا قال ، فوالله ما عَلِمْتُه إلاَّ ضَيِّقَ الصدر ، زَمِرَ المُروءة ، لَئيم الخال ، حديثَ الغِنى .

فلمَّا رأى أنه خالفَ قولُه الآخِرُ قولَه الأول ، ورأى الإنكارَ في عين

رسولِ الله ، قال :

يا رسولَ الله ، رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ما عَلِمتُ ، وَغضِبْتُ فقلتُ أقبحَ ما علمتُ ؛ وما كَذَبْتُ في الأولى ، ولقد صَدَقْتُ في الأخرى .

فقال النبي عند ذلك : إنّ من البيانِ لسحرا .

ومعنى ذلك أنّ البيانَ يعمل عملَ السحر ، ومعنى السحر إظهارُ الباطل في صورة الحق .

والبيانُ اجتماع الفصاحة والبلاغة وذَكاءِ القلب مع اللَّسَن. وشُبِّه البيانُ بالسحر لحدةِ عمله في سامعه وسرعةِ قبول القلب له .

وقد ذهب قول النبي مثلاً ، يُضْرَبُ في استحسان المنطق وإيرادِ الحجة البالغة .

وفي كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ، فصلٌ خاصٌ بالبيان ومعنى البيان. فهو يقول :

قال بعضُ جهابذةِ الألفاظ ونُقّاد المعاني: المعاني القائمةُ في صدورِ العباد ، المُتَصَوَّرةُ في أذهانهم، والمُتَخَلِّجة في نفوسهم ، والمُتَّصِلَةُ بخواطرهم، والحادثةُ عن فِكرِهم ، مَستورةٌ خفيّة ، وبعيدةٌ وَحْشِيّة ، ومَحجوبةٌ مكنونة . ولا يَعرِفُ الإنسانُ ضميرَ صاحبه ، ولا حاجةَ أخيه وخليطه ، ولا معنى شَرِيكِه والمعاوِنِ له على أموره ، وعلى ما لا يَبْلُغُه من حاجاتِ نفسِه إلاّ بغيره . وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرِهم لها ، وإخبارِهم عنها ، واستعمالِهم إياها . وهذه الخِصالُ هي التي تُقرِّبُها من الفهم ، وتُجْلِبُها للعقل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهراً ، والغائبَ شاهداً ، والبعيدَ قريباً ، وهي التي تُخلِّص المُلْتَبِس ، وتَحُلُّ المُنْعَقِد ، وتَجعلُ المهملَ مُقيَّداً ، والمُقيَّدَ مُطلَقاً ، والمجهولَ معروفاً ، والوحشيَّ مألوفاً ، والغُفْلَ

موسوماً ، والموسومَ معلوماً ؛ وعلى قَدْرِ وضوحِ الدّلالةِ وصوابِ الإشارة ، وحُسنِ الاختصار ، ودِقّةِ المَدْخل ، يكون إظهارُ المعنى . وكلّما كانت الدلالةُ أوْضحَ وأفصح ، وكانت الإشارةُ أبيَنَ وأنوَر ، كان أنفعَ وأنجع . والدّلالةُ الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيانُ الذي سَمِعْتَ اللهَ تبارك وتعالى يَمدَحُه ويدعو إليه ، ويَحثُّ عليه . وبذلك نطق القرآن ؛ وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت وأصنافَ العجم .

ثم يَقول :

والبيانُ اسمٌ جامع لكل شيء كَشَفَ لَكَ قِناعَ المعنى وهَتَكَ الحُجُبَ دون الضمير ، حتى يُفضِيَ السامعُ إلى حقيقته ، ويَهجُمَ على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أيّ جنسٍ كان ذلك الدليل ، لأنّ مدارَ الأمر والغايةَ التي إليها يَجري القائلُ والسامعُ إنما هو الفهمُ والإفهام ؛ فبأيّ شيءٍ بلغتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى ، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع .

وقال غيرَ ذلك .

وأورد الجاحظُ في كتابه « البيان والتبيين » أقوالاً كثيرةً عن البيان ، منها أنّ رجلاً تَكلّم في حاجةٍ عند عُمَرَ بنِ عبد العزيز ، بكلامٍ رقيقٍ مُوجَزٍ ، فقال عُمَر : واللهِ إنّ هذا للسحرُ الحلال .

وكانت العربُ تَعتمد على القول وجزالته ، وعلى حسن البيان . وكانوا يَعُدون العِيّ أشدّ عليهم من المرض المُزْمِن فكانوا يقولون : عِيّ أبأسُ مِنْ شَلَل .

ويقول الأخطل :

إنّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلا

وقال معاويةُ لِصُحار بن العَبّاس العَبْدِي : ما هـذه البَلاغةُ فيكم عبدَ القيس ؟ قال شيءٌ يختلج في صدورنا فتَقْذِفُه ألسِنَتُنا كما يَقْذِف البحرُ الزَّبَد .

وأنشدَ ابنُ الخيلِ البَغْدادي :

في زُخْرُف القولِ تزيينٌ لباطله | والحقُّ قد يعتريه سُوء تعبيرِ
تقول هذا مُجَاجُ النحلِ تَمْدَحُه | وإن ذَمَمْتَ فقُل قيءُ الزنابيرِ
مَدْحاً وذمّاً وما جاوَزْتَ وَصْفَهما | حُسْنُ البيانِ يُري الظلماءَ كالنور

وقال خالد بن صَفوان : لا تكونُ بليغاً حتى تُكلِّمَ أَمَتَكَ السوداء في الليلةِ الظلماء في الحاجةِ المهمة بما تتكلّم به في نادي قومك (فتَفهم كلامَك).

والحكايةُ عن رسول الله وقوله : إنّ من البيان لسحراً موجودة أيضاً ، كما أوردناها ، في كتاب مجمع الأمثال للميداني

وجاءت الحكاية في زهر الآداب على النحو التالي :

وفد إلى رسول الله ﷺ الزِبْرِقان بن بَدْر وعمرو بن الأهتم . فقال الزِبرقان : يا رسولَ الله ، أنا سيّد تميم ، والمُطاع فيهم ، والمُجاب منهم ، آخُذ لهم بحقّهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذاك - يعني عمراً - .

فقال عمرو : أَجلْ يا رَسُولَ الله ، إنه مانع لِحوزته ، مُطاع في عشيرته ، شديدُ العارضةِ فيهم .

فقال الزِّبْرِقان : أَمَا إنه والله قد عَلِم أكثرَ مما قال ، ولكنّه حَسَدني شَرَفي .

فقال عمرو : أَمَا لَئِن قال ما قال ، فوالله ما عَلِمتُه إلاّ ضَيّق العَطَن ، زَمِرَ المُروءَة ، أحمَقَ الأبِ ، لئيمَ الخال ، حديثَ الغِنى .

فرأى الكراهة في وجه رسولِ الله ، لمّا اختلف قولـُه . فقال : يا رسولَ الله رَضِيتُ فقلْتُ أحسنَ ما عَلِمتُ ، وغضِبتُ فقُلتُ أقبحَ ما عَلِمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدَقتُ في الثانية .

فقال رسول الله : إنّ من البيان لَسِحْرا ، وإنّ من الشعر لَحِكمة .

وروى أهلُ الثبَت أنه قَدِم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعَجب الناسُ لبيانهما ، فقال رسول الله : إنّ من البيان لَسِحْرا ، أو إن من بعض البيان لسحرا .

وكان العرب يسمون الكلامَ الحسنَ الغريب « السحر الحلال » ويقولون عنه أو عن اللفظ الجميل إنه من النّفَثات في العُقد .



● السؤال : من قائل هذين البيتين وفي أية مناسبة :

ما قال (لا) قَطُّ إلاّ في تشهدِه لولا التشهدُ كانت لاءه نَعَمُ

عَمَّ البريةَ بالإحسانِ فانقشعت عنها الغياهِبُ والإملاقُ والعَدَمُ

علي تيراب آدم
بانقي – أفريقيا الوسطى

*

الفَرَزْدَق

● الجواب : هذان البيتان للفَرَزْدَقِ الشاعرِ الأموي المعروف ، وهما من قصيدةٍ قالها في مدحِ زينِ العابدين ، ومطلعها :

هذا الذي تَعْرِف البطحاءُ وطأتَه والبيتُ يَعْرِفه والِحلُّ والَحرَم

ويقال إنّ الفرزدق حَجّ بعدما كَبِر ، وكان في السبعين من عمره ، وكان هِشام بنُ عبد الملك قد حَجَّ في ذلك العام ، فرأى عليَّ بنَ الحسين وهو زينُ العابدين في غُمارِ الناس في الطّواف فقال : مَن هذا الشابُّ الذي تَبْرِق أسِرّةُ وجهه كأنه مِرآةٌ صينيةٌ تتراءى فيها عَذارى الحيّ وجوهَها ؟

فقالوا : هذا عليّ بنُ الحسين بن ِعليّ بن ِ أبي طالب صلواتُ الله عليهم ، فقال الفرزدق قصيدتَه ، فغضب هشامٌ وحبسه بين مكةَ والمدينة ، فقال الفرزدق:

أتَحْبِسُني بين المدينةِ والتي ... إليها قلوبُ الناس يَهْوِي مُنِيبُها

يقلِّب رأساً لم يكن رأسَ سيدٍ ... وعيناً له حولاءَ بادٍ عُيوبُها

فبلغ شعره هشاماً فأطلقه. وتنسب القصيدة أو أبيات منها إلى غير الفرزدق.

ولأبي نواس في كثرةِ قول (لا) ثلاثةُ أبيات ، تخالف قولَ الفرزدق في كثرةِ قول (نعم) :

أنْضَيْتِ أحرفَ (لا) مما لَهِجْتِ بها ... فحوِّلي رحلَها عنها إلى (نَعَمِ)

أو حوِّليها إلى (لا) فهي تَعدِلُها ... إن كنتِ حاولتِ في ذا قِلَّةَ الكَلِمِ

قِسْتُم علينا فعارضنا قياسَكُمُ ... يا مَن تناهى إليه غايةُ الكرمِ

ويقول أبو قطيفة :

أفلا تَميل إلى (نَعَمْ) ... أو تركِ (لا) حتى الممات

ويقول أحمد بن سليمان :

قل لي (نَعَمْ) مرةً إني أُسَرُّ بها ... وإن عَدَانِيَ ما أرجوه مِنْ نَعَمِ

فقد تعوّدتَ (لا) حتى كأنك لا ... تَعُدُّ قولك (لا) إلاّ من الكرم

ويقول داود بن سَلْم التميمي في مدح قُثَم بن العباس :

لم يدرِ ما (لا) وبَلَى قد دَرَى ... فعافها واعتاض منها (نَعم)

ويقول ابن قيس الرُّقَيّات :

يُنكر (لا) إنّ (لا) لَمُنْكَرةٌ ... من فيه إلاّ مخالفاً (نَعَما)

ويقول الأشجع السُلَمي في العباس بن محمد بن علي :

لو قيل للعباس ِ يا ابنَ محمـــد ُقل (لا) وأنتَ ُمخَلَّد ما قالهـا

ويقول أبو تمّام :

إذا قلتَ في شيء (نعم) فأَتِمَّــه فإنَّ (نَعَمْ) دَينٌ على الحرّ واجبُ
وإلا فقل (لا) تَستر ِحْ وتُر ِحْ بها لئلا يقولَ الناس إنـــك كاذبُ

ويقول المُثَقّب العَبْدي :

لا تقولَنَّ إذا مـــا لم تُرِدْ أنْ تُتِمَّ الوعدَ في شيءٍ (نعم)
حسَنٌ قول (نعم) مِن بَعد (لا) وقبيحٌ قول (لا) بعد (نعم)
إنَّ (لا) بعد (نعم) فاحِشةٌ فَبِلا فابدأ إذا ِخفتَ النـــدم
وإذا قلتَ (نعم) فاصبر لهــــا بنَجاز الوعـــد إن الُخلْفَ ذم

ويقول ُنصَيب :

أَلِفْتَ (نَعَم) حتى كأنكَ لم تكن
عَرَفْتَ من الأشياء شيئاً سوى نَعَمْ
وعاديتَ (لا) حتى كأنـــكَ لم تكن
سَمِعت ِبـ (لا) في سالف الدهر ِ والأُممْ

ويقول هارون بن حمّاد الواسِطي :

أحِب (نعـــم) عليّ ولي وبيني وأُبغِض (لا) وأبغض قولَ(لَيس ِ)

ويقول ابن َطباَطبا :

عُبوسُ ذي اللؤم وبِشْر ذي الكَرَم كَقُبح (لا) خالطه حُسنُ (نَعَم)

ويقول يحيى أبو محمد اليزيدي :

فعليه (لا) أبداً مُحَرَّمة وكلامُه وَقْفٌ على نَعَمِهْ

ويحكى أنَّ الوليدَ بنَ عُقبة وَفَد على معاوية بن أبي سفيان ، فلم يُعطِه معاوية شيئاً لأنه كان إذا أخذ منه شيئاً بَدّده . فخرج من عنده مغضباً ، وذهب إلى الجزيرةِ وقال :

فإذا سُئِلْتَ تقول (لا) وإذا سألتَ تقول هاتِ

تأبى فَعَالَ الخير لا تَرْوَى وأنتَ على الفُرات

أفلا تَميل إلى (نَعَمْ) أو تركِ (لا) حتى المماتِ

ويقول منصور الفقيه المصري :

مَن قال (لا) في حاجةٍ مَطلوبةٍ فما ظَلَمْ

وإنما الظالمُ مَن يقول (لا) بعد (نعم)

ويقول مَروان بن أبي حَفصة في مَعْن بن زائدة :

تَجَنَّبَ (لا) في القول حتى كأنه حَرامٌ عليه قول (لا) حين يُسْأل

وقال محمد الخازن من قصيدة أنشدها بين يدي الصاحب :

نَعَمْ تَجَنَّبَ (لا) يومَ العطاء كما تَجَنَّبَ ابنُ عطاءٍ لَثْغَةَ الراء

وابن عطاء هو واصل بن عطاء كان يتجنب الكلمة التي فيها (راء) بسبب لثغة كانت له .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

إذا جــاريتَ في خُلقٍ دنيًّا فأنتَ ومَن تُجــاريه سواءُ
رأيتُ الحرَّ يجتنِبُ المَخازي ويَحْمِيه عن الغدرِ الوفــاءُ
ومــا مِن شدةٍ إلاّ سَياتي لهــا مِن بعدِ شِدتها رخاءُ

عبد الكمال
تَبِسّة – الجزائر

★

أبو تمّام

● **الجواب :** هذه الأبيات الثلاثة من شعر أبي تمام في الوفاء والحياء ، وفي الشعر أبياتٌ مشهورة منها :

لقد جرَّبتُ هذا الدهرَ حتى أفادتني التجاربُ والعناءُ
يعيش المرء ما استحيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقِي اللّحاءُ
فلا واللهِ مــا في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحيــاءُ
إذا لم تَخشَ عاقبةَ الليــالي ولم تَستَحْيِ فاصنع ما تشاءُ

وشبيهٌ بالبيت :

وما مِن شِدَّةٍ إلا سيأتي لها مِن بعدِ شِدَّتِها رخاءُ

قول قيس بن الخطيم أو الربيع بن أبي الحُقَيْق :

وكُلُّ شديدةٍ نزَلت بقومٍ سيأتي بعد شِدتها رَخاءُ

وفي معنى البيت الأول يقول المَعَري :

ولا تجلِسْ إلى أهلِ الدَّنايا فإن خلائقَ السفهاء تُعدِي

وأبيات قيس بن الخطيم هي :

وكُلّ شديدة نَزَلَتْ بقومٍ سيأتي بعد شِدَّتِها رَخاءُ
فإن الضَّغطَ يَحويه وعاءٌ ويَتركُه إذا فَرَغ الوِعاء
وما مُلِيءَ الإناءُ وشُدَّ إلاّ لِيَخرُجَ ما به امتلأ الإناء

ويقول جعفر بن شمس الخلافةِ في الشدة والرخاء :

هي شِدة يأتي الرخاءُ عَقيبَها وأسىً يُبَشِّر بالسرور العَاجِلِ
وإذا نَظرتَ فإن بؤساً عاجلاً للمرءِ خيرٌ مِن نعيمٍ زائلِ

وفي « الفرج بعد الشدة » للتنوخي أبياتٌ كثيرة في معنى الشِدّة والرّخاء.

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

مَن لم يُرِدْ أن تَنتَقِبْ نعالُه ... يَحْمِلُهــا في كُمّه إذا مشى

ومن أراد أنْ يصونَ رجلَــه ... فَلُبسُها خيرٌ له من الحفى

مَن صَفَع الناسَ ولم يَدَعْهُمُ ... أن يَصفعوه فعليهم اعتــدى

سالم باوزير
جدة – المملكة العربية السعودية

★

المقصورة الدُّرَيْدِية

● **الجواب :** هذه الأبيات من قصيدة للشاعر الماجن أبي الحسن علي بن الواحد الفقيه البغدادي . فقد عارض هذا الشاعرُ ، على وجه الهزل والمجون ، القصيدة الدريدية ، وجاءت في هذه المعارضة الهزلية أبياتٌ كثيرةٌ مبدوءةٌ بكلمــة (مَن) ، منها هذه الأبيات الثلاثة ، ومنها مثلاً :

مَن دَخلَتْ في عينه مَسَلَّةٌ ... فاسأله مِن ساعته عن العَمىَ

مَن شَرِبَ المُسْهِلَ من أجل الدوا ... أطالَ تَرداداً إلى بيت الخــلا

من فاته العِلمُ وأخطـاه الغِنى فذاك والكلبُ على حدٍ سِوى

مَن أكل الفَحمَ يُسَوَّدْ فَمُـه وراح صَحنُ خدّه مثلَ الدُّجا

ويُقال إن الذي أوحى لهـذا الشاعر الماجن أن يبدأ أبياتـه هذه بكلمة (مَن) كما سمعنا هو بيت ابن دريد :

مَن ظَلَم الناسَ تحامَوا ظُلْمَه وعَزَّ فيهم جانبـاه واحتمى

ثم إنّ بعضَهم يقول إن ابنَ دريد أخذ البيتَ من قولِ زهير في معلقته :

ومَن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهَدَّمْ ومن لا يَظْلِم الناسَ يُظلَمِ

وفي معلقة زهير أبيات كثيرة تبدأ بكلمة (مَن) كما هو معلوم .

وما دُمنا في معرض الكلام عن المقصورة الدريدية ، فَلْنذكُر شيئـاً عن مطلع المقصورة . فقد اختلف العلماءُ في مطلعها ، فبعضُهم قال إنّ مطلعَها :

يا ظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمهـا ترْعى الخزَامى بين أشجار النقا

ومنهم من قال إن مطلعها :

إمّا ترَيْ رأسِيَ حاكى لونُـه طُرَّةَ صبحٍ بين أذيال الدُّجى

وقد أورد بعضُهم في الحديث عن ذلك عدداً من الأبيات يُقال إن الكمالَ ابنَ الأنباري جعلها مَطْلَعاً للمقصورة ، وهي عشرة أبيات ، بدأها كما يلي :

شَرَّدَ عن عيني الكَرى طيفٌ سَرَى من أمِّ عمروٍ في غياهيب الدُّجى

زار وسادي والزمـان عاكفٌ وأنجمُ الليـلِ مُديراتُ الطِلا

والغانياتُ لا يُرِدْنَ مَن بـدا في عارضيه الشيبُ لو رام الصِبا

إلى أن يقول :

لمّا رأت شَيبيَ عَمَّ مَفرِقي قالت غُبارٌ يا خليلي ما أرَى

قلتُ لها مَوعِظَةٌ لعلَّها تَعِي صُروفَ ما رأت بي قد عَلاَ

يا ظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمها تَرعى الخُزَامَى بين أشجار النقا

أو : راتعةً بين الهضيم والحشا

وكنتُ ظننتُ أن مطلعَ المقصورة هو :

يا ظبيةً أشبهَ شيء بالمها إلى آخره

وهذا على رأي البعض ، لأنّ معنى البيت الثاني :

إما تَرَيْ رأسيَ حاكى لونُه إلى آخره

يستلزم أن يكونَ الشاعرُ قد خاطب شخصاً ، وهو الظبية . ولكن كتباً كثيرة لا تبدأ المقصورة بهذا البيت .



● **السؤال :** من القائل :

فرعاءُ تَسْحب من قِيامٍ شَعرَها   وتَغِيب فيه وهو ليلٌ أَسْحَمُ
فكأنها فيه نهارٌ ساطِـعٌ   وكأنه ليلٌ عليهـا مُظلِم

عبد الرزاق بادي
الحي — العراق

*

بَكْرُ بن النَّطَّاح

● **الجواب :** هذان البيتان للشاعر بَكْر بن النـطـّاح ، وروايةُ البيت **الأول هي :**

بيضاءُ تسحب مِن قيامٍ شعرَها   وتَغِيبُ فيه وهو جَثْلٌ أَسْحَمُ

والبيت الثاني شبيهٌ بقول الطائي :

بيضاءُ تبدو في الظلام فيكتسي   نوراً وتبدو في النهـار فيُظلم

أو هو شبيهٌ بشعر أبي نواس في المفتسلة :

رأت شخصَ الرقيبِ على التداني   فأَسبلت الظلامَ على الضيـاء

فغاب الصبحُ منها تحت ليلٍ وظلّ الماءُ يَقْطُر فوق ماء

أو هو شبيهٌ بقول صاحبِ قصيدة اليتيمة :

بيضاء ، قد لَبِس الأديمُ أديمَ الحسن فهو لِجلْدها جِلَدُ

فالوجهُ ، مثلَ الصبح ، مُبْيَضٌّ والشَعْرُ ، مثلَ الليل ، مُسْوَدُّ

والبَيَاض ممدوح في النساء . من ذلك قول عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم :

بِيضٌ أوَانِس ما هَمَمْن بريبةٍ كظِباء مكة صَيدُهنّ حرَامُ

ويقول النابغة الذبياني :

بيضاءُ كالشمسِ وافت يومَ أسْعُدِها لم تُؤْذِ أهلاً ولم تَفْحَش على جار

ويقول عبد الرحمن بن حسّان :

وهي بيضاء مثلُ جوهرة الغوّاص مِيزتْ مِن جَوْهرٍ مَكْنون

ويقول ذو الرُمّة :

بيضاء في دَعَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ كأنّها فِضّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

والنَّعَجُ البياض الخالص .

ومروان بن أبي حفصة يقول في المهدي :

طرَقتك زائرةً فحيِّ خيالَها بيضاءُ تخلِطَ بالجمال دلالَها

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

تَغَرَّبْ عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرّجُ هَمٍّ واكتسابُ معيشـةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجد

عبد الرحيم بن أحمد
أنواذيب – موريتانيا

★

علي بن أبي طالب

● **الجواب :** وجدتُ هذين البيتين منسوبين إلى الإمام علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، وبعدهما بيتان آخران وهما :

وإن قيل في الأسفار ذُلٌّ ومِحْنَةٌ وقطعُ الفيافي وارتكابُ الشدائدِ

فموتُ الفتى خيرٌ له مِن مُقامِه بدارِ هَوانٍ بين واشٍ وحاسدِ

وهذا شبيه بقول البحتري :

سافِرْ تجدْ عِوضاً عمَّن تفارقُـه وانْصَبْ فإن لذيذَ العيشِ في النَّصَبِ

فالأُسْد لولا فراقُ الغابِ ما افترست والسهمُ لولا فِراق القوس لم يُصِبِ

والتِّبْرُ كالتُّربِ مُلقىً في معادنه والعُودُ في أرضِه نوعٌ من الحطَب

وقد وجدتُ البيتين الأولين من هذه الأبيات الثلاثة في فوات الوفيات منسوبين إلى أبي فِراس العامري المعروف بمجدِ العَرَب ، مع بعض التغيير البسيط . ومعنى البيت الأخير مُرَدَّد في قول السَّرِيّ الرَّفّاء :

قَوِّض خيامَك عن دارٍ ظُلِمْتَ بها وجانِبِ الذُّلَّ إن الذُّلَّ يُجتَنَبُ

وارحل إذا كانت الأوطانُ مَضْيَعةً فالمَنْدَل الرَّطبُ في أوطانه حَطَبُ

وينسُب ابنُ خلِّكان هذين البيتين إلى ابن ماكولا في وَفيات الأعيان . ويُنْسَبان أيضاً إلى شُكْرٍ العَلَوي ، ورأيتها في كتاب « كنوز الأجداد » لمحمد كرد علي منسوبين إلى ابن هِندو .

وفي الجزء الأول من « قول على قول » شيء كثير من الأقوال والأشعار في معنى السَّفَر .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

لَسْنَا وإنْ أحسَابُنا كَرُمَتْ   يومـــاً على الأحسابِ نتكلُ

محمد أحمد حميد

عدن الصغرى – الجنوب العربي

★

عبد الله بن معاوية

● **الجواب :** هذا البيت منسوبٌ في كتاب « الكامل » للمبرّد وغيره إلى عبدِ اللهِ بنِ مُعاويةَ بنِ عبد الله بنِ جعْفَرِ بنِ أبي طالب ، ومعه بيتٌ آخر ، وهما :

لسنا وإنْ أحسَابُنـا كَرُمتْ   يومـــاً على الأحسابِ نتكلُ

نَبْني كما كانت أوائلُنـــا   تَبنِي ونَفْعَلُ مثلمـــا فعلوا

وقد وَجَدْتُ هذين البيتين في مُعْجَم الشعراء للمرزباني منسوبَين إلى معن ابن أوس ، ووجدتُها في معجم الشعراء نفسه في مكانٍ آخر منسوبَين إلى المتوكّلِ الليثي . وقد جاءت عن هذين البيتين حكايةٌ تذكر في كتب الأدب لا داعِيَ لذكرها الآن .

● **السؤال :** من قائل هذا المثل وفي أية مناسبة :

ترى الفتيـــان كالنخـــلِ وما يُدريكَ ما الدَّخْـــلُ

علي سيف
الخرج – المملكة العربية السعودية

*

ترى الفتيان كالنخل

● **الجواب :** يقول المُفَضَّل إنّ أولَ مَن قال هذا المثل عَثْمَةُ بنتُ مَطرودِ البَجَلِيّة . وكانت لها أخت يقال لها (خَوْد) ، وكانت جميلةً عاقلة ، وخطبها سبعةُ إخوةٍ من بَطْنِ الأزْد ، وجاؤوا إلى أبيها ومعهم كاهنةٌ يقال لها الشَّعْثاء . فقالوا لأبيها : بلَغنا أنّ لك بنتاً ، ونحن كما ترى شبابٌ . فقال لهم : كُلُّكُم خِيارٌ ولكن أقيموا حتى نرى رأيَنـــا . ثم استشار ابنتَه فقالت له : زَوِّجني على قَدْري ولا تَشْتَطّ في مَهري . فخرج أبوها فقال : أخبروني عن أفضلكم ؟ فقالت الكاهنة : إسْمَعْ أخَبِّرْك : هم إخوةٌ وكُلُّهم إسْوة ، أمّا الكبير ، فمالِكٌ جريءٌ فاتِكٌ ، يُتْعِبُ السنابكَ ويَستصغِر المهَالك . وأما الذي يليه فالغَمْرُ ، بحْرٌ غَمرٌ يَقْصُر دونه الفخر ، نَهْدٌ

صَقْرٌ . وأما الذي يليه فعلقمة صليبُ المَعْجَمَة ، وأمـا الذي يليه فعاصِمٌ سيِّدٌ صارِمٌ أَبيٌّ حازم . وأما الذي يليه فوثّاب سريعُ الجواب عتيد الصواب . إلى آخرِ الأوصاف . فجـاءت خودٌ إلى أختها عَشْمَةَ واستشارتها، فقالت عَشْمَة : تَرَى الفِتيان كالنخلِ وما يُدريكَ ما الدَّخلُ.

أي إن الفتيـانَ حِسانُ الجسوم ولكنْ مَن يدري إذا كان المَخْبَرُ حسناً كالمظهر . ونَصحتها أن تتزوجَ مِن عشيرتها وقومِها. فلم تَسْمَعْ منها وتزوَّجت أحدَهم واسمُه مُدْرِك . ثم ارتحلت مع زوجها . ثم إنها لم تلبث عنده إلا قليلاً حتى دَهَم زوجَها وجماعتَه فوارسُ بني مالك ، وغُلِب زوجُهـا وَسبوْها فيمن سَبَوا . فبينا هي تسير مع السبايا بكت فقالوا لها : ما الذي يُبكيك ؟ أعلى فِراقِ زوجك ؟ قالت : قَبَّحه الله . قالوا : لقد كان جميلاً . قالت: قبَّح الله جمالاً لا نفعَ معه . إنما أبكي على عِصياني ومخالفتي أختي وقولَها: ترى الفتيانَ كالنخل وما يُدريكَ ما الدخلُ . وأخْبَرَتهم كيف خطبوها. فقال لها رجلٌ منهم أسودُ مضطَرِبُ الخلـق يُكنى أبا نُواس : أتَرْضَيْن بي على أن أَمْنَعَكِ من ذئـاب العرب . فسألت أصحابَه : أكذلك هو ؟ قالوا : نعم . فقالت : هذا أجملُ جمال وأكمل كمال ، وتزوجته .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

والشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ   تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

منصور جلال الدين

مكة المكرّمة – المملكة العربية السعودية

★

جرير

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر الأموي جرير من قصيدةٍ في رثاء عمرَ بنِ عبد العزيز . وقبل هذا البيت على ما أظن :

حُمِّلْتَ أمراً عظيماً فاضطلعتَ به   وقمتَ فينـــا بأمرِ الله يا عُمَرَا

ونَصْبُ (عُمَر) هنا مُشْكِل لأنه علمٌ مُفْرَد وكان ينبغي له أن يُبْنَى على الضم ، وفي هذا بحث . ومعنى البيت المسئول عنه فيه إشكال بسيط بسبب التقديم والتأخير ، فهو يريد أن يقول إن الشمسَ طالعةٌ تبكي عليك وهي غير كاسفةٍ لنجوم الليل والقمر ، فإذا كانت الشمس غيرَ كاسفةٍ لغيرها من الكواكب فهي غير مضيئة ، بل سوداءُ مظلمةٌ والزمانُ كُلُّه ليل ، وفي هذا مبالغةٌ في الرثاء . وفي رأيٍ آخرَ ذكره المرتضى في أماليه وهو أنّ الشمسَ طالعةٌ ليست

بكاسفة ، ولكنها مع ذلك تبكي عليك ، وستبكي مدةَ طلوع النجم والقمر .
وذكر المرتضى في أماليه رأيين آخرين في تفسير البيت لا مجالَ لذكرهما هنا .
وقد ورد على ألسنةِ الشعراءِ ما هو شبيهٌ بمعنى جرير عن طلوع الشمس والبكاء،
فهذا يَزيدُ بنُ مُفَرِّغٍ الحميري يقول :

الريح تبكي شجوَها والبرقُ يلمع في الغَمَامهْ

ويقول النابغة :

تبدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

وقال طَرَفَة :

إنْ تُنَوِّلْهُ فقد تَمْنَعُه وتُرِيهِ النجمَ يجري بالظُّهُر



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

إني وهبتُ لظـــالمي ظلمي وغفرتُ ذاك له على علمـــي
ما زال يَظْلِمني وأرحمـــه حـتى رَثيتُ له من الظـــلم

المهدي محمد الزنتاني
زنتان – ليبيا

★

محمود بن الحسن الوراق

● **الجواب :** هذان البيتان منسوبان إلى محمود بنِ حسنٍ الوراق ، وهما من جملة أبياتٍ يقول فيها :

إني وَهبتُ لظـــالمي ظلمي وشكرتُ ذاكَ له على علمـــي
ورأيتُه أَسْدَى إليَّ يـــداً لمَّـا أبان بجهـــله حِلمي
رَجَعَتْ إساءتُه عليه ، ولي فَضْلٌ فعـادَ مُضاعَفَ الُجرْم
فكأنمـــا الإحسانُ كان له وأنا المسيءُ إليـــه في الزَّعْم

مــــا زال يَظْلِمْني وأَرْحَمُه   حتى رَثَيْتُ له من الظُـــلْمِ

وفي الكامل للـمَبرّد بعض الاختلاف في روايةٍ بعض الكلمات ، ويَزيـد بيتاً آخر وهو :

وَغدَوْتُ ذا أجرٍ ومَحْمَدَةٍ   وغــدا بكَسْبِ الظُـلم والإثمِ

وينسب صاحب الأغاني جميع الأبيات إلى مساورٍ الورّاق .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة وكيف إعراب كلمة (**وأبيض**) :

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ... ثِمالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِلِ

محمد سعيد العلي
سوريا

★

أبو طالب بن عبد المطلب

● **الجواب :** هذا البيت مشهورٌ وهو من قول أبي طالب بن عبد المطلب من قصيدة في الدفاع عن النبي ﷺ وفي إخباره لقريش أنه لن يُسلِمَ النبي ، فهو يقول :

كَذَبْتُم وبيتِ الله نَترُكُ مَكّةَ ... ونَظْعَنُ إلاَّ أمرُكُم في بَلابِلِ

كَذَبْتُم وبيتِ الله يُبْزَى مُحَمَّدٌ ... ولمّا نُطاعِن دونَه ونُناضِلِ

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونُذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائلِ

ثم يقول :

وما تَرْكُ قومٍ ـ لا أبالَكَ ـ سَيِّداً يَحوطُ الذِّمارَ غيرِ ذَرْبٍ مُواكِلِ
وأبيضَ يُسْتَسْقى الغَمَامُ بوجهِهِ ثِمالَ اليتامى عِصْمةً للأراملِ

والقصيدة طويلةٌ تقع في أكثر من تسعين بيتاً .

أما نَصْب كلمة (وأبيضَ) فبعضُهم إذا رأى البيت مفرداً يظن أنها منصوبة بكلمة (رُبَّ) وأن الواو قبلها هي واو رُبَّ ؛ ولكنَّ الصحيح، كما ذكر مغني اللبيب في الكلام على (رب) ، أنَّ (أبيضَ) معطوفةٌ على كلمة (سيِّداً) في البيت السابق ، ولذلك نصبَ النعوت التابعة فقال :

وأبيضَ . . . ثِمالَ . . . عِصمةً .

وعن هذا البيت حكايةٌ تروى عن حادثةٍ جرت مع النبي ﷺ ؛ فقد أقحط أهلُ المدينة ، فأتَوْا رسولَ الله فشكوْا إليه ذلك . فصَعِد الرسول المِنْبر واستسقى ، فما لَبِث أن جاءَ من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي يَشكون الغَرَق . فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهُمَّ حوالَيْنا ولا عَلَيْنا » . فانجاب السحابُ عن المدينة ، فصار حوالَيها كالإكليل . فقال رسول الله ﷺ : « لو أدْرَكَ أبو طالبٍ هذا اليوم لَسَرَّه » . فقال له بعضُ أصحابه : كأنكَ يا رسولَ أردتَ لقوله :

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ثِمالَ اليتامي عِصمةً للأرامِلِ

والمعنى موجود في قول حسان :

بِيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم   شُمُّ الأنوفِ من الطِراز الأول

ويقول الزَّمَخْشَري في إحدى مقاماته : إنَّ الِمكسالَ من نعوت بِيضِ الحِجال لا من أوصافِ بيضِ الرجال .

وقصيدة أبي طالب موجودة كاملةً في سيرة ابن هشام في الجزء الأول .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى أزورُهـا
أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدها

محمد مختار القط
بني وليد – ليبيا

*

كُثَيِّرُ عَزَّة ـــ ذو الرُّمَّة

● **الجواب :** هذا البيت يأتي عادةً مع بيت آخر ، وهو :

من الخَفِرات البِيض وَدَّ جليسُها إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تُعيدُها

والبيتان لكثير عزة من قصيدة يقول فيها :

يقولون : سوداءُ العيون مريضةٌ فأقبلتُ مِن أهلي إليها أعودُهـا
فوالله ما أدري إذا أنا جِئتُها أأبرئهـا من دائها أم أزيدُها

إذا جئتُها وَسْطَ النساء منحتُهـــا
صدوداً كأن النفسَ ليس تُريدها

ولي نظرةٌ بعـد الصدودِ من الجوَى
كنظرةِ ثكْلَى قـد أُصِيب وحيدُها

وكنتُ إذا ما جئت سُعْدى أزورُها
أرى الأرضَ تُطوَى لي ويدنو بعيدها

من الخفِراتِ البيض وَدَّ جليسُها
إذا مـا انقضت أحدوثةٌ لو تُعيدُها

ويقال إن البيتين لذي الرُّمة ، لأنه يقول :

وكنتُ إذا ما جئتُ مَيًّا أزورُهـا إلى آخره . واستعمال (سُعْدَى) مكان (عَزّة) أو (ميّ) أمرٌ مألوف عند العرب . وكُثَيِّرٌ نفسُه يستعمل أيضاً (ليلى) بدل (عزّة) .

ولهذين البيتين حكاية ، على أساس أن القائل هو ذو الرُّمّة . فإنه يقال إن ذا الرُّمّة مَرّ يوماً بحيٍّ من أحياءِ العرب ، فنظر إلى بيتٍ من بيوته ، فرأى امرأةً تتمشط حاسِرةَ الرأس قد أسبلت شعرَها ، فناداها يَطلب منها مـاءً للشرب ، فقامت وأتته بشيءٍ من الماء واللبن فشرب ، ثم طلبت إليه أن يستريح ، وَقدّمت إليه طعاماً فأكل ، وبقيت تحادثه إلى أن انصرف ، فجعل يعاودهـا الزيارة ، فقيل له في تقليل زيارته ، فأنشد :

وكنت إذا ما جئتُ ميًّا أزورُها ... إلى آخره .

وثمة حكايةٌ أخرى عن هذين البيتين ذكرها المستطرَف ، وهي أنَّ جبَلة ابنَ الأسود خرج في طلب إبلٍ ضلَّت ، فما زال في طلبها إلى أن أظْلَم الظلام وخفيت الطريق ، فصار يطوف ويطلب الجادّة فلا يجدها ، وبينما هو كذلك إذ سمع صوتاً حسناً وبكاءً شديداً أشجاه حتى كاد يسقط عن فرسه . فسار يطلب موضعَ الصوت ، حتى أتى إلى وادٍ ، فإذا راعٍ تحت شجرةٍ ينشد ويترنم :

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى أزورُها
أرَى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها

من الخَفِراتِ البيضِ ودَّ جليسُها
إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تُعِيدُها

فدَنا من الراعي وسلَّم عليه ، فرحَّب به الراعي وأطعمه ، ثم سقى فرَسه وعَلفَه . ثم قام فتوَضأ وصلَّى . وبينما هو بين النائم واليقظان إذ سَمِع صوتَ جاريةٍ قد أقبلت من كَبِد الوادي فأقبل الراعي عليها ، وأخذا في الحديث مدةً من الزمان حتى طلع الفجر ، فعانقها وبكى وبكت وانصرفت . وفي الليلة التالية أظهر جبَلَةُ ميلاً إلى النوم ، ولكنه بقي ينتظر مجيءَ الجارية. ولما تأخّر قدومُها جاء الراعي إلى جبلة وحرّكه وقال له : هذه الجارية هي ابنة عمي ، وأنا أُحبها وهي تُحِبني ، ولكنَّ أباها يرفض أن يُزوّجني إياها لفقري ، وها هي ذي قد تأخرت عن موعدها وأخشى أن يكون الأسدُ قد افترسها ، ثم أنشأ الراعي يقول :

ما بال مَيَّةَ لا تأتي كعادتها أعاقها طَرَبٌ أم صدَّها شُغُل

نفسي فداؤكِ قد أحللتِ بي سَقَماً تكاد من حرِّه الأعضاءُ تنفصل

ثم غاب ساعةً وعاد ومعه شيء طرحه على الأرض ، فإذا هي الجارية قد قتلها الأسد وأكل أعضاءَها . ثم أخذ الراعي السيف وخرج ، فلما عاد كان معه رأسُ الأسد فطرحه وأنشأ يقول شعراً .

والحكاية طويلة لا يتسع المجال لذكرها .



● **السؤال : من القائل وفي أية مناسبة :**

زَعَمَ الفرزدقُ أنْ سَيَقْتُلُ مِرْبَعاً　　أبشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مِرْبَعُ

العباس أحمد
ورزازات – المغرب

★

جرير

● **الجواب :** هذا البيتُ من أشهر أبيات الهجاء في الشعر العربي على الإطلاق، وهو لجرير في هجاء الفرزدق، قاله في مَعْرِضِ رثاءِ زوجته أمّ حَزْرة الجَوْساء، ومن ذلك :

كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مُذْ بِنْتُمُ　　قَلباً يَقِرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ

وفيها يقول :

حَيّوا الديارَ وسائلوا أطلالَها　　هل يَرْجِعُ الخبرَ الديارُ البَلْقَعُ

بانَ الشبابُ حميدةً أيامُـــه   لو أنّ ذلك يُشتَرى أو يُرْجَعُ

وفيها يقول :

زَعم الفرَزْدَقُ أن سَيَقْتُلُ مِرْبعاً   أبشِر بطولِ سلامةٍ يا مِرْبَـعُ

وقولـه : أنْ سَيَقْتُلُ برفع الفعل هو لأنه في الأصل أنّه سَيَقْتُلُ. وهذا مثلُ قولِ أبي مِحْجن الثقفي :

إذا مُتُّ فادْفِنّي إلى جَنْبِ كرمةٍ   تُرَوّي عظامي البالياتِ عروقُها

ولا تَـدْفِنَنّي بالفـــلاةِ فإنني   أخاف إذا ما مُتّ أنْ لا أذُوقُها

فقولـه : أنْ لا أذوقـها برفع الفعل هو لأنالأصل: أخاف أنني لا أذوقـها.

ومِرْبَـع هذا المذكور هنا هو راوية جرير واسمه وَعْوَعة .

ومن الأمثلة على (أن) المخففة ما جاء في القرآن الكريم :

« أفلا يَرَوْن أنْ لا يَرْجِعُ إليهم قولاً .. »

« عَلِم أنْ سيكونُ منكم مَرْضى »

« وحَسِبوا أنْ لا تكونُ » (في قراءة مَن يَرفع)

والبيت المسئول عنه من قصيدة عينية طويلة تقع في أكثر من مئـة بيت مطلعها :

بان الخليـطُ برامَتَين فودَّعوا   أوَ كلّمـا زمّوا لبينٍ تَجْزَعُ

ومع أن فيها رثاءً لزوجته ، إلاّ أنّ هجاء الفرزدق غلب عليها . ومنها البيت المشهور :

وتقول بَوْزَع قد دَببتَ على العصا   هلاّ هزئتِ بغيرنا يا بوزع

ومطلع القصيدة هذه شبيه بمطلع قصيدة أخرى نونية له حيث يقول :

بان الخليط ولو خُيِّرت ما بانا   وقطعوا مِن حبال الوصل ألوانا



● **السؤال : من قائل هذين البيتين وما المناسبة :**

أَنِستُ بوَحْدَتي ولَزِمْتُ بيتي　　فطاب الأُنسُ لي وصَفا السرورُ

وأدَّبني الزمانُ فلا أبالي　　هُجِرْتُ فلا أزار ولا أزُور

كرامة سعيد بن محفوظ التريمي
الرياض – المملكة العربية السعودية

★

صالح بن عبد القدوس

● **الجواب : هذان البيتان لصالح بن عبد القدوس .**

ويُروى البيتان روايةً أخرى باختلافٍ بسيط :

أَنِسْتُ بوَحْدَتي ولَزِمْتُ بيتي　　فَتَمَّ العِزُّ لي وصفا السرور

وأدَّبني الزمانُ فليتَ أني　　هُجِرْتُ فلا أُزَارُ ولا أزُور

والبيت الثالث هو :

ولستُ بقائلٍ ما دمتُ حيًّا　　أقام الجندُ أم نَزَل الأميرُ

وكان صالح بن عبد القدوس يُتّهم بالزندقة ، وقتله المهدي على الزندقة شيخاً كبيراً ، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين وعُلّق ببغداد . وقال أحمدُ ابنُ عبدالرحمن: رأيتُ ابنَ عبد القدوس في المنام ضاحكاً فقلتُ له : ما فعلَ اللهُ بك ؟ وكيف نجوْتَ بما كنْتَ تُرْمَى به ؟ قال : إني وَرَدْتُ على ربٍّ ليس يَخْفَى عليه خافية ، وإنّه استقبلني برحمته وقال : قد عَلِمتُ براءتَكَ مما كُنْتَ تُرمَى به .

وكان صالحُ بنُ عبد القدوس من الشعراء القلائل الذين أَنِفوا من التكسب بالشعر .

ولصالح بن عبد القدوس تُنْسَب القصيدةُ الزينبيةُ التي مطلعها :

صَرَمتْ حِبالَكَ بعد وَصْلِكَ زينبُ ... والدهرُ فيه تصَرُّمٌ وتَقلُّبُ

وتنسب القصيدةُ أيضاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وله قصيدة أخرى في الحكمة ، مَطْلَعُها :

المرءُ يَجمع والزَّمانُ يُفرّقُ ... ويَظَلُّ يَرْقَعُ والخطوب تُمَزّقُ

ومن أبياتها المشهورة بالحكمة قولُه :

وَزِنِ الكلامَ إذا نَطَقْتَ فإنما ... يُبْدِي عُقولَ ذوي العقولِ المَنْطِقُ

لو يُرْزَقون الناسُ حَسْبَ عُقولهم ... أَلفيتَ أكثرَ مَن تَرَى يَتَصَدَّقُ

وإذا امرؤٌ لسعته أفعى مَرَّةً ... تَرَكَتْه حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ

بَقِيَ الذين إذا يَقولوا يكذِبوا ... ومَضَى الذين إذا يقولوا يَصْدُقوا

وأشعارُه جيّدة ، ومنها قولُه :

لا يُعْجِبَنَّكَ مَن يَصُون ثيابَه   حَذَرَ الغُبارِ وعِرْضُه مَبْذُولُ

فلربما افتقر الفتى فرأيتَه   دَنِسَ الثياب وعِرضُهُ مَغسُولُ

وقال وهو في حبسه قبل مَقتَلِه ، ويقال إنها لأبيه أو لأحد أولاده :

إلى اللهِ فيما نابنا نَرْفَع الشكوى   ففي يَدِهِ كَشْفُ المَضَرَّةِ والبلوى

خَرَجْنا من الدنيا فما نحنُ أهلُها   ولا نحن في الأمواتِ فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السَّجَّانُ يوماً لحاجةٍ   عَجِبْنا وقُلْنا: جاء هذا من الدنيا ؟

ومن أقواله :

تجَنَّبْ صَديقَ السوء واصْرِمْ حِبالَه

وإنْ لم تَجِدْ عنه مَحِيصاً فدارِهِ

ومن يَطْلُب المعروفَ من غير أهلِه

يَجِدْهُ وراء البحر أو في قرارِهِ

ولِلهِ في عَرْضِ السماواتِ جَنَّةٌ

ولكنَّها محفوفةٌ بالمكارِهِ

ومن أقواله في ابتعاده عن الناس ولزومه الوَحْدَة :

يا صاحِ لو كَرِهَت كَفِّي مُنادَمَتي   لَقُلْتُ إذ كَرِهَت كفي لها بيني

لا أبْتَغي وَصْلَ من لا يَبْتَغِي صِلَتي   ولا أبالي حَبيباً لا يُباليني

ومن أقواله المشهورة هذه الأبيات :

لا يَبْلُغُ الأعداءُ من جاهلٍ ما يَبْلُغُ الجاهلُ من نَفسِه

والشيخُ لا يَترُك أخلاقَه حتى يُوارَى في ثرَى رَمْسِه

إذا ارْعَوَى عاد إلى جهله كذي الضَّنى عاد إلى نُكْسِه

وإنَّ مَن أدَّبْتَه في الصِبا كالعُودِ يُسْقَى الماءَ في غَرْسِه

حتى تراه مورِقاً ناضِراً بعد الذي أبصرتَ من يُبْسِه

● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة :

لسان الفتى نصفٌ ونِصفٌ فؤادُه   فلم يَبْقَ إلا صورةُ اللحم والدم

محمد أحمد حميد

عدن الصغرى — الجنوب العربي

★

الأَعورُ الشَّنّي

● **الجواب**: هذا البيت نسبه الجاحظ في البيان والتبيين إلى الأعورِ الشَّنّي، والمعروف أنه لزهيرِ بنِ أبي سلمى من بيتين في معلقته هما :

وكائن تَرَى مِن صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ
زيادتُــه أو نقصُه في التكــلم

لسانُ الفتى نِصفٌ ونصفٌ فـؤادُه
فلم يَبْقَ إلا صورةُ اللحمِ والدّمِ

والبيت الثاني فيــه نَفَسُ المعنى الذي قصَدَه ضَمْرَةُ بنُ ضَمْرَةَ حينما

دَخَل على النُّعمان فلما رأى النعمانُ دَمامَتَه وقِصَرَه قال : تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ لا أنْ تراه (أو خيرٌ من أن تراه) فقال ضمرةُ : أبيتَ اللعنَ ؛ إنّ الرجالَ لا تُكالُ بالقُفزان ولا تُوزَنُ بالميزانِ . . وإنما المرءُ بأصغريه : قلبِه ولسانِه .

والبيتان المذكوران منسوبان في فَوَات الوفيات إلى زيادٍ الأعجم المعروف بأبي أُمامة ، ويَنْسُبُها الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين إلى الأعورِ الشَّنِّي ، كما نسبها الجاحظ .



● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة مع الشرح :

هم يَمنعون الجارَ حتى كأنما لجارهمُ بين السماكين مَنْزِلِ

البشير محمد خلاط
الزاوية — طرابلس — ليبيا

★

مروان بن أبي حفصة

● **الجواب** : هذا البيت للشاعر مَرْوان بن أبي حفصة ، وهو من قصيدةٍ طويلة تبلغ الستين بيتاً قالها في مدح معن بن زائدة ، ومنها :

بنو مَطَرٍ يومَ اللقـــاء كأنهم أسودٌ لها في بَطنِ خَفَّانَ أشبُلُ

همُ يَمنعون الجارَ حتى كأنمـا لجارِهُمُ بـين السماكين مَنْزِلِ

ثم يقول :

همُ القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا، وإن أعطَوا أطابوا وأجزلوا

واشتهر مروان بن أبي حفصة بمدائحه في معن بن زائدة . والسِما كان نجمان

مرتفعان أحدهما السماك الأعزل والثاني السماك الرامح .

ويقول ابن المعتز في كتاب طبقات الشعراء إنّ القصيدةَ اللاميةَ هذه هي أجودُ ما قاله مروان ، وهي التي فُضّل بها على شعراء زمانه . ولم يَنَل أحدٌ من الشعراء ما ناله مروان بشعره ، ونال ضَربةً واحدة ثلاثمئة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد .

واشتهر من بين العرب جماعة عرفوا بحفظ الجوار منهم القَعقاع بن شَوْر وأبو دُؤاد الإيادي ومُدْلِج بن سُوَيد (مجير الجراد) وربيعة بن مُكَدَّم (مجير الظعن) والبَسوس التميمية وعبدُ الله بن العبّاس (من الأذكياء) وإياس بن معاوية المزني (مشهور بالزكَن وإصابة الرأي) . وفي القعقاع يقول الشاعر :

وكنتُ جليسَ قَعْقاع بنِ شَوْر ... ولا يَشْقَى بِقَعقاعٍ جليس

ومن حديث مُدْلِج بن سويد أنه خلا ذات يوم في خيمته فإذا هو بقومٍ من طيّء ومعهم أوعيتهم . فقال : ما خَطْبُكُم ؟ قالوا : جرادٌ وَقع في فنائك فجئنا لِنأخذَه . فركب فرسه وأخذ رمحَه وقال : واللهِ لا يَعْرِضَنّ له أحدٌ إلاّ قتلته . فلم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس وطار . فقال: شأنَكم الآن فقد تحوّل عن جِواري . ولهذا لُقّب بمجير الجراد . ويُلقّب بهذا اللقب أيضاً حارثة بن مُرّ

وفي أبي دُؤاد الأيادي يقول قيس بن زهير :

أُطوّف ما أُطوّف ثم آوي ... إلى جارٍ كجار أبي دُؤاد

ويقول أبو دُؤاد في شعرٍ له :

ترى جارَنا آمِناً وَسْطَنا ... يَروح بِعَهْدٍ وَثِيقِ النَّسَبْ

إذا ما عَقَدْنا له ذِمّــة شَدَدْنا العِنَاجَ لِعَقْدِ الكَرَبْ

ومما يُذْكَر عن أبي دُؤاد أنه لمّا توفي سنة ٢٤٠ للهجرة أو ٨٥٤ ميلادية قام عند سريره ثلاثة من أهل العلم والأدب . فقال أحدهم :

اليوم مات نِظامُ الملكِ واللَّسَنِ ومات مَن كان يُستَعْدَى على الزَّمَن

وأظلمت سُبلُ الآداب إذ حُجِبَتْ شمسُ المكارم في غيمٍ من الكَفَنِ

وقال الثاني :

تَرَكَ المنابرَ والسريرَ تواضُعاً وله منــابرُ لو يَشا وسريرُ

ولغيرِهِ يُجْبَى الخرَاج وإنمــا يُجْبَى إليه محامِدٌ وأجور

وقال الثالث :

وليس فَتيق المسكِ ريح حَنُوطه ولكنّه ذاك الثنـــاء المُخَلَّفُ

وليس صرير النعش ما تَسمعونه ولكنّه أصلابُ قومٍ تَقَصَّفُ

ويقال عن أبي دؤاد إنه نزل بكعب بن مامة وكان كعب إذا جاوره رجل قام له بمــا يُصلِحه ويصلح أهلَه ، وحَمَاه ممن يقصِده بسوء ، وإن هَلَكَ له شيء أخلَفه عليه ، وإن مات واراه التراب.فجاوره أبو دُؤاد الأيادي فتعلّم منه ، فكان بفعل بجاره ما كان يفعل كعب فضُرب به المثل ونُسِي كعب ، وقال الناس : جار كجار أبي دُؤاد .

وكان القعقاع بنُ شوْر الهُذَلي إذا جالسه رجــلٌ يجعل له نصيباً من ماله ويُعينه على حوائجه ودخل يوماً على معاوية فأمر له بألفِ دينار ، وكان في المجلس رَجلٌ فسح له حتى يجلس،فدفع ألف الدينار للرجل الذي فسح له فقال:

وكنتُ جليسَ قعقاع بن شَوْر　　　وما يَشْقى بقعقاعٍ جليسُ

ضَحوكُ السن إن نَطقوا بخير　　　وعند الشرّ مِطراقٌ عَبوس

وجاء في «غُرر الخصائص» للوَطواط أن ثَور بن شَحْمة العَنْبَري كان يسمّى مجير الطير، فكانت الطير لا تُصاد بأرضه ولا تضار.

وحكَى أن زياداً الأعجم وَفد على حَبيب بن المُهلَّب فأكرمه وأنزله على أبيه فجلسا يوماً في بُستان فغَنَّت حَمامة على فَنَن فطَرِب لها زياد فقال له حبيب إنها فاقدة إلْفاً كانت تُرَى معه. فقال زياد: هو أشدّ لِشوقها، ثم أنشد:

تَغَنّي أنتِ في ذِمَمي وعَهدي　　　وذِمّةِ والدي أن لا تُضَاري

وعُشُّك أصلحيه ولا تخافي　　　على زُغْبٍ مُصَغَّرةٍ صِغار

فإنكِ كُلّما غَنَّيْتِ صوتاً　　　ذَكَرْتُ أَحِبَّتي وذَكرْتُ داري

فإما يقتلوكِ طلبتُ ثأراً　　　لِأَنّكِ يا حمامةُ في جِواري

فضَحِك حبيب، ثم قال: يا غلام، هَلُمّ القوسَ، فجاء الغلام بها، فنزع لها حبيب بسهم فأصابها فوقعت ميتة. فنهض زياد مُغضَباً وقال: أخفرتَ أبا بسطام ذمتي وقتلتَ جاري، وشكاه إلى المُهلَّب فغَضِب على حبيب وقال: أما علمتَ أنّ جار أبي لُبابة جاري وذِمته ذمتي، والله لألزِمَنَّكَ دِيَة الحُرّ. وأخذ له من ماله ألفَ دينار. فقال زياد من أبيات:

لله عَيْنا مَن رأى كقضيةٍ　　　قضى لي بها شيخُ العراق المُهَلَّبُ

قضى ألفَ دينار لجارٍ أجرتُه　　　من الطير إذ يبكي شجيّاً ويَنْدُب

ويقول ابنُ الرومي :

هو المرءُ أمَّا مـــالُه فَمُحَلَّـل　　　لِعـافٍ وأمّا جارُه فَمُحَرَّمُ

ولابنِ عُنَين أبيات في حَمَامةٍ التجأت إلى بيت أحـدِ الأمراء هرباً من الصيادين ، فلمّا سقطت الحمامة في داخل البيت ورآها ابنُ عنين على ما بهـا من الرعب والفزع قال :

مَن نَبَّأ الورقـــاءَ أنّ مَحَلّكم　　　حَرَم وأنكَ ملجأ للخـائف

إلى آخر الأبيات .

وفي كتاب « غرر الخصائص » حكايات أخرى عن حفظ الجار .

● **السؤال :** من قائل هذا البيت من الشعر ، هل هو الحجاج أم غيره :

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثنـــايا   متى أضعِ العِمامةَ تعرفوني

احمد سعيد باسعد
الرياض ـــ المملكة العربية السعودية

★

سُحَيم بن وَثيل

● **الجواب :** هذا البيت مطلعُ قصيدة لِسُحَيْم بنِ وَثيلِ الرياحي ، منها البيت المشهور وهو :

ومـــاذا يبتغي الشعراء مني   وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين

والبيت المسئول عنـــه ليس من قول الحجّاج ولا هو من قول العَرْجي كما توهّم بعضُهم ؛ ولكنّ الحجاجَ استعمله في خطبته المشهورة على سبيل الاقتباس ، يريد به أن يقول إنه مشهورٌ ، مَعروفٌ بالنّجدةِ وشِدة البأس . ويقـال إن السببَ في قول هـــذه القصيدة أن رجلاً أتى الأبَيْرِدَ الرياحيّ وابنَ عمّه الأخْوصَ يَطْلُب منهما قِطراناً لإبلِه . فقالا له : إذا أنتَ أبلغتَ سُحَيْمَ ابنَ وثيلِ الرياحيّ هذه الأبيات أعطيناكَ . فقال : قولا . فقالا : قُلْ له :

فـانّ بُداهتي وجِراءَ حَولي		لذو شِق على الحطِم الحرُونِ

فلما أتى الرجلُ سحيمَ بنَ وثيل وأنشده الشعرَ أخذ سُحَيْمٌ عصاه وانحدر في وادٍ هناك وأخذ يُقبِل ويُدبِر ويُهَمْهِم بالشعر . ثم قال للرجل : إذهب وقُلْ لهما . وأنشد الأبياتَ التي نحن بصددِها . والبيتُ الذي حمله الرجل إلى سحيم فيه تعريضٌ به بأنه لا يبلغ غايتَهما لِكِبَرِه وعَجزِه . وتفصيلُ ذلك موجود في خزانة الأدب للبغدادي ويقولون ابنُ جلا وابن أجلى ، فالعَجّاج يقول :

لاقَوا به الحجّاجَ والإصحارا		به ابنُ أجلى وافَـقَ الإسفارا

ويقول اللَّعين المِنقري يهجو رُؤبة بن العَجّاج :

إني أنا ابنُ جَلا إن كنتَ تعرِفُني		يا رُؤبَ والحيةُ الصَّماءُ والجَبَلُ

وقد أجبنا على مثل هذا السؤال في الجزء الثاني من كتاب « قول على قول » ونزيد عليه بعض الأقوال والاقتباسات .

يقول ضياءُ الدين موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الغَوّي وكان به داءُ الثعلب وأسنانه بارزة :

أقول لمعشر جَهِلوا وغَضّوا		من الشيـخ الرشيد وأنكروه

هو ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا		متى يَضع العِمامـة تعرفوه

وقال صدر الدين بن غَنّوم :

جلا مِسواكُ ثغرِك خيرَ دُرّ		فجَلّ بذاك واكتسب المزايا

وأنشد صحبُه تِيهاً وفخراً		أنا ابن جلا وطلاع الثنايـا

وقال شمس الدين الحلبي :

جلا ثغراً وأطْلَعَ لي ثنـايا ... يَسوق بها المُحِبَّ إلى المنـايا
فأنشَد ثغرُه يَبغي افتخـاراً ... أنا ابن جلا وطلاع الثنـايا

ويقول الأرَّجاني :

تَغَنَّمْ صحبتي يـا صاحِ إني ... نزَعتُ عن الصبا إلاّ بقـايا
وخالِفْ مَن تَنَسَّك مِن رجال ... لَقُوك بأكْبُدِ الإبـل الأبايا
ولا تَسْلُـك سوى طُرُقي فإني ... أنا ابنُ جـلا وطلاّعُ الثنايـا

ومنه قول المولى الفاضل علي بن مُلَيك :

ومذ تاه الدَّليـلُ وقد ضَلِلْنـا ... بليـلٍ ليس يُهْدَى سالِكوه
فأشرق وجهُ مَن أهوى ونادى ... أنا ابنُ جـلا ألاَ لا تُنكِروه

ويقول ابن النفيس القَراطيسي :

يُسَرّ بالعيد أقوامٌ لهم سَعَـةٌ ... مِن الثَّراء وأمّا المُقْـتِرون فلا
هلْ سَرَّني وثيابي فيه قومُ سَبا ... أو راقني وعلى رأسي به ابنُ جَلا

● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة :

بدت قمراً ومـــالت غصن بانٍ ... وفـــاحت عنبراً ورنت غزالا

كأنَّ الحزنَ مشغوف بقلبي ... فساعةَ هجرها يَجِد الوِصالا

الخليل بن محمد
السنغال

★

المتنبي

● **الجواب** : هذان البيتان للمتنبي من قصيدة مدح بها ابنَ عمار ومطلعُها:

بقائي شاء ليس هُمُ ارتحـالا ... وحُسنَ الصبرِ زمُّوا لا الجِمالا

والبيت الأول هو من قبيل التدبيج في الشعر. وشبيهٌ بذلك قول يزيد بن معاوية أو هو للوأواء الدمشقي :

فأمطرَتْ لؤلؤاً من نرْجسٍ وسَقَتْ

وَرداً وعَضَّتْ على العُنّـاب بالبَرَدِ

وقولُ علي بن اسحاق الزاهي :

سَفَرْنَ بدوراً وانتقبنَ أهِـلَّةً ومِسْنَ غصوناً والْتَفَتْنَ جآذِرا

وفي بيت المتنبي أربعُ تشبيهات وهي القمر والبـان والعَنْبَر والغزال وفي بيت الزاهي أربع تشبيهات وهي بُدور، وأهِلّة وغصون وجآذر أما في بيت الوأواء فخمسُ تشبيهات وهي اللؤلؤ والنرجس والورد والعنّاب والبَرَد وشبيهٌ بذلك في خَمسِ التشبيهات قول الفقيه أبي محمد بن حزم :

خلوتُ بها والكأسُ ثالثةٌ لنـا

وجُنحُ ظلام الليل قد مَدّ واعتلجْ

فتـاةٌ ، عَدِمتُ العيشَ إلا بقُربها

وهل في ابتغاء العيشِ وَيْحَكَ من حَرَجْ

كأني وَهِي والكأسُ والخمرُ والدُجى

ثَرىً وحَياً والدُّرُ والتِبر والسَّبَجْ

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الثعالبي في وصف مُغَنٍّ :

فَدَيْتُكَ يا أتَمَّ الناسِ ظَرْفاً وأصلحَهم لِمُتَّخِذٍ حبيبـا

فوجهُكَ نُزهةُ الأبصار حُسناً وصوتُك مُتعةُ الأسماعِ طيبا

وسائلةٍ تُسائِل عنكَ قُلنا لها في وَصْفِك العَجَبَ العَجيبا

رنا ظبياً وغَنّى عندليبـاً ولاح شقائقاً ومشى قَضيبا

ولأبي نواس :

يا قمراً أبصرتُ في ماتمٍ يَنْدُب شجواً بين أترابِ

يبكي فيذري الدمعَ من نرْجِسٍ   وَيلطُم الوردَ بعُنّاب

ولابن النبيه :

رُضابُك راحي آسُ صُدْغِك رَيحاني   شقيقي جَنى خَدَّيْكَ جِيدُك سَوسَاني

وبين النّقا والرمل تهتزُّ بانةٌ   لها ثمرٌ من جُلّنارٍ ورُمّان

وفي كتاب خزانة الأدب لابن حجة الحموي تشبيهات كثيرة : كتشبيه خمسة بخمسة وستة بستة وسبعةٍ بسبعة إلى آخره .

وفي مقامات الحريري شيء من ذلك .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

ما الحاكمون بلا سمعٍ ولا بَصَرٍ ... ولا لسانٍ فصيحٍ يعجب الناسا

عبد الله خماس
جدة — المملكة العربية السعودية

★

عبيد بن الأبرص

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر الجاهلي عَبيد بن الأبرص : والحكايةُ أن عبيدَ بنَ الأبرص لقي يوماً امرأ القيس ، فقـــال له عَبيد : كيف مَعرفتُك بالأوابد ؟ قال امرؤ القيس : ألْقِ ما أحببتَ . فقال عبيد :

ما حَبَّةٌ مَيْتَةٌ قامت بِميتَتِها ... دَرداءُ ما أنبتتْ سِنًّا وأضراسا

فقال امرؤ القيس :

تلكَ الشَّعِيرةُ تُسْقَى في سنابلهـا
فأخرَجَت بعد طولِ المُكْثِ أكْداسا

وهكذا استمرت المساجلةُ بينهما ، إلى أن قال عبيد :

ما الحاكمون بلا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ ولا لِسانٍ فصيحٍ يُعْجِبُ الناسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الموازينُ والرَّحمنُ أَنْزَلها رَبُّ البَرِيَّةِ بين الناسِ مِقْياسا

وشبيهٌ بذلك ما جرى بين امرىء القيس والتَّوْأم اليَشكُري. فقد تنازع الاثنان يوماً في الشعر ، فقال امرؤ القيس للتوأم : إن كنتَ شاعراً فأجز أنصافَ الأبيات . فقال التوأم : قُلْ ما شئت . فقال امرؤ القيس :

أصاحِ تَرى بُرَيْقاً هَبَّ وَهْناً

فأجاز التوأم :

كنارِ مجوسَ تَسْتَعِرِ استعارا إلى آخره

وشبيهٌ بذلك أيضاً ما جرى بين امرىء القيس وعَلْقَمَةَ الفَحْل ، وكان امرؤ القيس قد تزوج بامرأةٍ من بني طيء اسمُها : أمّ جُنْدَب . فاتفق أنه كان في خيمةٍ مع عَلْقَمة فتذاكرا الشعرَ فقال امرؤ القيس : أنا أشعَرُ منك . وقال عَلقمة : بل أنا أشعر منك . فاتفقا على أن يقولَ كُلٌّ منهما قصيدة ، وحكّمَا أمّ جُندَب في ذلك . فقال امرؤ القيس قصيدته البائيةَ التي مطلعها :

خليلَيَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبٍ نُقَضِّ لُبانات الفؤادِ المعذَّبِ

وقال اثنين وخمسين بيتاً . ثم قال علقمة قصيدَته من نفس القافية التي مطلعها :

ذَهبتَ من الهِجرانِ في غيرِ مَذْهَب ... ولم يَكُ حقّاً كُلُّ هذا التجنبِ

وقال أربعةً وثلاثين بيتاً أو أكثر . فلمّا احتكما إلى أم جُنْدَب فضّلت علقمةَ على زوجها امرىء القيس . فطَلّقها امرؤ القيس . ويقال إن عَلْقَمةَ تزوّجها فسُمي : علقمةَ الفحل .

وجرى شبيهٌ بذلك بين امرىء القيس والربيعِ بنِ ضَبُعٍ الفَزَارِي .



● **السؤال** : من القائل :

صدقتَ وقلتَ حقّاً غيرَ أني   أرَى أن لا أراكَ ولا تراني

موسى بن سالم
تنغانيكا

*

عَقِيلُ بن أبي طالب ومعاوية

● **الجواب** : قائل هذا البيت هو عقِيلُ بنُ أبي طالب أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

أمّا أصْلُ الحكاية أو المناسبة التي قيل فيها هذا البيت فهي كما يلي ، كما وردت في كتاب « المستطرَف في كُلّ فنٍ مستظرَف » :

كان معاويةُ يُعرَف بالحلم وله فيه أخبارٌ مشهورة وآثارٌ مذكورة وكان يقول : إنـّي لآنـَف أن يكونَ في الأرضِ جهـلٌ لا يَسَعُه حلمي وذنْبٌ لا يسعه عفوي ، وحاجةٌ لا يَسَعها جُودي .

وكتب معاويةُ إلى عَقيل بن أبي طالب يَعتَذر إليه من شيءٍ جرى بينهما

يقول : من معاويةَ بن أبي سفيان إلى عقيلِ بن أبي طالب .. أمَّا بعـــد يا بني عبد المطلب ، فأنتم واللهِ فروع قُصَي ولُبَابُ عبدِ مَنَاف وَصفْوَةُ آلِ هاشم ، فأين أخلاقُكم الراسية وعقولُكم الكاسية . وقد واللهِ أساءَ أمير المؤمنين ما كان جرى ، ولن يَعودَ لمثله إلى أن يُغَيَّبَ في الثَرَى .

فكتب إليه عقيلُ يقول :

صدقتَ وقلتَ حقًّا غير أني   أرَى أنْ لا أراكَ ولا تَراني

ولست أقولُ سُوءاً في صديقي   ولكني أُصدّ إذا جفـــاني

فرَكِب إليه معاوية وناشده في الصفح عنه ، واستعطفه حتى رَجع . ومن القصص التي تُرْوَى عن حلم معاوية أنه كان لعبد الله بنِ الزبير أرضٌ وكان له فيها عَبيدٌ يعملون فيها ، وإلى جانبهـــا أرضٌ لمعاوية وفيها أيضاً عبيـــد يعملون فيها .

فدَخل عبيدُ معاويةَ في أرض عبد الله بن الزبير. فكتب عبد الله بن الزبير كِتاباً إلى معاويةَ يقول فيه : « أمَّا بعد يا معاوية ، إنّ عبيدَك قـــد دخلوا أرضي ، فانْهَهُم عن ذلك ، وإلاّ كان لي ولك شأن والسلام » .

فلما وَقفَ معاويةُ على كتابه وقرأه ، دَفعه إلى ابنه يزيدَ. فلما قرأه قال له معاوية : يا بُنَيّ ما تَرَى؟ قال يَزيد:أرَى أنْ تَبعَثَ إليه جيشاً يكون أولُه عندَه وآخِرُه عندك يأتوَنك برأسه .

فقال معاوية : بل غيرُ ذلك خيرٌ منه يا بني .

ثم أخذَ وَرَقَةً وكتب فيها جوابَ كتابِ عبدِ الله بنِ الزبير يقول فيه: « أمَّا بعد فقد وقفتُ على كتابِ وَلدِ حواريّ رسولِ الله ﷺ ، وساءني ما ساءه، والدُنيا بأسرِها هَيِّنةٌ عندي بجنب رضاه . تَرَكتُ عن أرضي لك ،

فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام » .

فلمّا وقف عبدُ الله بنُ الزبير على كتاب معاوية كتب إليه : « قد وقفتُ على كتاب أمير المؤمنين أطال اللهُ بقاءه ولا أعدمَه الرأي الذي أحلَّه من قريش هذا المَحَل والسلام » .

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه ، رَمَى به إلى ابنه يزيد . فلما قرأه يزيد تهلَّل وجهُه وأسفر ، فقال له أبوه : يا بُني ، من عفا ساد ، ومن حلُم عظُم ، ومَن تجاوز استمال إليه القلوبَ ؛ فإذا ابتُليتَ بشيءٍ من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء » .

ومن الحكايات عن حلم معاوية هذه الحكاية :

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميماً ، فقال له معاوية : إنكَ لدميم ، والجميل خيرٌ من الدميم ، وإنك لشَريك وما لِله من شريك ، وإن أباك لأعور ، والصحيحُ خيرٌ من الأعور فكيف سُدتَ قومَكَ ؟

فقال له : إنكَ معاوية ، وما معاوية إلاّ كلبةٌ عوَت فاستعوت الكلاب ، وإنك لابنُ صخرٍ ، والسهلُ خيرٌ من الصخر ؛ وإنك لابنُ حرب . والسِلم خيرٌ من الحرب ؛ وإنك لابنُ أُميّة ، وما أُميّة إلاّ أمةٌ صُغّرَت ، فكيف صرتَ أميرَ المؤمنين ؟ ثم خرَج وهو يقول :

أَيشتُمُني معاويةُ بنُ حربٍ ... وسيفي صارمٌ ومعي لساني
وحولي من ذوي يزَنٍ ليوثٌ ... ضراغمةٌ تَهُشّ إلى الطِعان
يُعيِّر بالدَّمامَةِ مِن سَفَاهٍ ... ورَبّاتُ الحجَال من الغَواني

ودَخل عقيل بن أبي‌طالب على معاوية فأكرمه وقرّبه وقضى عنه دَينه .

ثم قال له في بعض الأيام : يا عقيل، أنا خيرٌ لك من أخيك عليّ قال: صدقتَ، أخي آثر دينَه على دنياه وأنت آثرتَ دنياكَ على دينك ، فأنت خيرٌ لي من أخي ، وأخي خيرٌ لنفسه منك .

ودخل عقيل على معاوية ، وقد كُفَّ بصرُه . فأقعده معاويةُ على السرير معه ، ثم قال له : أنتم معاشرَ بني هاشم تُصابون في أبصاركم . فقال عقيل : وأنتم معاشرَ بني أمية تصابون في بصائركم .

ودخل عليه يوماً ، فقال معاوية لأصحابه : هذا عقيل عمُّه أبو لهب . فقال عقيل : وهذا معاوية عمّته حمّالة الحطب .

وهذه الأجوبة المُفْحِمة مشهورة عن الهاشميين وتُعرَف بالأجوبةِ الهاشمية.



● **السؤال** : من القائل :

إذا جنّ ليلي هام قلبي بذكركم ... أنوح كما ناح الحمام المطوّقُ
وفوقي سحابٌ يُمطِر الهمَّ والأسى ... وتحتي بحارٌ بالجوى تتدفق

محمد اللخمي محمد عبد المنعم
أبو جبيهة – السودان

★

البهاء زهير

● **الجواب** : هذان البيتان منسوبان في كتاب المستطرف إلى البهاء زهير، وزاد عليهما بيتين آخرين وهما :

سلوا أمَّ عمرو كيف بات أسيرُها ... تُفكُّ الأسارى دونه وهو مُوثَقُ
فلا أنا مقتولٌ وفي القتلِ راحةٌ ... ولا أنا ممنونٌ عليه فيُعتَقُ

وذكر الأبياتَ الأربعةَ ابنُ خلكان ولكنه نسبها إلى أبي العباس المعروف بابن الرفاعي، ونقل عنه غيرُه من الكتب الحديثة كالمنتخب من أدب العرب فنَسبت الأبيات إلى ابن الرفاعي. وذكر كتابُ الأغاني البيتين الأخيرين وقال عنهما إنها مما يُغنّى به من شعر شبيبِ ابنِ البرصاء .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

صُفْرٌ غلائلُها حُمْرٌ عمائمُها ... سُودٌ ذوائبُها بِيضٌ لياليها

كَصَعْدَةٍ في حشا الظلماء طاعنةٍ ... تَسْقِي أسافِلَها رِيًّا أعاليها

الكَريني مبارك

تارودَنت — أغادير — المغرب

★

القاضي ناصح الدين الأرجاني

● **الجواب :** هذان البيتان من قصيدة طويلة يقولها القاضي ناصح الدين الأرّجاني في وصفِ شمعة، وقد استوفى في هذه القصيدة جميعَ صفات الشمعة، ويقول في أولها :

نَمّت بأسرار ليلٍ كان يُخفيها ... وأطْلَعَت قلبَها للناسِ مِن فيها

ويقول :

غريقةٌ في دموعٍ وهي تُحرِقها ... أنفاسُها بدوامٍ من تَلَظِّيها

تَنفَّست نفسَ المهجور إذ ذكرت عهدَ الخليط فبات الوجد يُذكيها

إلى أن يقول :

صُفرٌ غلائلُها حُمر عمائمُها سودٌ ذوائبُها بيضٌ لياليها

وَصيفةٌ لستَ منها قاضِياً وَطراً إن أنتَ لم تَكسُها تاجاً يُحَلّيها

صَفراءُ هندِيةٌ في اللون إن نُعِتَت والقَدُّ واللِين إن أَتممتَ تشبيها

فالهندُ تقتل بالنيران أنفسَها وعندها أن ذاك القتل يُحْيِيها

والقصيدةُ طويلة .

والذين وصفوا الشمعة بالشعر كثيرون . منهم ابنُ كشاجم بقوله :

بِرْكَةُ صُفرٍ عَمودُها شَمَعُ تَفِيضُ ناراً من موضعِ الماء

تبكي إذا ما المِقصُّ حَمَّشها فَرْطَ حياءٍ من الأَخِلاَّءِ

كأنَّها عاشِقٌ مَخايِلُه فيه بَوادٍ لِمُقْلَةِ الرائي

صُفرَةُ لونٍ وذَوْبُ مَعْتَبَةٍ ودَمْعُ حُزنٍ ونارُ أحشاء

ومنهم السَّرِيُّ الرَّفّاء بقوله :

وباكيةٍ ليلَها كُلَّه تُحاكي الصَّباحَ بِمِصْباحِها

بَصيرةُ ليلٍ ولكنها ضَريرتُه عند إصباحِها

تَجُزُّ لإصلاحِها رأسَها فإفسادُها عند إصلاحِها

ولصفي الدين الحِلِّي قصيدةٌ في الشمع يقول فيها :

جلَت الظَلْماء باللَّهَب إذ بدَت في الليل كالشُّهُبِ
سَفَرَت كالشمس ضاحكَة مِن تواري الشمس بالحُجُبِ

ثم يقول أبياتاً تسعة يبدأ كُلًا منها بكلمة « أو » ، نذكر منها :

خلتُها والليلُ مُعتَكِرٌ ونجومُ الأفـق لم تَغِبِ
قُضُباً مِن فِضةٍ غُرِست فوق كُثبـان من الذهب
أو يواقيتاً مُنضَّدَةً بين أيدينـا على قُضُب
أو رِماحاً في العِدَى طَعَنت فَغَدَت مُحْمَرَّة العَـذَبِ

إلى آخره. ووصف الصابي شمعةً فقال :

وليلةٍ مِن مُحاقِ الشهرِ مُدْجِنَةٍ لا النجمُ يَهْدِي السُّرَى فيها ولا القَمَرُ
كَلَّفتُ نفسي بها الإدلاجَ مُمتَطِياً عَزماً هو الصارمُ الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ
إلى حبيبٍ له في النفسِ مَنزِلةٌ ما حَلَّهـا قبلَه سَمعٌ ولا بَصَرُ
ولا دليلٌ سوى هيفاء مُخْطَفَةٍ تَهدِي الرِّكابَ وجُنحُ الليل مُعتَكِرُ
غُصنٌ مِن الذهب الإبريز أثمر في أعلاه ياقوتـةٌ صفراءُ تَستَعِرُ
تأتيكَ ليلاً كما يأتي المُريبُ فإن لاح الصباحُ طَوَتها دونَه الجُدُرُ

وقال أبو العلاء المعري في الشمعة :

وصفراءَ لونَ التِبر مثلي جَليدةٍ على نُوَب الأيامِ والعِيشَةِ الضَّنْكِ
تُريكَ ابتساماً دائمـاً وتَجَلُّداً وصَبراً على ما نابها وهي في الهُلْكِ
ولو نطَقت يوماً لقالت: أظُنُّكم تخالُون أني مِن حِذار الرَّدَى أبكي

فلا تحسَبوا دَمعِي لِوَجدٍ وَجدتُه فقد تَدمَع الأحداقُ من كثرةِ الضّحْكِ

ويقول اسماعيلُ بن علي المعروف بابنِ عِزّ القُضاة عن شُمُوعٍ :

وزَهرِ شُمُوعٍ إن مَدَدْنَ بنانَها لِتَمحو سطورَ الليلِ نابت عن البَدْرِ
وَفيهنّ كافوريّةٌ خِلْتُ أنّها عَمُودُ صَباحٍ فوقه كوكبُ الفَجْرِ
وصَفراءُ تحكي شاحباً شاب رأسُه فأدْمُعُها تجري على ضَيْعة العُمْرِ
وخضراءُ يبدو وَقْدُها فوقَ خدّها كنَرْجِسةٍ تزهو على الغُصُنِ النَّضْرِ
فلا غَرْوَ أن يَحكي الأزاهِرَ حُسْنُها أليْس جَنَاها النَّحْلُ قِدماً من الزَّهْر

ولابن المعتز في شمعة :

صَفْراءُ مِن غيرِ عِلَلْ مَركوزةٌ مِثْلَ الأَسَلْ
كأنّها عُمْرُ الفتى والنارُ فيها كالأَجَلْ

ولهم أيضاً ألغاز في الشمعة ، نذكر منها قولَ عبدِ الله بن الخشاب :

صَفْراءُ لا من سَقَمٍ مَسّها كيف وكانت أُمّها الشافية
عُريانةٌ باطِنها مُكتَسٍ فاعْجَب لها كاسيةً عارية

● **السؤال:** لقد قرأتُ هذا البيت ولم أعرف من القائل وما مناسبة القول، فمن القائل وما المناسبة :

إذا لم يكن للمرء في دولةِ امرىءٍ نَصِيبٌ ولا حَظٌ تمنى زوالَها

فريد يوسف حشيش
دورا – الخليل – الضفة الغربية – الأردن

★

ابن الرومي

● **الجواب :** هذا البيت من بيتين وهما :

إذا لم يكن للمرء في دولةِ امرىءٍ نَصِيبٌ ولا حَظ تمنى زوالَها

وما ذاك مِن بُغضٍ لها غيرَ أنه يُرَجّي سِواها فهو يهوى انتقالها

ويُنسَب هذان البيتان أحياناً إلى ابنِ الرومي ، ورأيتُهما في يتيمةِ الدهر منسوبين إلى أبي أحمد بن أبي بكر الكاتب ، ورأيتها في هامش نفحات الأزهار

منسوبين إلى أحمد بن أبي بكر. وذكر الدميري في حياة الحيوان الكبرى حكايةً جرت مع المأمون وهي أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة ، وهو يكتب بها على حائط قصره . فقال المأمون لخادمٍ له : إذهب إلى ذلك الرجل وانظُر ما يكتب وأتِني به . فبادر الخادمُ إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه وتأمّل ما كتبه فإذا هو :

يا قَصْرُ جُمّع فيك الشُّومُ واللُّومُ ... متى يُعَشّشُ في أركانِكِ البومُ

فقال الخادم للرجل : أجب أميرَ المؤمنين . فقال له الرجل : سألتُكَ باللهِ ، لا تَذْهَبْ بيَ إليه . فقال الخادم : لا بُدّ من ذلك . فأخذه ، ولمّا مَثَل بين يدي المأمون أعلمهُ الخادمُ بما كتب على الحائط . فقال المأمون للرجل : ويحك ، ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين إنه لا يخفى عليك ما حواه قصرُك هذا من خزائنِ الأموالِ والحُليّ والحُلَل والطعام والشراب ، والفراشِ والأواني والأمتعةِ والجواري والخدمِ وغيرِ ذلك مما يَقصُر عنه وَصْفي ويَعجَز عنه فهمي ، وإني يا أميرَ المؤمنين قد مررتُ الآن عليه وأنا في غايةٍ من الجوع والفاقة ، فوقفتُ مفكِراً في أمري وقلتُ في نفسي : هذا القصر عامرٌ عالٍ وأنا جائعٌ لا فائدةَ لي فيه ، فلو كان خراباً ومَرَرتُ به لم أعْدم منه رُخامةً أو خشبةً أو مِسماراً أبيعُه وأَتقَوّت بثمنه. أوَ ما عَلِمَ أميرَ المؤمنين ما قال الشاعر ؟ قال : وما قال ؟ قال :

إذا لم يكن للمرءِ في دولةِ امرىءٍ ... نَصيبٌ ولا حظٌّ تمنى زَوالَها

وما ذاك من بُغضٍ لها غير أنه ... يُرَجّي سواها فهو يهوى انتقالَها

فقال المأمون لغلامٍ له : يا غلام ، أعطِه ألفَ دينار . ثم قال الرجل : هي

لك في كـُل سنة ما دام قصرُنا عامراً بأهلِه . وزاد الدميري على ذلك قائلاً :
وأنشدوا في معنى ذلك :

إذا كنتَ في أمرٍ فَكُن فيه مُحسِناً فَعَمَّا قليل أنتَ ماضٍ وتاركُهْ

فكم دَحت الأيامُ أربـــابَ دولةٍ وقد ملكتأضعافَ ماأنتَ مالِكُه



● **السؤال :** من القائل وكم عاش ومتى ومن أين هو ومتى وُلِد ، مع قراءة شيءٍ من القصيدة :

عُيونُ المهـــا بين الرُّصافةِ والجسر
جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

بلقاسم السعدي
مرسيليا – فرنسا

★

علي بن الجهم

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر العباسي علي بن الجهم من قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل العباسي وكانت مدة خلافتــه من سنة ٢٣٢ هجرية إلى ٢٤٧ أو من ٨٤٧ ميلادية إلى ٨٦١ . وهذه القصيدةُ أشبهُ ما تكون بقصيدةِ عمر بن أبي ربيعة الرائية . ويقول علي في أولها :

عُيونُ المهـــا بين الرُّصافة والجسرِ
جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

أَعدن لي الشوقَ القـــديمَ ولم أكُن

بَلَوْتُ ، ولكن زِدْنَ جَمْـراً على جَمْـرِ

سَلِمْنَ وأَسْلَمْنَ القـلوبَ كأنّمـــا

تُشَـكُّ بأطرافِ المُثقَّفَـةِ السُمْر

فَقُلْنَ لنـــا نحنُ الأهلةَ إنّمـا

نُضِـيء لِمن يَسْري إلينا ولا نَقْري

خليلَيَّ مـا أحلى الهوى وأَمَرَّه

وأعرفَني بالحُـلْوِ منـه وبالمُرّ

ثم يقول أبياتاً أشبهَ بأبيات عمر بن أبي ربيعة في رائيته :

وإن أنسَ للأشياء لا أنسَ قولَهـا لجارتها ما أولعَ الحُبَّ بالحر

فقالت لها الأخرى فما لِصَديقِنا مُعَنّى وهل في قتله لكِ مِن عُذْر

صِليه لَعلَّ الوصلَ يُحييه واَعلمي بانّ أسيرَ الحب في أعظم الأسرِ

فَقُلْتُ فتىً إن شِئْتُما كَتَم الهوى وإلاّ فَخَلاَّعُ الأَعِنّةِ والعُذرِ

ثم يخرج من الغزل إلى مدح الخليفة المتوكل واسمه جعفر :

وما أنا مِمّـن سار بالشِعرِ ذكرُه ولكنَّ أشعـاري يُسَيِّرُها ذِكْري

وللشِعرِ أتباعٌ كثيرٌ ولم أكُن له تابعاً في حالِ عُسرٍ ولا يُسر

ولكنَّ إحسانَ الخليفةِ جعفرٍ   دَعاني إلى ما قلتُ فيه من الشعر
فسار مسيرَ الشمسِ في كلِّ بلدةٍ   وهَبَّ هُبُوبَ الريح في البرِّ والبحر
ولو جلَّ عن شكرِ الصنيعةِ مُنْعِمٌ   لَجَلَّ أميرُ المؤمنين عن الشكر

إلى آخره .

ومات عليّ بن الجهم سنة ٢٤٩ هجرية . وكان في آخر أيامه قد هجا المتوكل فنفاه إلى خراسان سنة ٢٣٩ وكتب إلى طاهر بن عبد الله أنه إذا ورد عليٌّ عليه فليَصْلُبْهُ يوماً ولمّا جاء عليّ حبسه طاهر وصلبه نهاراً كاملاً ثم تركه. فرجع إلى العراق من خراسان ثم خرج إلى الشام ، وفي أثناء توجهه من حلب إلى العراق خرجت عليه خيلٌ من بني كلب فقاتلهم قتالاً شديداً ولحقه الناس وهو جريح في آخر رمقٍ فقال :

أَزِيدَ في الليـل ليلٌ   أم سال بالصبح سَيْلُ
ذكرتُ أهـلَ دُجيلٍ   وأينَ مني دُجَيْلُ

وكان منزلُه في بغداد في شارع دُجيل . ولمّا نُزعت ثيابُه وُجدت فيها رُقعةٌ عليها :

يا رَحْمَتَا للغريب في البَلَدِ النازح ماذا بنفسِه صَنعا
فارق أحبابَه فما انتفعوا   بالعَيشِ من بعدِه ولا انتفعا

وهو الذي قال قصيدَته المشهورة في الحبس ومطلعها :

قالوا: حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري   حبسي وأيُّ مُهَنَّد لا يُغْمَـــد

ويقول ابن خلكان عن هذه القصيدة : وهي أبياتٌ جيدة في هذا المعنى ولم يُعمَل مثلُها .

ودُجَيْل تصغيرُ دَجْلة تصغيرَ ترخيم ، نهرٌ بأعلى بغداد مَخْرَجُه من دِجلة مقابلَ القادسية مِن الجانب الغربي بين تَكْرِيت وبغداد وعليه مُدُن وقرى وهو غير دُجيل الأهواز .



● **السؤال :** من قائل هذه الأبيات وما المناسبة :

لنا العِزّةُ القعساءُ والعَـدَدُ الذي ... عليـه إذا عُـدّ الحصى يَتَخلّفُ

إذا هَبَطَ الناسُ المُحَصَّبَ من مِنىً ... عَشِيّةَ يوم النحر مِنْ حَيْثُ عَرَّفوا

تَرَى الناسَ ما سِرنا يَسِيرون خَلْفَنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناسِ وَقّفوا

ابراهيم محمد ياسين محلاوي
متوسطة عمر بن عبد العزيز – المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

★

الفرزدق

● **الجواب:** هذه الأبياتُ الثلاثةُ من قصيدةٍ طويلةٍ للفرزدق وهي إحدى نقائض جريرٍ والفرزدق ومَطلعُها :

عَزَفتَ بأَعشاشٍ، وما كنتُ تَعْزِفُ
وأنكرتَ مِن حَدْراءَ ما كُنتَ تَعْرِفُ

ولجَّ بـكَ الهجرانُ حتى كأنّمـــا
تَرَى الموتَ في البيتِ الذي كنتَ تألَفُ

وتقَع هذه القصيدةُ في قريب من مئةٍ وعشرين بيتاً، بدَأها كعادةِ شعراء الجاهلية وصدرِ الإسلام ، بالكلام الغَزَلي والأقوالِ الغرامية ، ثم انتقـل إلى مدْح الخليفة ، ثم إلى مدحِ ناقته ، كعادةِ شعراءِ الجاهلية ، ومنه إلى الفخر ، وانتهى إلى الهجاءِ ، هجاءِ جريرٍ بكلامٍ مُقْذِع .

والبيتُ الأولُ المسئولُ عنه لا يأتي مع البيتين الآخرين ، وإنما يأتي قبلها بستةِ أبيات .

والنقائضُ بين جرير والفرزدق قصائد في الهجاء ، كان الواحدُ منهما إذا افتخر بأشياءَ ناقضه الآخَرُ وعابه بأشياء . وقـــد جمَع الأدباء هذه القصائدَ وعلّقوا عليها وشرحوها .

وقال موهوبُ بن رُشَيد الكلابي عن الفرزدق إنه قدِم المدينـــةَ ، فمرَّ بجماعةٍ من الناس قد وَقفوا على جميلِ بثينة وهو يُنشِدُهم شِعْرَه ، فأنشدَهم حتى وصل إلى قوله :

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا وإن نحنُ أومَأْنا إلى الناسِ وَقّفوا

فصاح به الفرزدق وقـــال : أنا أحقُّ بهذا البيتِ منك . فنظر جميلٌ إلى القائلِ فعرفه فقال له : أنشُدُكَ اللهَ يا أبا فِراس . قال : نحن أولى به منك . وانـصَرف ، ثم أدخله في شعره وانتحله .

وجاء في الأغاني عن سببِ قولِ الفرزدق لهذه القصيدة الطويلة أنَّ الفرزدقَ قدِمَ المدينة في إمارة أبَان بنِ عُثمان ، واجتمع بِـكُثَيِّر عزة وأخذ الإثنان

يتناشدان الأشعار ومعهما ابراهيم بن محمد بن سعيد بن وقاص ، فبينما هما على هذه الحال إذ طلَع عليهما غلام ، فقصَدهما ولم يُسلِّم وقال : أيُّكُم الفرزدق ؟ فقال ابراهيم بن محمد : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال الغلام : لو كان كذلك لم أقُل هذا . فقال له الفرزدق : مَن أنت لا أمَّ لك ؟ قال : رجلٌ من الأنصار ثم من بني النجار ، ثم أنا ابنُ أبي بَكرِ بنِ حَزْم ، بَلَغني أنـك تزعُمُ أنكَ أشعرُ العرب ، وتزعُمُه مُضَر ، وقد قال شاعرُنا حسانُ بن ثابت شعراً أردتُ أن أعرِضَه عليك وأؤَجِّلَكَ سنـة ، فإن قلتَ مثلَه فأنت أشعرُ العرب ، وإلاَّ فأنتَ مُنتَحِل . ثم أنشده قصيدة حسان : ألم تسألِ الرَّبْعَ الجديدَ التَّكَلُّما . حتى بلغ إلى قوله :

وأبقَى لنا مرُّ الحروب ورُزوُّها ... سيوفاً وأدراعاً وجمعاً عَرَمْرَما

لنا حاضرٌ فَعْمٌ وبادٍ كأنـه ... شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وتكرُّما

متى ما تُرِدْنا مِن مَعَدٍّ عِصابةٌ ... وغسَّانَ تَمْنَعْ حوضَنا أن يُهَدَّما

بكلِّ فتىً عاري الأشاجِع لاحه ... قِراعُ الكماةِ يَرْشَحُ المِسْكَ والدَّما

وَلَدْنا بني العنقـاء وابني مُحَرِّق ... فأَكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنَما

نُسَوِّدُ ذا المالِ القليلِ إذا بَدَت ... مُروءَتُه فينا وإن كان مُعْدِمـا

وإنّا لَنَقْري الضيفَ إن جاء طارقاً ... من الشحمِ ما أمسى صحيحاً مُسَلَّما

لنا الجفَناتُ الغرُّ يلمعنَ في الضُّحى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ مِن نَجدةٍ دما

وأنشد القصيدة وهي نَيِّفٌ وثلاثون بيتاً وأجّله حولاً كاملا .

فانصرف الفرزدق مغضَباً يسحب رداءه ، وما يَدري أين يَضَعُ طَرْفَه

حتى خرج من المسجد ، فأقبل على كُثَيِّر وقال : قاتل اللهُ الأنصار ما أفصحَ لهجتَهم وأوضح حجّتَهم وأجودَ شعرَهم ، وقال ابراهيم : فلم نَزَل في حديث الأنصار والفرزدق بقيةَ يومنا حتى إذا كان من الغـــدِ خرجتُ من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس،فأتى كُثَيِّر وجَلَس معي، وإنّا لَنَتذاكرُ الفرزدقَ إذ طَلَع علينا في حُلّةٍ أفوافٍ قد أرخى غديرَته حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعَل الأنصاري ؟ فنِلْنا منه وشَتَمْناه . فقال : قاتله الله ، ما مُنيتُ بمثله ولا سمعتُ بمثلِ شِعره . فارقتُه وأتيتُ منزلي ، فأقبلتُ أُصعِّدُ وأُصوِّب في كلّ فنٍ من الشعر فكأني مُفحَمٌ لم أقُل شعراً قط ، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رَحلتُ ناقتي وأخذتُ بزمامها حتى أتيتُ رَيّاناً (وهو جبـــل في المدينة) ، ثم ناديتُ بأعلى صوتي : أخاكم ! أخاكم ! (ينادي شيطانَه) ، فجاش صدري كما يَجيش المِرْجَـــل، فعَقَلْتُ ناقتي وتوسّدتُ ذراعَها ، فما سَكَتُّ حتى قلتُ مئةً بيتٍ من الشعر وثلاثـةَ عشرَ بيتاً ، وأنشد الفرزدقُ الأبيات ، فبينا هو يُنشِد إذ طلـع الأنصاري وسلّم علينا وقال للفرزدق : لم آتِكَ لأعجلَكَ عن الأجل الذي وقّتُه لك ، ولكني أحببتُ أن لا أراكَ إلاّ سألتُك : أيْش صنعت ؟ فقـــال له الفرزدق : إجلس ! وأنشد :

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعزِفُ
وأنكرتَ مِن حدراءَ ما كنتَ تَعرِفُ

حتى بلغ إلى قوله :

تَرَى الناسَ ماسِرْنا يَسيرون خَلْفَنا ... وإن نحنُ أومأْنا إلى الناسِ وَقّفوا

فأنشدها الفرزدق حتى بلغ إلى آخرها . فقام الأنصاري كئيباً ؛ فلمّا توارى طلع أبوه أبو بكر في مشيخةٍ من الأنصار فسلموا على الفرزدق وقالوا : يا أبا

فِراس ، قد عرفتَ حالَنا ومكانَنا من رسولِ الله ﷺ ، وقد بَلَغَنا أن سفيهاً من سفهائنا تعرَّض لكَ ، فنسألكَ بحقِّ الله وبحقِّ رسوله لمَّا حفِظتَ فينا وصيةَ رسول الله ﷺ ووهبتَنا له ولم تفضحنا. فقال: إذهبوا، فقد وهبتُكم لهذا القرشي .

ومِمَّا يحكى عن كُثَيِّر عَزَّة والفرزدق في بابِ سَرِقةِ الشعر أن كثيراً أتى الفرزدقَ فقال له الفرزدق : يا أبا صخر ، أنتَ أنسبُ العرب حيث تقول :

أُريدُ لِأَنسى ذِكرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي ليلى بِكُلِّ سبيلِ

فَرَدَّ عليه كُثَيِّر وقال : وأنتَ أفخَرُ العرب حين تقول :

ترى الناس إن سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا وإن نحنُ أومانا إلى الناسِ وَقَّفوا

وكلا البيتين مِن شعر جميل. فَسَرقَ البيتَ الأولَ كُثَيِّر وسَرقَ البيتَ الثاني الفرزدق .

وباب سَرِقةِ الشعر بابٌ معروف من أبواب الأدب في الشعر العربي ، وقد بحثه كثيرون في صورةٍ مجموعة أو متفرقة ، ومنهم صاحب كتاب العمدة فقد أفرد له فصلاً خاصاً ، وفرَّق بين المسروق من الشعر والمُغتَصَب وبين الإغارة والاختلاس وبين الإلمام والملاحظة ، وبين المشتَرَك والمبتَذَل والمُختَنَص. وبين الاختلاب والاستلحاق والمرافدة والاسترفاد والاهتدام والنسخ والموازنة والمواردة والالتقاط والتلفيف والاجتذاب والتركيب والاصطراف والانتحال. وذكر ابنُ رشيق في كتاب العمدة أمثلةً على ذلك ، وذكر حكايةَ البيت :

ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خَلْفَنا وإن نحن أومانا إلى الناسِ وَقَّفوا

وقال إنَّ الفرزدق سَمِعَ جميلاً يُنشِد هذا البيت فقال له : متى كان

المُلْكُ في بني عُذْرة ؟ إنما هو في مضر ، وأنا شاعِرُها . فغلب الفرزدقُ على البيت ، ولم يَتْرُكْهُ جميلٌ ولا أسقطه من شعره. وقد زعَم بعضُ الرواةِ أن الفرزدق قال لجميل : تَجافَ لي عنه ! فتجافى جميلٌ عنه . فما كان على هذه الصورة فهو إغارة .

وتُحكى حكاياتٌ أخرى عن إغارةِ الفرزدق على أشعار غيره . مِن ذلك مثلاً أنه سَمِعَ الشمردلَ اليربوعي يقول :

فما بينَ مَن لم يُعطِ سَمعاً وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حَزِّ الحلاقم

فقال : واللهِ لَتَدَعَنّه أو لَتَدَعَنَّ عِرْضَكَ ! فقال الشمردل : خُذْه لا باركَ اللهُ لكَ فيه . وقال ذو الرُّمّة يوماً أبياتاً والفرزدق يسمع ، والأبياتُ هي :

أحِينَ أعاذَتْ بي تميمٌ نِساءَها وجُرِّدتُ تجريدَ اليَماني من الغِمْدِ

ومَدَّتْ بِضَبْعَيَّ الرِّبابُ ومالِكٌ وعمروٌ وسالت مِن ورائي بنو سَعْدِ

ومِن آلِ يَرْبوعٍ زُهاءٌ كأنّه دُجى الليل محمودُ النكاية والرِّفْدِ

فلمّا سمعها الفرزدق قال : إياكَ وإيّاها ، لا تَعُودَنَّ إليها ، وأنا أحقُّ بها منك ! فقال ذو الرمة : والله لا أعودُ فيها ولا أُنشِدُها أبداً إلاّ لك .

وجاء في الأغاني أن أبا عثمان المازني قال: مَرَّ الفرزدق بابنِ ميّادةَ الرَّمّاح، والناس حوله ، وهو يُنشِد :

لو أنّ جميعَ الناس كانوا بِرَبْوةٍ وجئتُ بِجَدي ظالمٍ وابنِ ظالم

لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فقال له الفرزدق : يا ابنَ الفارسية ، أَما والله لَتَدَعَنَّه لي أو لأنبُشَنَّ أُمَّكَ مِن قبرها . فقال له ابنُ ميادة : خُذْه لا بارك اللهُ لكَ فيه . فقال الفرزدق :

لو أنّ جميع الناس كانوا بربوةٍ وجئتُ بجدي دارمٍ وابنِ دارم
لظلت رقابُ الناس خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

ويقال إن الفرزدق اغتصب بيت حسّان بن حنظلة وضمّه إلى شعره وهو :

أحلامُنا تَزِن الجبالَ رزانةً ويزيد جاهلنا على الجُهّال

وذكر الأغاني أن الفرزدق كان مَهيباً تخافه الشعراء، فمرّ يوماً بالشَّمَرْدَل وهو (أي الشمردل) يُنشِد قصيدَته ، حتى بلغ إلى قوله :

وما بينَ مَن لم يُعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حَزّ الغَلاَصِم

فقال له الفرزدق : واللهِ لتتركنّ هذا البيت أو لتتركنّ عِرضك . فقال الشمردل : خُذه على كَرهٍ مني ، فضمّه الفرزدق إلى شعره ، فهو في قصيدته التي أولها :

تَحِنّ بزوراءِ اليمامةِ ناقتي حنينَ عَجولٍ تتبع البوّ رائم

وكان الفرزدق يقول : خيرُ السَّرِقةِ ما لا يَجِب فيه القَطْع (أي قَطع اليد) ، ويعني بذلك سَرِقةَ الشعر لأنها حَلال .

وقال الضّحاكُ بنُ بُهلول الفُقَيمي : بينا أنا بكاظمة ، وذو الرُّمّة يُنْشِد قصيدته التي فيها :

أحين أعاذت بي تميمٌ نساءها وجُرِّدتُ تجريدَ اليماني من الغِمْدِ
ومَدَّت بِضَبْعَيّ الرِّبابُ ومالكٌ وعمرو وشالت مِن ورائي بنو سعد

ومن آلِ يَربوعٍ زُهاءٌ كأنّه ... دُجى الليل محمودُ النِكايةِ والورِدْ

وكُنّا إذا الجبّارُ صعّر خدّه ... ضَرَبناه حتى يستقيمَ على الكَرْد

إذا راكبان تدلّيا من نفْقٍ كاظمة مُتَقَنّعان ، فوقفا . فلمّا وَقف ذو الرُّمة عن الإنشاد حسَر الفرزدق عن وجهه وقال لعبيدٍ راويته : يا عُبَيد أضْمُمها إليك ! فقال ذو الرمة : نَشَدْتُكَ اللهَ يا أبا فراس إن فعلت. فقال: دع ذا عنك ! وانتحلها في شعره .

● **السؤال :** من القائل وفي أي عصر :

صديقٌ لنا مِن أبدعِ الناسِ في البخل ... وأفْضَلِهِم فيه وليس بذي فضل

دَعاني كما يدعو الصديقُ صديقَه ... فجِئتُ كما ياتي إلى مِثلِه مثلي

فلمّا جَلَسْنا للطعام رأيتُـه ... يَرَى أنه من بعض أعضائه أكلي

محمد يحيى بن سامي الكيالي
المعرة – إدلب – حلب – سوريا

★

أبو الفتح كُشاجِم

● **الجواب :** هذه الأبيات للشاعر العباسي أبي الفتح كُشَاجِم المعروف بأبي نصر وتوفي في حدود سنة ٣٥٠ هجرية وبعضهم، كما في يتيمة الدهر للثعالبي، يسميه باسم أبي نصر بن أبي الفتح بنِ كُشَاجِم ، ولا أظن إلاّ أن الاثنين واحد . والأبياتُ من قصيدة في بخيل ، كما هو واضح . وقد ذكر الأبيات كُلَّها صاحبُ يتيمةِ الدهر . ومنها :

وَيغتاظ أحياناً ويَشْتُم عَبْدَه وأَعْلَمُ أنَّ الغيظَ والشتمَ مِن أجلي

فأقْبَلْتُ أَسْتَلُّ الغَداءَ مخافةً والحاظُ عينيه رَقيبٌ على فعلي

أُمدُّ يَدِي سِرًّا لِأَسرِقَ لُقمةً فَيلْحَظُني شَزْراً فأَعْبَث بالبَقْلِ

إلى آخرِ الأبيات . وليست هذه أبلغَ من قولِ أبي نواسٍ مثلاً :

أبو نُوحٍ دَخَلْتُ عليه يوماً فَغَدَّاني برائحةِ الطَّعامِ

وقَدَّم بيننا لحماً سميناً أَكلناه على طَبَقِ الكلامِ

فلمّا أن رَفَعْتُ يَدِي سَقَاني كُؤوساً خَمْرُها رِيحُ المُدَامِ

فكان كمن سَقَى الظمآنَ آلاً وكنتُ كمن تَغَدَّى في المَنَامِ

ويقول أبو نواس في بخيل :

سِيَّانِ كَسْرُ رغيفِه أو كَسْرُ عَظْمٍ مِن عِظَامِه

فارْفُق بكسرِ رغيفِه إن كنتَ تَرْغب في كلامِه

وتَرَاهُ مِن خوفِ النُّزولِ به يُرَوَّعُ في مَنَامِه

ومِثْلُ ذلك قولُ بعضِهم في بخيل :

رأى «الصيفَ» مكتوباً على بابِ داره فَصَحَّفَهُ ضيفاً فقام إلى السيفِ

وقُلنا له «خيراً» فَظَنَّ بأننا نقول له «خُبزاً» فمات من الخوفِ

وفي مثل قولِ أبي نواس يقول ابنُ طَبَاطَبا :

أجاعَ بَطْنِيَ حتى شَمَمْتُ رِيحَ المَنِيَّهْ

وجـــاءني برغيـفٍ قــد أدرك الجاهليهْ
فَقُمْتُ بالفاسِ حتى أدُقَّ منــه شظِيّة
تثَــلَّم الفاسُ وانصــاع مِثْــلَ سَهْمِ الرَّمِيّــة
فشَجَّ رأسي ثلاثــاً ودَقَّ مني الثَّنِيّــة

ويقول أبو الفتح البستي في رغيف أبي علي :

رغيفُ أبي عليٍّ حلَّ خوفاً من الأسنانِ ميْدانَ السِّماكِ
إذا كَسَروا رغيفَ أبي عليٍّ بكى يبكي بَكاءً فهــو باكي

ويقول عَبْدان الأصفهاني المعروف بالخُوزي :

رَغِيفُك في الأمنِ يا سيدي يَحُلُّ مَحَلَّ حَمَامِ الحَرَمْ
فَلِلّهِ دَرُّكَ مِن سَيِّــدٍ حَرَامِ الرغيفِ حَلَالِ الحُرُمْ

ويقول الحسين بن عبد الرحيم الكِلابي :

فتىً لِرَغيفِه قُرطٌ وشَنْفُ وإكليلانِ مِن خَرَزٍ وشَزْرِ
إذا كُسر الرغيفُ بكى عليه بُكا الخنساءِ إذ فُجِعتْ بصَخْرِ

ورأيت أبياتاً في البخل في هذا المعنى ذكرها كتاب المستطرف ، منها :

أتانا بَخيــلٌ بخبزٍ له كَمِثل الدراهم في رِقَّتِهْ
إذا ما تنفَّس حولَ الخُوَانِ تطاير في البيتِ مِن خِفَّتِه

ومنها :

تَراهُم خشيةِ الأضيافِ خُرساً	يُقيمون الصــلاة بلا أذانِ

ومنها :

وجيرةٍ لا نَرَى في الناس مِثْلَهُمْ	إذا يكونُ لهم عيدٌ وإفْطــارُ
إن يُوقِدوا يُوسِعونا مِن دُخانِهِم	وليس يَبْلُغُنا ما تَطبُخُ النـارُ

ومنها :

يا قائمـــاً في داره قاعــداً	من غيرِ مَعْنىً ولا فائِـــدَةْ
قد مات أضيافُكَ مِن جُوعِهم	فاَقرأ عليهم سورةَ المائــدة

ومنها :

وبِتْنا كأنَّا بينَهمْ أهـــلُ مأتمٍ	على مَيِّتٍ مُستَوْدَعٍ بَطْنَ مُلْحِدِ
يُحَدِّث بعضاً بَعْضُنا بمُصابه	ويامُر بعضاً بعضُنا بالتَّجَلُدِ

ومنها ما يقوله دِعْبِل في بخيل :

صَدَّق أَلِيَّتَه إن قـــال مُجتَهِداً	لا والرغيفِ، فذاكالبِرُّ مِن قَسَمِهْ
فإن هَمَمْتَ به فاَعْبَث بِخُبزَتِه	فإن مَوْقِعَها مِن لَحمِه ودَمِــهْ
قد كان يُعْجِبُني لو أن غَيْرَتَه	على جرادِقِه كانت على حُرُمِهْ

ومنها في بخيل :

لو عَـــبَرَ البحرَ بامواجِه	في ليــلةٍ مظلمـــةٍ بارِدهْ
وكَفُّـــه مملوءةٌ خَرْدَلاً	ما سَقَطَت مِن كفِّه واحِـــده

ومنها :

نَوَالُكَ دونه شَوكُ القَتَادِ   وخُبْزُكَ كالثريا في البعادِ

فلو أبْصَرْتَ ضيفاً في منامٍ   لحَرَّمْتَ الرُّقادَ إلى المَعَادِ

ومنها :

لا تَعْجَبَنَّ لِخُبزٍ زَلَّ مِن يَدِهِ

فالكَوكَبُ النحسُ يَسقي الأرضَ أحيانا



● السؤال : من القائل وما المناسبة :

بسيف أبي رَغوانَ سيفِ مُجاشِـعٍ
ضَرَبْتَ ولم تَضْرِب بسيفِ ابنِ ظالم

محمد محمود بن عبد العزيز
روهو – الجمهورية الاسلامية الموريتانية

★

جرير

● الجواب : هذا البيت للشاعر الأموي جرير بن عَطيَّةَ بنِ الخَطَفَى من قصيدةٍ لهـا حكاية وهي أن سليمانَ بنَ عبد الملك حجَّ في سنة من السنين ومعه الشعراء ، فمرّ بالمدينة مُنصَرِفاً ،فأتى بأسرى من الروم ، وعنده عبدُالله ابنُ الحسن بنِ الحسن بنِ علي رضي الله عنهم ، وكان أقربَ الجالسين من سليمان . فجاءوا بكبير الأسرى وهو في أغلاله ، فقال سليمانُ لعبد الله : قُمْ فاضرِب عُنُقَه . فقام ، ولم يُعطِه أحدٌ سيفاً حتى دَفع إليه أحدُ الحرس سيفاً كليلاً فأخذه وضرب به الرومي فأبان عنقَه وذراعَه وساعدَه . فقـال له سليمان : اجلِس فوالله ما ضربتَه بسيفِك ولكن بحسبك . ثم دَفع إلى جريرٍ أسيراً آخر وقال له أنْ يَضربَ عنقَه . فأعطته بنو عبسٍ سيفاً قاطعاً في قراب

أبيض ، فضرب الأسيرَ به فأطار رأسَه . ثم دَفــع إلى الفرزدق أسيراً آخر وقال له أن يَضربَ عنُقَه ، فدَسّ إليه رجلٌ من بني عبس أخوال سليمان سيفاً كليلاً فضرب به الأسير عدة ضربات فلم يَصنَع شيئاً . فضَحِكَ سليمانُ وضحكَ الناسُ معه ، وغضِبَ الفرزدقُ ، وقال بعد ذلك قصيدةً أشار فيها إلى هذا الحادث أولها :

تَحِنُّ بزوْراءِ المدينــةِ ناقتي حنينَ عجُولٍ تبْتغي البَوَّ رائمِ

وقال :

فلا نَقتُلُ الأسرى ولكن نَفُكُّهم إذا أُثقَل الأعناقَ حَمْلُ المَغارمِ

فهل ضَربةُ الروميِّ جاعلةٌ لكم أباً عن كُلَيْبٍ او أباً مثلَ دارِمِ

كذاك سُيُوفُ الهند تَنبو ظُباتُها ويَقطَعْنَ أحياناً مَناطَ التمائمِ

فأجابه جرير بقصيدة أولها :

ألاَ حيِّ رَبْعَ المَنْزِلِ المُتَقادِمِ وما حلَّ مُذ حلّتْ به أمُّ سالِمِ

ويقول فيها مُعَيِّراً الفرزدق :

بسَيْفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مُجــاشِعٍ

ضَرَبْتَ ولم تَضْرب بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضَرَبْتَ به عند الإمـامِ فأُرْعِشَت

يداكَ وقـالوا مُحْدَثٌ غــيرُ صارمِ

وقال جرير أيضاً في مناسبة أخرى :

أخزَيتَ قومَكَ في مَقامٍ قُمتَه ووَجدْتَ سيفَ مُجاشِعٍ لا يَقطَعُ

وأبو رَغْوان كُنية مُجاشع بن دارم جدّ الفرزدق ، وكُنّي بذلك لأنه كان خطيباً ، يَرْغو إذا خطب كما يرغو البعير . وابنُ ظالم هو الحارث بن ظالم المري كان من فتّاك العرب الذين إذا ضربوا بالسيف لم يخطئوا ولم ينبُ السيفُ بأيديهم . ويقول الفرزدق في الحارث بن ظالم ، وكُنيته أبو ليلى ، من حكاية مع سليمان بن عبد الملك عن حادثة جرت مع الحارث :

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه ... على كلّ حالٍ جارَ آلِ المهلّبِ

كما كان أوفى إذ ينادي ابنُ دَيْهَثٍ ... وصِرْمَتُه كالمَغْنَم المُتَنَهَّبِ

فقام أبو ليلى إليه ابنُ ظالمٍ ... وكان متى ما يَسْلُلِ السيفَ يَضْرِبِ

فالحارث بن ظالم كان مشهوراً بسيفه شهرة عمرو بن معد يكرب بسيفه ، ويقول عنه نَهْشَلُ بنُ حَرّي :

أخٌ ماجدٌ ما خانني يومَ مَشْهَدٍ ... كما سيفُ عمروٍ لم تَخُنْهُ مضاربُهْ

وقال الفرزدق أيضاً في حادثة الأسير الرومي مع سليمان بن عبد الملك وجرير :

أيعجبُ الناسُ أن أضحكتُ سيّدَهم ... خليفةَ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ

لم يَنْبُ سيفي عن رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... عن الأسيرِ ولكنْ أخّرَ القدَرُ

ويقول أيضاً :

فإنْ يكُ سيفٌ خان أو قدَرٌ أتى ... بتعجيل نفسٍ حتفُها غيرُ شاهِد

فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضَرَبوا به ... نبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالِدِ

كذاكَ سيوفُ الهند تنبو ظُباتُها ... وتقطع أحياناً مناط القلائــدِ

ولو شئتُ قطّ السيفُ ما بين أنفِه ... إلى عَلَقٍ دون التراسيفِ جاسِدِ

والفرزدق يُعيّر بني عَبْس بنبوّ سيف ورقاءَ بنِ زهير عن رأس جعفرِ ابنِ خالد . وهذه الضربةُ العَبْسيةُ المُخْفِقة أصبحت مَضْرَبَ المثل . من ذلك أنّ هارونَ الرشيد جلس يوماً في مجلِسِه فأتِيَ بأسيرٍ من الروم ، فقال الرشيد لدُفَافةَ العبسي أن يَضْرِبَ عنقه ، فضربه فنبا سيفُه ، فقال لِفُلَيْح المدَني : قُمْ فاضْرِب عُنُقَه ، فضَربه فنبا سيفُه أيضاً ، فقـال : أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين تقدّمَتْني ضربةٌ عَبْسيّة . فقال الرشيد لابنه عبد الله المأمون ، وهو يومئذٍ غــلام : قُم فدَاكَ أبوكَ فاضرِب عُنقَه . فقام فضرب عُنُقَ العِلج فأبان رأسه . ثم دعَا بأسيرٍ آخر فأمره بضرب عنقه فضربـه فأبان رأسه . ونظر المأمون إلى أبي مُحَمّدٍ اليزيدي الشاعر نظرَ المستنطق فقـال أبو محمد :

أبْقَى دُفَافَةُ عاراً بعد ضربته ... عند الإمام لعبسٍ آخِرَ الأَبد

كذاكَ أُسرَتُه تنبو سيوفُهُم ... كَسيفِ ورقاءَ لم يَقْطَعْ ولم يَكدِ

ما بالُ سيفِكَ قد خانَتْكَ ضَرْبَتُه ... وقد ضَرَبتَ بسيفٍ غيرِ ذي أوَدِ

هلاّ كضربةِ عبدِ الله إذ وقَعت ... ففرّقت بين رأسِ العلج والجسَدِ

ورأيتُ في كتاب أدب الدنيا والدين حكايةً أخرى مماثلة، وهي أن المهديّ أتى بأسرى من الروم فأمر بقتلهم ، وكان عندهم شَبيبُ بنُ شَيْبَة. فقال له : إضرب عنقَ هذا العلج . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد علمتَ ما ابتُلِي بـه

الفرزدق فعُيِّر به إلى اليوم. فقال المهدي: إنما أردتُ تشريفَك، وقد أعفيتُك، وكان أبو الهَوْل الشاعرُ حاضراً فقال:

جَزِعتَ من الروميِّ وهو مُقيَّدٌ فكيف ولو لاقيتَه وهو مُطلَقُ

دعَاكَ أميرُ المؤمنين لقتله فكان شبيبٌ عند ذلك يَفرَقُ

فَنَحِّ شبيباً عن قِراع كتيبةٍ وأدْنِ شبيباً مِن كلامٍ يُلَفَّقُ

● **السؤال :** من القائل وما الأبيات الأخرى :

وأُحِبُّها وتُحِبُّني ويُحِبُّ ناقتَها بعيري

سليمان الحمد المالك

المعهد العلمي – الرس – المملكة العربية السعودية



المُنَخَّل اليشكري

● **الجواب :** هذا البيتُ لشاعرٍ جاهلي اسمُه المُنَخَّل اليشكري ، وكان النعمانُ بن المنذر قد اتَّهمه بامرأته التي سُمِّيت بالمتجردة ، وقيل إنه وَجدَه معها ، وقيل إنه اتُّهم بها فقط ، فقتله النعمان ، وقيل حبسه ولم يُعلَمْ ما جرى له ، وقيل دَفنه حياً أو غَرّقه ، ولم يُعرف مصيرُه ، فضَربَت به العربُ المثَل فقالوا : حتى يؤوبَ المُنَخَّل . وقال ذو الرُّمَّة :

تُقارِبُ حتى تُطْمِعَ الطامِعَ الصِّبا وليست بأدنى مِن إياب المُنَخَّلِ

وكانت امرأةُ النعمان مَغمُوزَةً في عِرضها . وَلَدت غُلامَين وهي عند النعمان كانا أشبَه الناس بالمنخَّل ، ومن هنا كانت التهمةُ لها ، لأنَّ المنخَّلَ كان

جميلاً وسيماً وكان النعمانُ أحمرَ أبرشَ قصيراً دميماً. وكان من عادةِ النعمانِ أن ينادم المنخّلَ ، فلا يفارقه المُنَخّلُ ، إلاّ إذا خرج إلى الصيد ، فيخلو المُنَخّلُ بالمتجردة ويَظَلّ عندها طول يومه ، حتى إذا عَلِمت المتجردةُ بقدومِ النعمان أخرجته من بابٍ سري . فركب النعمانُ ذاتَ يوم ، فأتاها المنخّل كعادته ، وغفلت هي في مداعباتها ولعبها عن مجيء النعمان ، فلمّا جاء ورآها مع المنخّل على تلك الحالة ، أخذ المُنَخّلَ ودفعه إلى صاحبِ سجنه ، فسَجَنه هذا وعذّبه حتى مات . والمتجردةُ هذه اسمُها ماوِيّة ، وقيل هند وكانت أجملَ نساءِ زمانها : وكانت في الأصل زوجةَ المنذر بن المنذر ، فلمّا مات تزوجها ابنُه النعمان على عادةِ زواجِ المقت عند العرب قبل الإسلام. وكان النابغة الذبياني يجالس النعمانَ وينادِمُه بوجود المتجردة . فقال النعمان للنابغةِ أن يَصِفَ المتجردةَ ، فوصفها بقصيدةٍ مطلعها :

أمِن آلِ مَيّةَ رائحٌ أو مُغْتَدي عَجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّد

ووَصَفَها وأفحشَ حتى وَصَفَ أماكنَ العِفّة منها . فغار المُنَخّلُ من النابغة وقال للنعمان : أبيتَ اللعنَ ، هذا وصفُ معاين . فهرب النابغةُ خوفاً على حياته ، وخلا المكان للمنخّل . وبهذه القصيدة سميت امرأةُ النعمان بالمتجردة ، وخصوصاً بقوله :

سَقَطَ النصيفُ ولم ترد إسقاطَه فتناولته واتّقتنا باليد

وبغيرِه من أبياتِ هذه القصيدة . ثم جرى حبٌ بين المنخّل والمتجردة وجرى له ما جرى من التعذيب والقتل. وقال قبل قتله يخاطبها قصيدةً غزليةً طويلة أولها :

إن كنتِ عاذلتي فَسِيري نحو العِراق ولا تَحُوري

وفيها أبياتٌ غزلية مشهورة منها :

ولقد دخلتُ على الفتـــاةِ الخدرَ في اليومِ المطيـــرِ
الكاعِبِ الحسناءِ ترْفُـــلُ في الدِمقْس وفي الحريرِ

فدَفعتُهـــا فتدافعت مَشيَ القطاةِ إلى الغديرِ
فَلَثَمْتُهـــا فتنَفَّست كتنفس الظبي البَهـيرِ
فدَنت وقالت يا مُنخَّل ما بجسمك من حَرور

ثم يقول :

يا هِنْدُ هَل من نائـــلِ يا هِنْدُ للعـــاني الأسيرِ

ويقول صاحب الأغاني إن الناس يَزيدون في هذه القصيدة :

وأُحِبُّهـــا وتُحِبُّـني ويُحِبّ ناقتَها بَعيري

● **السؤال :** نرجو إعطاءنا ترجمة الإمام فخر الدين الرازي .

عنتر جرّار
جنين – الأردن

*

فخر الدين الرازي

● **الجواب :** أبو عبد الله محمـــد بن عمر بن الحسين الرازي المولد الملقب فخر الدين والمعروف بابن الخطيب

اشتهر في علم الكلام والمعقولات ، وله تفسير القرآن، وشرح سَقْط الزّند ، وشرح الكليات للقانون في الطب ، وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي ، وكان له مجلسٌ في مدينة هراة يحضره العلماء ؛ وذهب إلى خُوَارَزْم ، ثم عاد إلى مدينة الري وإليها ينسب،وذهب إلى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه، وله شعر منه :

نهايةُ إقدام العقول عِقـــالُ   وأكثرُ سعي العـالمين ضلالُ

وأرواحنا في وَحشةٍ من جسومنا — وحاصِلُ دنيانا أذىً ووبالُ

ولم نَستَفِد من بحثنا طولَ عمرنا — سوى أنْ جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ — فبادوا جميعاً مُسْرِعين وزالوا

وكم من جبالٍ قد عَلَت شرفاتِها — رجالٌ فزالوا والجبالُ جبال

وكان يوماً يُلقِي درسه في مدرسته في خوارزم وكان يحضر درسه هذا شرف الدين بن عُنَين، وكان اليوم شاتياً والثلج متساقطاً والبرد شديداً، فسقطت بالقرب منه حمامة خوفاً من بعض الجوارح، فلما سقطت رجع عنها الطائر الجارح، ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فحنّ الرازي على الحمامة وأخذها بيده، فأنشد ابنُ عُنَين في الحال :

يا ابنَ الكرام المطعمين إذا اشتَوَوْا — في كل مَسْغَبةٍ وثلج خاشِفِ

العاصمين إذا النفوسُ تطايرت — بين الصوارم والوشيج الراعِف

مَن نَبَّا الورقاء أن محَلَّكُم — حَرَمٌ وأنكَ ملجأٌ للخائف

وَفَدت عليك وقد تدانى حتفُها — فحبوتَها ببقائها المستأنَف

لو أنها تُحْبَى بمالٍ لانثنت — من راحتيكَ بنائل مُتضاعِفِ

جاءت سليمانَ الزمانِ بشَكْوِها — والموتُ يلمع من جناحي خاطف

قَرِمٍ لواه القوت حتى ظِلُّه — بإزائه يجري بقلبٍ واجفِ

وقال ابنُ عُنَين فيه :

ماتت به بِدَعٌ تمادى عُمرُهــا دهراً وكان ظلامُهــا لا ينجلي

فَعَلا به الإسلامُ أرفعَ هَضبةٍ ورسا سواه في الحضيضِ الأسفل

غَلِط امرؤٌ بأبي عليٍّ قــاسَه هيهاتَ ، قَصَّر عن مداه أبو علي

لو أنَّ رِسطاليس يسمع لفظةً من لفظِه لعرتــه هِزَّةٌ أفكَلِ

وَلَحَار بطليموسُ لو لاقاه مِن برهانــه في كل شَكْلٍ مُشكِلِ

ولو انهم جُمِعوا لديـه لأيقنوا أن الفضيــلةَ لم تكن للأوّل

وكانت ولادة فخر الدين الرازي في الري في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤٣ هجرية أو ٥٤٤ وتوفي يوم الاثنين في عيد الفطر سنة ٦٠٦ في مدينة هراة ، فكانت مدة حياته ٦٣ عاماً ونعطي الآن ترجمة وافية للرازي .

فخر الدين الرازي

الإمام فخر الدين الرازي، هو محمدُ بنُ عمرَ بنِ الحسين بن الحسن، فخر الدين أبو عبد الله القرشي التَّيْمِي البكري، الطبرستاني الأصل ، الراري المولد . ولد في الرّي سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وكان والده الإمام ضياء الدين الرازي، أحد أئمة الإسلام ، مقدماً في علم الكلام .

وكان الرازي فقيراً في بدء أمره إلى حد أنه عندما مرض في بخارى ، اضطر مواطنوه الساكنون بها إلى جمع المال لإعانته ، ولكن أبواب الرزق تفتحت له فيما بعد ، وفي ذلك يقول الصفدي بعد أن ذكر عودة الرازي إلى الرّي : وكان بها طبيب حاذق له ثروة وله بنتان زوّجها بابني فخر الدين، ومــات الطبيب

واستولى على جميع نعمته ، ومن ثم كانت له النعمة » .

وقد كان للرازي ذكاء ثاقب وذاكرة قوية ، ويصفه الصفدي بقوله: « اجتمع له خمسة أشياء مـــا جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله . وهي سعة العبارة في القدرة على الكلام ، وصحة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد ، والحافظـة المستوعبة ، والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين ، وكانت فيه قوة جدلية ونظره دقيق . وذاعت شهرته في الآفاق ، فكان يؤمه من شق جهات آسيا الوسطى قوم يقصدونه لاستشارته فيمسائل متنوعة استعصى عليهم حلها . فـكانوا يجدون عنده الجواب الشافي » .

ويظهر من سيرة الرازي ، وما دوّنه العلمـــاء عن حياته ، أنه كان شديد الحرص على العلوم الشرعية ، ومع هذا كان ينزع إلى صوفية عميقة كانت تظهر في خطبه المنبرية ، وهو يحث الناس على التمسك بأهداب الدين . كان الرازي ، عبل البدن ، كبير اللحية وكان في صوته فخامة ، وفي كلامه قوة تأثير عجيبة ، فكثيراً ما يعتريه الوجد في خطبه ، ويؤثر في سامعيه حتى يجعلهم يذرفون الدموع معه . وقد استطاع أن يُرجع إلى السنة كثيراً من أهل الزّيغ ، وخصوصاً من الكرّامية . وكان في آخر حياته يذكر الموت وأهواله ، فيسأل الله الرحمـة ويقول : « إنني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية ومـا بقيت أوثر إلا لقاء الله تعـــالى . والنظر إلى وجهه الكريم ». وفي الوصية التي أملاها على تلميذه ابراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني يقول: لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائـدة التي وجدتها في القرآن العظيم . وقد كان الرازي متحمساً تحمساً كبيراً للدفاع عن السنة ، فحارب المعتزلة والكرامية ، والحنابلة . وكان النزاع لا يخلو أحيانـاً من العنف ، فيلجأ خصومه إلى طرق أقل ما يقال فيها إنها بعيدة عن اللائق . وقد ذكر الصفدي في الوافي ، قوله : إن الإمام فخر الدين الرازي – رحمه الله – كان يعظ الناس على عادة مشايخ العجم . وإن الحنابلة كانوا يكتبون له قصصاً تتضمن شتمه ولعنه

وغير ذلك من القبيح ».

وفي سنة ٦٠٦، ألم به مرض، اشتدت وطأته عليه، حتى استيقن أنه سيفارق الحياة، فأملى وصيته على تلميذه ومصاحبه ابراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني. وهذه الوصية تدل، كما يقول الصفدي، على حسن عقيدته وظنه بكرم الله تعالى وقصده بتصانيفه ». وهي صورة رائعة لما كان عليه فخر الدين الرازي من عواطف دينية عميقة وتواضع علمي ثابت، وهي تكشف عن المقاصد التي كان يستهدفها في مؤلفاته العديدة.

لقد كان لفخر الدين الرازي نشاط علمي كبير، ويكاد أن يكون قد ألف في شتى العلوم المعروفة في زمانه، غير أن أكثر تآليفه تدور حول علم الكلام والفلسفة والتفسير، وكثير من هذا الإنتاج لم يصلنا وبعضه لا يزال في بطون المكاتب، وجزء قليل منه قد طبع. وإننا لنجد عند عدد من المؤرخين الأقدمين قوائم لهذه الكتب، ولكنها لم ترتب بعد، ولذلك، فإن كثيراً من مؤلفاته لم تعرف مادتها بعد معرفة واضحة، وهي في حاجة إلى نشرها، حتى يمكن درس طريقه ومنهجه في التفكير والمناقشة، ومعرفة آرائه معرفة وثيقة، ولا يتسع المجال هنا، لأن نذكر قائمة كاملة بمؤلفات الرازي، ما وصلنا منها وما لم يصلنا، أو نعلق على موضوعاتها، ونصنف مناهجها، ولكننا نذكر فقط أن الإمام الرازي، قد كتب تقريباً في كل العلوم التي كانت معروفة في عصره، من التاريخ والفقه وعلم الكلام، والفلسفة، وعلم النجوم، والطب، والكيمياء، وعلم الفراسة، وعلم المعادن، ومعرفة الكف وعلم النجوم.

ولعل أهم مؤلفات الرازي، هو تفسير القرآن الكريم، أو ما يطلق عليه أحياناً : مفتاح الغيب ؛ فقد جمع فيه صاحبه كل ما يمت إلى التفسير بصلة لدرجة أن ابن تيمية الذي عرف بعدائه للعلوم العقلية عامة، والرازي خاصة، قد وصفه بقوله : « فيه كل شيء إلا التفسير ». وفي الحقيقة إن هذه العبارة تدل على

تحامل شديد من ابن تيمية ، فهو بحكم انتمائه إلى مذهب الحنابلة ، لم ترضه هذه الطريقة التي اتبعها الفخر الرازي في تفسير القرآن . ونعني بها المذهب العقلي ، الذي يستند على العلوم العقلية ، ويستغل أدلتها في تفسير القرآن . وفي هذا التفسير قدر كبير جداً من المنطق والإلهيات وعلم الكلام والفقه والتصوف والعلوم الطبيعية . وتبدو مقدرة الرازي في هذا التفسير ، تلك القدرة التي تتميز بالسعة والإحاطة ولمّ أطراف الموضوع وتقديمه في شكل أكثر نظاماً ووضوحاً. ويبدو هذا المنهج واضحاً، في اهتمامه — عند بحث مسألة ما — باستعراض الوجوه المختلفة بحججها ، ثم يختار الموقف الذي يبدو له أنه الحق ويدافع عنه . وكثيراً ما يغتنم فرصة ورود آية أو كلمة ، ليخوض في بحث علمي منظم يقدّم فيه لُب الموضوع بإيجاز ودقة . ولعل أوضح الأدلة على هذا المنهج ، أن سورة الفاتحة وحدها ، قد استغرق تفسيرها جزءاً كاملاً من كتابه .

ويعد كتاب الرازي : (المباحث المشرقية) من أهم المراجع الفلسفية في شرح العقائد ، وقد استقى الرازي كثيراً من مادة كتابه ، من كتاب الشفاء لابن سينا ، والمعتبر لأبي البركات البغدادي ،واحتفظ بما يناسب موقفه الكلاميْ الشخصي .

وقد أوضح بدقة في مستهل الكتاب ترتيب المسائل وطريقة علاجها ، فهو يقول إنه يختار لباب ما وجده في كتب المتقدمين والأولين مجتنباً فيه التطويل والإطناب أو الإيجاز المؤدي إلى الإلغاز ، ويكون الترتيب على أن تفصل المطالب بعضها عن بعض ثم نردفها إما بالأحكام وإما بالنقض ثم نذيلها بالشكوك المشكلة والاعتراضات المعضلة ثم نتبعها إن قدرنا بالحل الشافي والجواب الوافي ».

ولعل أهم ما نريد أن نختم به هذه الكلمة الموجزة عن الرازي وحياته ، أن نذكر أن الناظر في تآليفه، يدهش لطريقته المنهجية الفذة في البحث والدراسة. فكتبه ، وإن كانت تحتوي على تراث متنوع ، ومادة علمية متباينة ، إلا أنه لم

يحشد هذا في كتبه حشداً على غير منهج أو نظام علمي، وعلى نحو ما نجد في كتب غيره من السابقين أو المعاصرين له ، وإنما أحكم ذلك كله بمنهج علمي ، يقسم به مادته تقسيماً منطقياً ، ينتقل فيه بالقارىء من مسألة إلى مسألة ، ومن موضوع إلى موضوع . وكما قلت ، إن هذه الكلمة عن الإمام الرازي، كلمة قصيرة ، وإن المقام لا يتسع لدراسة مفصلة عن حياة هذا العالم الكبير .



● **السؤال** : يُقال إن المعري شديد التشاؤم والتطير ، فهل يمكن ذكر الأسباب الداعية إلى ذلك ، مع الأشعار .

الأميرة نجوى صوفي
اللاذقية - سوريا

★

أبو العلاء المعري

● **الجواب** : أبو العلاء المعري، أعظم شاعر أنجبه القرن الرابع الهجري، ويكاد يتفق نقاد الأدب على أنه أعظم شاعر ظهر في العربية حتى الآن . وقد خرج أبو العلاء من بيت علم وشعر وقضاء ، فآباؤه كانوا يتولون قضاء المعرّة ، وقد تحدث عنهم ياقوت في ترجمته حديثاً مستفيضاً، وذكر لهم قطعاً من أشعارهم. وقد كان لهذا الميراث العلمي أثره في تربية المعري ، إذ جعله يميـــل إلى البحث والدرس ، كما أن فقد بصره حدد موقفه وجعله يطالب العلم ويُشغف به . وقد بدأ أبو العلاء بهذا الدرس والتحصيل في المعرة ، إذ تتلمذ على أبيه ومن في بلدته من تلامذة ابن خالويه . وفي ديوان أبي العلاء بيتان يلخصان حياتـــه وأفكاره تلخيصاً دقيقاً ، ينبغي أن يتفهمها القارىء ، ليرى إلى أي حد كان لآفـــات

الحياة والمجتمع في عصر شاعر المعرة ، أثرٌ على حياته وأفكاره،وآرائه في الناس والدين . يقول أبو العلاء :

أراني في الثلاثـــة من سجوني ‏ ‏ ‏ فـــلا تسأل عن الخبر البنيثِ
لفقـــدي ناظري ولزوم بيتي ‏ ‏ ‏ وكونِ النفس فيالجسم الخبيثِ

كان أبو العلاء المعري رجلاً مستطيعاً بغيره ، يعيش في عصر ، أقل مـــا يوصف به أنه يمثل فوضى في أخلاق الناس وتقاليدهم ، كما يمثل في الوقت نفسه رقياً عقلياً ، نتيجة لانتشار الثقافة المختلفة وترجمة الكتب الفلسفية ، وقد كان لذلك كله أثر على حياة أبي العلاء وتفكيره .

ومن يرجع إلى آثار أبي العلاء المعري،يجد مادة وفيرة ، تلقي أضواء ساطعة على معتقداته . وأول ديوان يطالعنا فيه الشاعر بآرائه هو اللزوميات ، وأول شيء يقابلنا في هذا الديوان ، هو سخط أبي العلاء على الحياة والمجتمع ، أو هو تشاؤمه ويأسه من صلاح أحوالهم ، ويمكن للباحث أن يرجع تشاؤم أبي العلاء المعري إلى سببين :

أحدهما : ما كان يملأ القرن الرابع ، وهو العصر الذي كان يعيش فيه أبو العلاء المعري ، من فتن وفوضى ، فقـــد ضعف سلطان الدولة ضعفاً شديداً ، وانقسمت الأمة الإسلامية على نفسها،وكثرت غارات الأمم المجاورة على المسلمين، وأصبح الناس في ذلك العصر لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم . كل هـذا ، إذا أضيف إليه عامل مهم ، هو أن أبا العلاء المعري ، كان ضريراً،وهو لا يستطيع بذلك ، أن يساهم فيما يساهم فيه سائر الناس،فهو رجل مستطيع بغيره ، مضطر أن يرى الأشياء ويسمع بها من خلال غيره ، إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نفهم نفسية هذا الشاعر وما دخلها من تعقيد .

والسبب الثاني ، أن أبا العلاء ، شاعر مثقف ، فقد أتاح له القرن الرابع

ثقافة فلسفية واسعة ، وكان محباً للعلم ، فأكب على كتب الفلسفة والمنطق والديانات والتاريخ ، يقرأها ، وساعده على تنمية ثقافته ، ما وهبه الله من ذكاء شديد ، ودقة حس ، وقوة حافظة .

وقد استغل أبو العلاء ثقافته الفلسفية ، للتعبير عن آلامه ، ووصف آرائه في الناس والحياة على هذا النحو الرائع الذي يظهر في أشعاره . وينبغي أن نضيف ، أن هذا وحده لم يكن العامل الأصيل في تنمية نظرته الفلسفية المشوبة بالشك والتشاؤم ، وإنما هناك عامل آخر ، هو تأثر أبي العلاء بأبي الطيب المتنبي. كان شاعرنا شديد الإعجاب بأبي الطيب المتنبي ، لا يكاد يرى شاعراً عربياً غيره ، أولى بالتقدير والاحترام منه . فقرأ أشعاره ، وشرح ديوانه ، وسماه (معجز أحمد) ومن يرجع إلى ديوان أبي الطيب المتنبي ، يجده قد أشاع في مدائحه ، ضرباً واسعاً من التشاؤم يعمه نقد واسع للحياة الاجتماعية ، وبيان لما في الدنيا من آلام وتفكير في حقائق الموت والحياة . وليس من شك في أن الباحث عن أصل التشاؤم في شعر أبي العلاء يجده في أشعار المتنبي . ولكن إذا كان أبو العلاء قد تأثر في فلسفة تشاؤمه من الحياة والناس ، بأبي الطيب المتنبي ، فإن من الحق أن نذكر بأنه أول شاعر يوسع البحث في هذا الموضوع ، ويعبر عنه في هذا الديوان الضخم ، الذي أخرجه على الحروف الهجائية وملأه بالتشاؤم ، وما ينطوي فيه من وصف الدنيا بأنها دار آلام وعذاب. وقد ذهب يستعرض الحياة فيها من جميع نواحيها وينقدها نقداً ساخراً في جرأة وصراحة مدهشة كأن يقول في نقد الحياة السياسية :

وأرى ملوكاً لا تحوط رعيةً   فعلامَ تُؤخذُ جزيةٌ ومُكُوسُ

أو يقول :

مُلَّ المقامُ فكم أعاشرُ أمةً   أمرَتْ بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعيّةَ واستجازوا كيدَها   فَعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

فإذا ترك الحياة السياسية نظر في الحياة العامة للنـاس وما يسودها من رياء ونفاق وما يعمها من حب للمادة ، وما ينطوي فيها من شر، فإذا هو ساخط على الدنيا والناس من حوله سخطاً شديداً ، فتراه ينقلب عليهم حَنِقاً مغيظاً ، يذمهم ويذم الدنيا معهم ذماً شديداً ، كأن يقول :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامـــةٍ ولا الحيُّ في حال السلامة آمِنُ

وإن وليداً حلَّهـــا لمُعذَّبٌ جرت لسواهُ بالسُّعُود أيامِنُ

وعلى هذا النمط استمر أبو العلاء يهاجم العالم بكل ما فيه ، فقد كان يتراءى له في صورة حمقـاء منكرة ، وقد تمادى به تشاؤمه فهجا آدم وحواء والناس في قوله :

إذا مـــا ذكرنا آدَماً وفَعَالَه وتزويج ابنيه لبنتيه في الدنا

علمنا بأن الخلق من أصل زنية وأن جميع الناس من عُنصر الزنا

وأحب قبل أن نترك تشاؤم المعري ، أن انبه إلى شيئين : أحدهما أنه كان يترسم خطى أستاذه أبي الطيب المتنبي، فكلاهما حقد على الدنيا وأشاع التشاؤم في أشعاره وأقواله ، وكلاهما كان يصدر عن أسباب واحدة ، هي حرمانـه من بلوغ غاياته . حال بين المتنبي وبين آماله ، صلفه وكبرياؤه ، وحال بين المعري وبين آمـــاله ، مرضه ، وانتشار الفوضى من حوله . كما أن كليهما كان يتأثر في أشعاره ، ووصف تشاؤمــه ، بالآراء الفلسفية ، ولكن ثقافـة المتنبي لم تكن من السعة والدقة ، بحيث تمكنــه كما مكنت أبا العلاء . ومن هنا اتفق الشاعران واختلفا .

وإذا كنت أصف أبا العلاء بالتشاؤم ، فإنه تشاؤم ، لم يكن الغرض منـــه وصف يأسه أو كرهه للحياة والناس ، وصفاً مطلقاً ، يراد به التعبير عن رغبته في مفارقة الدنيا ، وإنما تشاؤم المعري فيما أعتقد ، هو تشاؤم القانط المغيظ ،

هو تشاؤم الثائر على ما في الدنيا من شرور ، فليس في تشاؤم المعري، ثورة ضد الوجود ، وإنما هو ثورة على ما في الوجود من شرور وآثام .

وإذا جاز لنا أن نصف شاعر المعرة بالتشاؤم ، فإنا لا نجد في أشعاره أثراً للتطير ، على نحو مـا نجد في أشعار ابن الرومي مثلاً . وعلى العكس من ذلك ، فإن ما حفظه ديوانـه (اللزوميات) فيه إنكار صريح للتطير، وهو كثير ، نذكر منه :

لا تَفرحنَّ بِفألٍ إن سمعتَ به ... ولا تطيَّرْ إذا مـا ناعِبٌ نَعَبا

فالخطْبُ أفظعُ مِن سرّائه تأْمُلُها ... والأمْرُ أيسَرُ مِنْ أنْ تُضمِرَ الرُّعُبَا

●

تَعرَّضُ للطَّيْرِ السوانِحِ زاجِراً ... أما لَكَ مِنْ عَقْلٍ يكَفُّكَ زاجِرُ

●

لا يتطيَّرْ بناعِبٍ أَحـدٌ ... فكُلُّ ما شاهَدَ الفتى طِيَرَهْ

رُؤيتُك الميْتَ في الكَرى سَبَبٌ ... يقولُ مَنْ يَفْقِدِ الحيـاةَ يَرَهْ

أو يقول :

هل ترى ناعِبـاً كعنترةَ العَبْسِيِّ يبكي على منازلِ عَبْلَهْ

أو خُفافٍ يرثِي رجالَ سُلَيْمٍ ... أو سُحَيْمٍ يحدو مع الركْبِ إبْلَهْ

لا تَهَبْهُ ولا سواهُ مِنَ الطَّيْرِ فما يتَّقي أخو اللُّبِّ تبْلَهْ

وبعد، فإن الآراء حول أبي العلاء وفلسفته، وتشاؤمه وتطيره كثيرة مختلفة، وإن شاعراً عظيماً مثله لجدير أن يثير من الخلاف حول أدبه ، ومكانته ، مـا أثاره بين معاصريه ومن جاءوا بعده . وسوف يظـل هذا الشاعر العظيم صورة فريدة في تاريخ الشعر القديم .

ومن أقواله أيضاً في خيبة أمله في الناس وأخلاقهم :

وزَهّدني في النـــاس معرفتي بهم ... وعلمي بأن العـالَمين هبـــاءُ
إن مازت الناسَ أخلاقٌ يعاش بها ... فـإنهم عنـد سوء الطبـع أسواءُ
بعدي من الناس بُرءٌ من سَقَامهمُ ... وقربهـم للحجى والـدين أدواءُ

●

ـ فما أذنبَ الدهرُ الذي أنت لائمٌ ... ولكن بنو حَوّاء جاروا وأذنبوا
ـ لم يَقْـدُر الله تهذيباً لعالمنا ... فلا ترومَنَّ للأقوامِ تهذيبـــا
ـ تروم تهذيبَ هذا الخلق من دَنَسٍ ... واللهُ مـــا شاء للأقوام تهذيبا
ـ بني آدمٍ بئس المَعاشِرُ أنتم ... وما فيكم وافٍ لمقتٍ ولا حُبّ
ـ عصاً في يد الأعمى يروم بها الهُدَى ... أبرُّ له من كل خدنٍ وصاحب
فأوْسِعْ بني حَوّاءَ هجراً فإنهم ... يَسيرون في نَهْجٍ من الغدر لاحب

● **السؤال :** أرجو تفسير هذه الأبيات ، ومن قائلها ، مع ذكر أشعار تناسبها :

وبيضٍ بالحاظِ العيون كأنّمـــا ... هَززنَ سيوفاً واستَلَلْن خناجرا

تَصدَّين لي يوماً بِمُنْعَرَجِ اللِّوى ... فغادَرْنَ قلبي بالتَّصبُّرِ غـــادرا

سَفَرْنَ بدوراً وانتقبنَ أهِـلّةً ... ومِسْنَ غصوناً والْتَفـتْنَ جآذرا

وأطْلَعْنَ في الأجيادِ بالدُّرِّ أنجماً ... جَعلْنَ لحبـاتِ القلوبِ ضرائرا

محمد الغالي زمامة
مكناس – المغرب

★

الزاهي

● **الجواب :** هذه الأبيات للشاعر علي بن اسحاق المعروف بالزاهي ، وكان قطّاناً ، وله شعرٌ حسَنُ التشبيه . وُلِد يوم الاثنين في العشرين من صَفَر سنة ٣١٨ هجرية ، وتوفي يوم الاربعاء في العشرين من جمـــادى الآخرة سنة ٣٥٢ ؛ وأكثر شعره في آل البيت ، ومدح سيفَ الدولة . ولأشعاره شَبَهٌ بأشعار ابن

المعتز ، فمن أشعاره ، في تشبيه البَنفسج :

ولازَوَرْدِيَّةٍ أوْفت بِزُرْقَتِها بين الرياضِ على زُرق اليواقيت
كأنها فوق قاماتٍ ضُعِفْنَ بها أوائلُ النار في أطرافِ كبريت

وله أشعار في جميع الموضوعات تقريباً ، ومن قوله :

صدودُكَ في الهوى هَتَكَ استتاري وعاوَنَـه البكاءُ على اشتهاري
ولم أَخلَع عِذاري فيــك إلاَّ لِمَا عـايَنتُ من حُسنِ العِذار
وكم أبصرتُ من حُسنٍ ولكنْ عليكَ لشقوتي وَقَـع اختياري

ومعنى هذه الأبيات المسئول عنها أنّ النساءَ البيضَ اللواتي لاقَيْنَه وتصدّيْن له في مُنعَرَجِ اللّوَى (واللّوَى مُستَرَقُ الرمــل أو منعطف الوادي) نَظرْن إليه بألحاظٍ فاتكةٍ وكأنها السيوفُ والخناجر ، فجَمَلْنَ قلبَه يَفقِد التصبر والشجاعة ؛ ثم سَفَرْنَ فكُنّ كالبدور وَضاءةً وحُسناً، ووَضعن النقابَ على وجوهِهن فبان من وَجْهِهن ما هو كالهلال لأن النقـابَ يُغطّي قسماً من الوجه على شكل قوس ؛ ثُمّ إنهنّ لمّا خطَرْنَ كُنّ كالغصون المتـأوّدة ، ولمّا نظَـرنَ بأعينهن التي هي كأعين الظِبا كُنّ كأولاد البقر الوحشية التي تُشبّه بها الحسانُ لجمال أعينها ؛ ثم ظهرت رقابهن وعليها حبات الدُرّ كالأنجم ، فـكانت هــذه الحبّاتُ تنافس حبـاتِ القلوب في العِزّةِ والمقـام .

وهــذا من قبيل التقسيم في البديع ؛ واستعمله جماعـةٌ من الشعراء ، كما قال المتنبي :

بَدَت قمراً ومالت خُوطَ بانٍ وفاحت عنـبراً ورنت غزالا

ولبعض الشعراء الذين ذكرهم الثعالبي :

فَدَيتُكَ يا أتمّ الناسِ ظَرْفاً ... وأصْلَحَهمْ لِمُتّخِذٍ حبيبا
فوجهُكَ نُزْهةُ الأبصار حُسناً ... وصوتُك مُتعةُ الأسماع طيبا
وسائلةٍ تُسائِل عنكَ قُلنا ... لها، في وصفكَ، العَجَبَ العَجيبا
رنا ظبياً وغَنّى عندليباً ... ولاح شقائقاً ومضى قضيبا

ومن هذا القبيل في التشبيه قولُ الوأواءِ الدمشقي :

وأمطرتلؤلؤاً من نَرْجِسٍ وسَقَتْ ... وَرداً وعَضّت على العُنّاب بالبرد

فجاء بخمس تشبيهات في بيتٍ واحد ، وجاء المتنبي بأربع تشبيهات .

ومن قبيل قولِ الوأواء ، قولُ أبي الفتح الحسن بن حُصَيْنة :

ولمّا وَقَفْنا للوَداعِ ودَمْعُها ... ودَمْعي يُثيران الصّبابةَ والوجدا
بكتْ لؤلؤاً رَطباً ففاضتمدامعي ... عَقِيقاً فصار الكلُّ في جيدها عِقدا

ومن التشبيهات الخمس قولُ الفقيه أبي محمد بن حزم :

خلوتُ بها والكأسُ ثالثةٌ لنا
وجُنحُ ظلامِ الليل قد مَدّ واعتلج
فتاةٌ عَدِمْتُ العيشَ إلاّ بقربها
وهل في ابتغاء العيش وَيْحَكَ من حَرَج
كأني وهي والكأسَ والخمرَ والدُّجى
ثرىً وحياً والدُرُّ والتِبْرُ والسَّبَج

ومن هذا أيضاً قول الحريري :

وأقبلَتْ يومَ جدَّ البَينُ في حُلَلٍ   سودٍ تَعَضُّ بنَانَ النادمِ الحصِرِ
فلاح ليلٌ على صُبحٍ أقلَّهُما   غُصْنٌ وضرَّسَت البِلَّوْرَ بالدُّرَرِ

وعارض هذين البيتين ابنُ ليالٍ فقال :

وَدَّعْتُها ومَدامعي   تَنهلُّ بالدمعِ الطليقِ
فبكتْ فأذْرتْ أدمعاً   في صفحةِ الخدِّ الأنيقِ
ومَضَت تَعَضُّ بناَنها   بين التلهف والشهيقِ
فرأيتُ دُرّاً ساقطاً   من نَرْجِسَيْنِ على شقيقِ
ورأيتُ مُبْيَضَّ اللُّجَيْنِ   يَعَضُّ مُحْمَرَّ العَقيقِ

وفي هذا الباب أقوالٌ كثيرة .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

سمعتُ صوتاً هاتفـــاً في السَّحَرْ　　نادى من الحـــانِ غُفَاةَ البشرْ
هبُّوا امْـلأوا كاسَ الطِّلا قبلأنْ　　تُفْعِمَ كاسَ العمرِ كفُّ القدرْ

عدنان الصادق
انسبروك – النمسا

★

عمر الخيام

● **الجواب :** هذان البيتان من رباعيات عمر الخيام من ترجمة أحمد رامي . والكلام على الخمر في رباعيات الخيام كثير . من ذلك مثلاً بهذا المعنى أو قريبٍ منه قولـُه من ترجمة أحمد رامي :

أفِق خفيفَ الظل هذا السَّحَـرْ　　وهاتِهـا صِرفاً وناغِ الوتَرْ
فما أطال النومُ عُمراً ولا　　قَصَّر في الأعمارِ طولُ السَّهَرْ

وقد تُرْجَم الرباعيات أشخاصٌ مختلفون . فقد ترجمهـا إلى الانكليزية

فتزجرالد Fitzgerlad وترجم جزءاً منها إلى الانكليزية أيضاً أمين الريحاني .

وترجمها إلى العربية أحمد الصافي النجفي من الفارسية رأساً، ووديع البستاني وأحمد رامي ومحمد السباعي .

ونذكر على سبيل المثال الترجماتِ المختلفةَ للرباعية التي سأل عنها السائل الكريم . فالسباعي يقول في ترجمته :

صاحَ في النوم خيالٌ : هاتِها نَملأ الأكوابَ من ياقوتِها

قبلما تَنْضُبُ في كاساتِها خَمْرةُ الرُّوحِ وتَرْتَدُّ إلى

مَنْبَعٍ في الغيبِ مجهولِ البِقاع

وقال البستاني في ترجمته :

بِتُّ في حانتي سميرَ المُدامِ وقُبَيْلَ انهزامِ جُندِ الظلامِ

هَتَفَ الطيفُ بالنَّدامَى النيامِ

أيها النائمون هُبّوا قِياما وارْشِفوها ووَدِّعوا الأيّاما

قبل أن تَجْرَعوا كؤوسَ المنايا وتَعافُوا ، والخمرُ عَزَّت شرابا

ونظم (ابن وكيع) معنى هذه الرباعية فقال :

غَرَّد الطيرُ فَنَبِّه مَن نَعَس وأدِر كأسك فالوقتُ خُلَس

سُلَّ سيفُ الفجر من غِمد الدُّجى وتَعَرَّى الصبحُ من ثَوْب الغَلَس

ونظم أحمد الصافي النجفي معنى هذه الرباعية فقال :

جـــاء من حانِنا النداءُ سُحَيْراً   يا خليعاً قد هـــام بالحاناتِ
قُم لكي نملأَ الكؤوسَ مُداماً   قبل أنْ تمتلي كؤوسُ الحيـاةِ

وكتب أحمدُ الصافي النجفي في مقدمةِ ترجمته لرباعيات عمر الخيام يقول : إنّ الخيّامَ أخذ كثيراً من معانيه من المَعَري في لزومياته وسَقْط الزَّنْد ومن شعراءَ آخرين . وذَكَر على سبيلِ المثال قولَ المعري :

تَمَنَّيْتُ أنّ الخمرَ حلَّت لنشوةٍ   تُجَهِّلُني كيف استقرت بي الحالُ

وقولـه أيضاً :

أيأْتي نَبِي يجعـل الخمرَ حِـلَّةً   فتَحْمِلَ شيئاً من همومي وأحزاني

أخذ هذا المعنى الخيام وقال ما تعريبه :

رَبِّيَ افْتحْ لي بابَ رزقٍ وأَرْسِلْ   ليَ قُوتي من دونِ مَنٍّ الأنـــامِ
وأَدِمْ نَشوةَ الطِّـــلا ليَ حتى   تُذْهِلَنِّي ما عِشْتُ عن آلامي

ويقول المعري :

أرواحُنا مَعَنـــا وليس لَنَا بها   عِلمٌ فكيفِ إذا حوَتهـــا الأَقبرُ

أخذه الخيام فقال :

سرُّ الحياةِ لو أنّه يبدو لنـا   لَبَدا لنـــا سِرُّ الممات المُبْهَمُ
لم تَعْلَمَنَّ وأنت حيٌّ سِرَّها   فغداً إذا ما مِتَّ مـاذا تَعْلَمُ

وقال أبو الحسن الباخَرْزِي :

يا صاحبَ العُودَيْن لا تُهمِلْهُما   حَرِّكْ لنا عوداً وحَرِّق عودا

أخذه الخيام فقال :

وهَلُمَّ بالعودَيْن واكْتَمِلِ الهَنا   وَقِّـعْ على عودٍ وأَحرِقِ عودا

هذا ما قاله النجفي في مقدمة ترجمته . ولعلَّ هذا كُلُّه من قبيـل توارد الخواطر . والباخرزي عاش قبل عمر الخيام بقليل .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

نسج الريـــح من الموج زرد أيُّ درعٍ لقتـالٍ لو جمـــد

عبد الجبار السامرائي
سامرا — العراق

★

الرميكية

● **الجواب :** هـــذا البيت له قائلان : الشطرُ الأول قاله ابنُ عمّار وزيرُ المعتمد بن عبّاد صاحب اشبيلية ، والشطرُ الثـاني قالته الرميكيّة أو اعتماد .

ولهذا البيت حكايةٌ طريفة تُروَى في كتب الأدب وفي كتب التاريخ ، وتُروَى أيضاً في الكتب الأجنبية عند الكلام عن المعتمد أو عن تاريخِ التمدن العربي في الأندلس .

يقال إنّ المعتمدَ ووزيرَه ابنَ عمّار ، خرجا يوماً للنزهة على ضِفافِ نهر

الوادي الكبير ، وهو النهرُ الذي تقع عليه مدينة اشبيلية أو مدينةُ حِمص ، كما كان العرب يسمونها ، فنظرا إلى ميـــاه النهر وهي تترقرق بأمواجها ، كأنها زَرَدُ الدِرع . فقال المعتمد لابن عمار أنْ يَقولَ شِعْراً في ذلك ، فقـــال :

نسج الريـحُ من الموج زرد

ثم وقف ولم يهتدِ للشطر الثاني ، فما لَبِثا أن سَمِعا صوتاً يُجيز ويقول :

(أيُّ درعٍ لقتالٍ لو جمـد)

أو ، في رواية أخرى :

يا لَه دِرعاً مَنيعاً لو جَمَــــد

فأعجِبا بهذه الإجازةِ ، ونظرا ، فإذا القائلُ فتاةٌ في غايةٍ من الجمال، بين عددٍ من الفتيات والنساء .

فسأل المعتمدُ عنها ، وعَرَف أنها جاريةٌ لرجل اسمه رُمَيْك ابن الحجاج. ولذلك سميت الرُمَيكية. ويقال انـــه اشتراها أو حرَّرها منه وتزوجها باسم (اعتماد) ، للمناسبة بين اسمها (اعتماد) واسمه (المعتمد) .

ويقال أيضاً إنها من بلدٍ في الشمال ، يُغَطّي جبالَه الثلج في الشتاء. فأراد المعتمدُ أن يُهيِّىءَ لها منظراً شبيهاً بمنظر الثلج ، فزرع حولَ قصرها في مكانٍ مرتفع أشجاراً من اللوز كانت إذا نَوَّرت في الربيع تكسو ذلك المكانَ بالزّهر الأبيض الشبيهِ بالثلج في بياضه .

ورأت الرميكيةُ يوماً نساءً من الفلاّحات يَخُضن في الوحل حافياتِ الأقدام ، فاشتهت أن تفعَل مِثْلَهُنَّ . فأعدَّ لها في القصرِ مكاناً خاصاً ،

فرَشَ أرَضه بما يُشبه الوحلَ من خليطِ المسك والعنبر والكافور ، فصارت تخوض فيه حافيةً

وجرى بينه وبينها ذاتَ يوم منافرة ، فعيَّرته بأنه لم يَفعَلْ لها شيئاً يَسُرّها . فذَكَّرها بالمسك والعنبر والكافور فرضيت عنه .

ولمّا أُسِر المعتمد وأُخِذ إلى أغمات ، ذهبت معه وبقيت في الأسر حتى الممات .



● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة :

وإذا تُصِبْكَ من الحوادث نكبةٌ فاصْبِرْ فكلُّ مُصيبةٍ تتكشّفُ

مسعود ممدوح
جت – المثلث – قضاء حيفا

★

أعشى هَمْدان

● **الجواب** : هذا البيت للشاعر أعشى هَمْدان ، واسمه عبدُ الرّحمن بن عبد الله ، وهو زوج أختِ الشّعْبي الفقيه . والشعبيُّ زوجُ أخته ؛ وكان قد خَرَجَ على الحجاج ، وبعد محاربته مِراراً ظَفِرَ بـه الحجّاجُ ، وأُتي به إليه أسيراً ، فقال له الحجاج : الحمدُ لله الذي أمكنني منك ، ألستَ القائل :

وأصابني قومٌ وكنتُ أَصبْتُهمْ فاليومَ أصبر للزمانِ وأعرِفُ
وإذا تُصِبْكَ من الحوادث نكبةٌ فاصْبِرْ فكُلُّ غيابةٍ تَتكشّفُ

أَمَا والله لتكونَنّ نكبةٌ لا تنكشف غَيَابتُها عنك أبداً . يا حَرَمِيّ ، إضْرِبْ عُنقَه ، فضربت عُنقُه .

والبيتُ واردٌ في قصيدةٍ قالها أعشى هَمْدان يَذْكُر ما لَحِقَه من أسرِ الدَّيْلَم ، ومنها :

أصبحتُ رَهناً للعُداةِ مُكَبَّلاً ... أمسي وأُصبح في الأَداهِم أرسُفُ
ولقد أراني قبل ذلك ناعِماً ... جَذْلانَ آبى أن أُضامَ وآنَفُ
واستنكرتْ ساقي الوِثاقَ وساعِدي ... وأنا امرؤٌ بادي الأَشاجعِ أعْجَفُ
وأَصابني قومٌ وكنتُ أُصيبُهُم ... فالآنَ أَصبِر للزمانِ وأعرِفُ
وإذا تُصِبْكَ من الحوادث نكبةٌ ... فاصبِرْ لها فلعَلَّها تتكشَّفُ

وكان أعشى هَمْدان قد أُسِر في بلاد الدَّيْلم ، واتصل في أثناء الأسر بابنةٍ لعظيم الديلم ، وفي ليلة من الليالي غدت عليه فحلّت قيودَه وأخذت به طريقاً تعرفها وهربت معه .

ويُعجِبني في هذه المناسبة قول مؤيّد الدين الطغرائي في الصبر في هذا المعنى:

فصبراً أمِينَ الملك إن عنّ حادِث ... فعاقبة الصبر الجميل جميلُ
ولا تيأَسَنْ مِن صنع ربك إنني ... ضمين بأن اللهَ سوفَ يُديلُ
ألم تَرَ أن الليلَ بعد ظلامه ... علينا لِإسفار الصباح دَليلُ
وأنّ الهلالَ النِضْوَ يُقْمِر بعدما ... بدا وهو شَخت الجانبين ضئيلُ
ولا تَحْسَبَنَّ السيفَ يَقْصُر كلَّما ... تُعاوِده بعد المضاء كُلولُ
ولا تحسبنّ الدوحَ يُقلَع كُلَّما ... يمرّ به نفح الصَّبا فيميلُ
فقد يَعطِف الدهرُ الأَبيُّ عِنانَه ... فيُشفى غليلٌ أو يُبَل غَليلُ
ويرتاش مقصوصُ الجناحين بعدما ... تساقط ريش واستطار نَسيلُ

وَيستأنِف الغصنُ السَّليب نَضارةً   فيورق ، مـا لم يَعتَـوِره ذبولُ
وللنَّجـْم ِ مِن بعد الرجوع استقامة   وللحظّ مِن بعد الذهـاب قُفُولُ

ويقول أبو تمام :

وما مِن شدة إلاّ سيأتي   لها من بعـــد شدتها رَخاءُ

ويقول قيس بن الخطيم أو الربيع بن أبي الحُقَيق :

وكُلُّ شديدةٍ نزلت بقومٍ   سيأتي بعد شدتها رخـــاءُ
فإن الضغطَ يحويه وِعـاء   ويتركه إذا فرغ الوِعـاءُ
ومـا مُلِيء الإناءُ وشُـدّ إلاّ   لِيَخْرُج ما بـــه امتلأ الإناءُ

ويقول عليّ بن مُقلة من أبيات :

فكُلّ الحادثات وإن تناهت   فموصولٌ بهـا فَرَج قريبُ

وفي كتاب « الفرج بعد الشدة » للتنوخي أشعار كثيرة من هذا القبيل.



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وحُمّلتَ الأمانـــةَ لم تَخُنْها كذلك كان نوحٌ لا يخـــون

صلاح الدين سلمان
جبلة — سوريا

★

النابغة الذبياني

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر الجاهلي النابغة الذُبياني، يخاطب فيه رجلاً اسمه ابنُ مُحرّق ، ويقول قبل هذا البيت :

أتيتُكَ عارياً خَلَقاً ثيـــابي على خوفٍ تُظَنَّ بي الظنونُ

فألفيتُ الأمانـةَ لم تَخُنْها كذلك كان نوحٌ لا يخون

وفي هذين البيتين حكاية مع الأخطل وعبدِ الملك بن مروان ، حينما قـــال الشّعبيُّ إن النابغةَ أشعر من الأخطل. فقال الأخطل : صَدَقَ يا أميرَ المؤمنين، النابغةُ أشعرُ مني . فسأل عبدُ الملك الشعبي : ما تقول في النابغة ؟ فقال : قد فضّله عمرُ بن الخطاب على الشعراء غيرَ مرة ، فقد خرَج وكان ببابه وَفـــدُ

َغطَفان ، فقال لهم : أيُّ شعرائكم الذي يقول :

أتيتـُكَ عاريا َخلـَقاً ثيابي .. إلى آخر البيتين . وللحكاية تتمــة لا حاجةَ بنا إليها .

و « عاريا » مِن عرا يعرو َعرْواً، ويقال : فلان تعروه الأضياف أي تأتيه وتقصده . وهو خلاف َعرِي يَعْرَى ُعريا أي تجرّد مِن ثيابه فأصبح عاريــاً أو ُعرياناً . ومن هذا قولهم في المثــل : أنا النذير العُريان ، وهو في الأصل من حكاية عن امرأةٍ رَقَبَة بن عامر فإنها لمّا أرادت إنذار قومها تعرّت من ثيابها وأقبلت عليهم وصاحت : أنا النذير العُريان .



● **السؤال :** من القائل :

وإخوانٍ تخذتهمو دروعاً فكانوهـــا ولكن للأعادي
وخلتُهُم سهاماً صائبـــاتٍ فكانوهـــا ولكن في فؤادي

عيد بن فهد الكنعان
حائل — المملكة العربية السعودية

★

وإخوان تخذتهمو دروعاً

● **الجواب:** هذان البيتان هما من جملة أبيات أربعة أو خمسة لعلي بن فَضّال المُجاشِعي كما في معجم الأدباء ، والغريب أن كتبَ الأدب كثيراً ما تورد هذه الأبيات ولا تذكر قائلها ، وقد وجدتها بدون عزو في أمهات الكتب العربية ، ومنها أمالي أبي علي القالي مع الشرح الوافي ، ومنها أيضاً كتاب شرح لاميــة العجم للصفدي .

أما الأبياتُ بكاملها فهي كما يلي :

وإخوانٍ حَسِبْتُهُم دروعاً فكانوها ولكن للأعـــادي

وخِلتهمُ سِهاماً صائبـــاتٍ		فكانوهـا ولكن في فؤادي
وقالوا قد سَعَيْنا كُلَّ سعي		فقلتُ نعم، ولكن في فسادي
وقالوا قد صفت منـا قلوب		لقد صدقوا، ولكن عن وِدادي

ويقول ابن الرومي في حماسة ابن الشَّجَري:

تَخِذتُكم دِرعاً وترساً لتدفعوا		سهامَ العِدى عني فكنتم نصالَهـا
وقد كنت أرجو منكمُ خيرَ ناصرٍ		على حين خِذلان اليمين شِمالَها
فإن كنتم لم تحفظوا لمودتي		ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قِفوا موقفَ المعذور عني بمعزلٍ		وخلوا نبالي والعدى بنبالهـا

ويقول الرِّضيّ في حماسة ابن الشَّجَري:

قَدَمٌ تؤُمّكمُ وأخرى تنثني		عنـكم وحزم الرأي للمتثبّت
أعددتكم لدِفـــاع كلّ مُلِمة		عني فكنتم عونَ كُلِّ مُلمـة
وتَخِـذْتُـكم لي جُنةً فكأنـا		نظر الزمانُ مَقاتِلي من جُنتي
فلأَنْـفُضَنَّ يَدَيَّ يأساً منكم		نفضَ الأنامل مِنْ ترابِ الميت
ولأَرْحلَـنَّ رحيلَ لا مُتأسِّف		لِفراقِكم أبـــداً ولا مُتَلَـفِّت

وقد نسبت هذه الأبيات إلى ابن سِنان الخَفَاجي. وكتب المعتصم صاحب المَرِيّة إلى الوزير ابن عمّار يقول:

وزَهَّدني في النـــاسِ معرفتي بهم
وطولُ اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم تُرِني الأيامُ خِـلاً تَسُرُّني		مباديه إلاّ ساءني في العواقب

ولا كنتُ أرجوه لدفع مُلِمّةٍ		من الدهر إلاّ كان إحدى المصائب

وبما يستحسن من الأقوال في صدق الإخاء وعدمه قول العَنَزِي أو حمّاد عجرد :

كم مِن أخٍ لكَ لستَ تُنكِرُه		ما دُمتَ مِن دُنياكَ في يُسْرِ
مُتَصَنِّع لكَ في مودتــه		يلقاكَ بالترحيب والبِشْرِ
يُطرِي الوفاء وذا الوفـــاء		ويَلْحي الغَدْرَ مُجتهِداً وذا الغَدْرِ
فاذا عــدا ، والدهرُ ذو غِيَرٍ		دهرٌ عليكَ عدا مع الدّهرِ
فأَرْفُض بإجمالٍ مَودَّةَ مَن		يَقْلِي الْمُقِلَّ ويَعْشَقُ الْمُثري
وعليكَ مَن حالاه واحـــدة		فِي العُسرِ إماّ كنتَ واليُسْرِ
لا تَخْلِطَنَّهمُ بغيرِهِم		مَن يَخلِط العِقْيانَ بالصُّفْر
فلقد خَبرْتُ وما استوى رجلٌ		خَبرٌ وآخرُ غيرُ ذي خُبْر
فوَجدتُ مَن أحببتُ مُتَّهماً		مُتَصرّفاً بتصرف الدهر
إلا القليلَ فقد وجدتُ ذوي		عهدٍ وشُكرٍ أيّما شكر

ويقول البكري :

وخليـــلٍ لم أَخُنه ساعةً		في دَمي كَفَّيهِ ظُلماً قد غَمَسْ
كان فِي سِرِّي وجَهْرِي ثِقتي		لستُ عنه فِي مُهِمٍّ أَحْتَرِسْ
سَتَر البُغْضَ بألفــاظِ الهوى		وادَّعى الودَّ بغِشٍّ وغَلَس

إن رآني قال لي خـــيراً وإن ۝ غِبتُ عنه قال شرّاً ودَحس

ثم لمّا ۝ أمْكَنَتْهُ ۝ فُرْصة ۝ حَمَل السيفَ على مجرى النَّفَس

وأراد الرُّوح لكن خانـــه ۝ قَدَرٌ أيقظ مَن كان نَعَسْ

وألَمّ حسان بن ثابت بهذا المعنى إذ يقول :

أخِلّاءُ الرَّخاءِ ۝ همُ كثيرٌ ۝ ولكنْ في البـــلاءِ همُ قليلُ

فـلا تَغْرُرْكَ خَلَّةُ مَن تُواخِي ۝ فما لكَ عند نائبةٍ خليـــلُ

وكلّ أخٍ ۝ يقول أنا وفيّ ۝ ولكنْ ليس يَفعل مـــا يقول

سوى خِـــلٍّ له حَسَبٌ ودِين ۝ فذاك لما يَقول ۝ هو الفعول

ويقول الخَبّاز البَلَـوي :

ألاَ إن إخواني الذين عَهِـدْتُهُـم ۝ أفاعي رمالٍ لا تُقصِّر في اللَّسْع

ظننتُ بهم خيراً فلمـــا بَلَوْتُهُمْ ۝ نزلتُ بوادٍ منهم غيرِ ذي زَرع

والمَعَرّي يقول في الإخوان بصورة عامة :

فَظُنّ بسائر الإخوانِ شَرّاً ۝ ولا تأمن على سرٍّ فُؤادا

فلو خَبَرْتَهُمُ ۝ الجوزاءُ خُبري ۝ لما طَلَعت مخافـــةَ أن تُكادا

تجنّبْتُ الأنامَ فـــلا أؤاخي ۝ وغِبتُ عن الأنام فلا أُعادَى

فأيُّ الناس أجعلهُ صديقـــاً ۝ وأيّ الأرض أسكنُها ارتيادا

ويقول ابراهيم بن محمد في رياء الصديق :

وكم مِن صديقٍ ودُّه بلسانه خَؤونٍ بظهرِ الغيب لا يَتَذَمَّمُ
يُضاحكني عُجباً إذا ما لَقيتُه ويَصْدُقني منه إذا غِبتُ أَسْهُمُ
كذلك ذو الوجهين يُرضيكَ شاهداً وفي غيبِه إن غاب صابٌ وعَلْقَمُ

ويقول ابنُ الدُّبَيْثي :

خَبَرْتُ بني الأيامِ طُرّاً فلم أَجِد صديقاً صدوقاً مُسْعِداً في النوائبِ
وأَصْفَيْتُهم مني الودادَ فقابلوا صَفاءَ ودادي بالقَذَى والشوائبِ
وما اخترتُ منهم صاحباً وارتضيتُه فأَحْمَدْتُه في فِعلِه والعواقب

ويقول ابنُ أبي الهَيْذام :

لي صديقٌ هو عندي عَوَزٌ مِن سِدادٍ لا سِدَادٌ مِن عَوَزْ
وَجهُه يُذكِرُني دارَ البِلَى كلَّما أقبل نحوي وَضَمَزْ
وإذا جالسني جَرَّعني غُصَصَ الموتِ بِكَرْبٍ وعَلَز
يُظهِرِ الودَّ إذا شاهدني وإذا غاب وشى بي وَهَمَر
كحمار السَّوْءِ يُبدي مَرَحاً فإذا سِيق إلى الحمل غَمَز

ومن هذا القبيل قول القاسم بن سعيد القرشي :

وصاحبٍ قد كنتُ أدعو له أن تُجعلَ الدنيا جميعاً إليه
حتى إذا صارت إلى حَظّه منها وصارت حاجتي في يَدَيه

زال عن الوعد وعن ودّنا وأظهر الشّحّ بكل شيءٍ لديه
فما مَضَى بعد دعائي لـــه يومان حتى صرت أدعو عليه

ويقول ابراهيم بن العباس الصولي :

وكنتَ أخي بالدهر حتى إذا نبا نَبَوْتَ ، فلمّا عاد ُعدْتَ معالدهر

وللصولي هذا أبيات أخرى في هذا المعنى . فهو يقول لابن الزيات :

أخي بيني وبين الدهر صاحبُ أيّنا َغلَبـــا
صديقٌ ما استقام فإن نبا دهرٌ عليّ نبـــا
وَثبتُ على الزمانِ به فعاد به وقد وَثَبا
ولو عاد الزمانُ لنا لَعَاد أخاً به َحدِبا

ويقول لابن الزيات أيضاً :

وكنتَ أخي بإخاء الزمـــان فلماّ نبا ِصرْتَ َحرْباً عوَانا
وكنتُ إليكَ ألوم الزمانَ فاصبحتُ فيك ألوم الزمـــانا
وكنتُ أُعدُّك للنائباتِ فاصبحتُ أطلُبُ منكَ الأَمانا

ويقول محمد بن حازم في صديقٍ تغيّـر عليه فأنصفه بهذا القول :

تمادى به الهجرانُ واستحسن الغدرا وآلىَ يمينـــاً لا يكلمني الدهرا
فوالله ِما ٱسْتَعْتَبْتُ بعدَ مودةٍ صديقاً ولا أرهقت ذا زلة ُعسرا
فإن عاد في ودّي زجعتُ لودّه وإلاّ فإني لا أُحَمِّلـــه إصرا

وإن مال عني جانباً نحو عُذره   تسلّيتُ عنه واستعرتُ له عُذرا
أعِدّ لِمن أبدى العداوةَ مِثْلَها   وأجزي على الإحسانِ واحدةً عَشرا

ويقول عامر بن مجنون الجَرْمي كما في حماسة البحتري :

فما بالُ مَن أسعى لِأَجْبُرَ عَظْمهُ   حِفاظاً و يَنوي مِن سفاهته كَسْري
أُعودُ على ذي الذّنب والجهل مِنهم   ولو أنني عاقبتُ غَرّقهم بحري
أناةً وحِلماً وانتظاراً بهم غداً   فما أنا بالواني ولا الضَّرَعِ الغَمْرِ
وإني وإياهم كمن نَبَّه القطــا   ولو لم تُنَبّه باتت الطيرُ لا تسري

وقد ذكرنا هذه الأبيات في الجزء الثاني من « قول على قول » .

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة وما مطلع القصيدة :

فإن تسالوني بالنساء فإنني بَصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ مالُه فلَيس له في ودِهنّ نَصيب

حسن عباس
زندر – جمهورية النيجر

★

عَبْدَة بن الطبيب ــ عَلْقَمة بن عَبَدَة

الجواب : هذان البيتان منسوبان في بعض الكتب إلى عَبْدَةَ بنِ الطبيب وفي بعضها الآخر إلى عَلْقَمة بن عَبَدَة المعروف بعلقمةَ الفحل من قصيدة له مطلعها :

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طَروبُ
بُعَيْدَ الشبابِ عصرَ حانَ مَشِيبُ

والبيتان من هذه القصيدة ، ويتلو البيتين بيتٌ ثالث وهو :

يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيث عَلِمْنَه   وشرخُ الشباب عندهن عجيب

وقيلت القصيدةُ في مَـــدْح الحارثِ بن أبي شمِرٍ الغسّاني . ونسَب صاحبُ المستطرف هذين البيتين إلى عمروِ بن العلاء .

وللعرب في هذا المعنى أقوالٌ كثيرة ، وأذكر هنا على سبيل المناسبة أبياتاً لهارون بن علي بن يحيى المنجم :

الغانيـــاتُ عهودُهنّ   إلى انصرام وانقضابِ
مَن شاب شُبْنَ له المودةَ بالخديعـــةِ والكِذاب
فانْعَمْ بِهنّ وزَنْدُ سِنِّكَ في الشبيبةِ غــيرُ خابي
ما دُمْتَ في رَوقِ الصِّبا   وغُصونِه الخُضْرِ الرطابِ
فافخَر بأيامِ الصِّبـا   واخْلَعْ عِذارَك في التصابي
واعطِ الشبابَ نصيبَه   ما دُمتَ تُعْذَرُ بالشبابِ

ومنه قولُ العُتْبي :

رأينَ الغواني الشيبَ لاح بمفرِقي   فأعرضْنَ عني بالخدودِ النواضر
وكُنَّ إذا أبصرْنني أو رأينني   سَعَيْن فرَقَّعْنَ الكُوَى بالمحاجِر

وفي كتاب « المحاسن والأضداد » للبيهقي أن الرشيد كان يخاطب منصور النميري بشأن المشيب فأنشد النميري :

حَسَرت عنيَ القناعَ ظَلومُ   وتولّت ودمعُها مَسْجُوم

أَنكَرَت ما رأت برأسي فقالت أَمَشِيبٌ أم لُؤلؤ مَنظوم
قلت: شيب وليس عيباً فأَنّت أَنّةً يَستثيرهـا المَهْمُومُ
واكْتَسَت لونَ مِرطها ثم قالت هكذا مَن تَوسَّدَته الهمومُ
إن أمراً جنى عليك مشيبَ الرأسِ في جمعـه لأمرٌ عظيمُ
شَدَّ ما أنكرت تَصرُّف دهرٍ لم يداوم، وأيُّ شيء يدوم

ويقول ابنُ المعتز في المشيب :

لمّا رأتْ شيباً يلوح بِعارضي صَدَّت صدودَ مُغاضِب مُتَجَمِّل
نَظَرت إليَّ بعينِ مَن لم يَعدِلِ لمّا تمكّن طرفُهـا مِن مَقتَلي
ما زلتُ أطلب وصلَها بتذلّل والشيب يغمزهـا بأن لا تفعلي

وتنسب هذه الأبيات أحياناً لأبي دُلف العجلي وأحياناً أخرى لأبي تمـام
ولابن المعتز أيضاً :

قالت وقد راعهـا مشيبي كنتَ ابنَ عمٍّ فصرتَ عمّا
واستهزأتْ بي فقلتُ أيضـاً قد كنتِ بنتاً فصرتِ أُمّا
كُفّي ولا تُكثِري مَلامي ولا تَزيدي العليلَ سُقْما
مَن شاب أبصرْنـه الغواني بعينِ مَن قد عَمِي وَصَمّا
لو قيل لي اختر عمىً وشيباً أيّهما شئتَ قلت أعمى

ويقول أبو دُلَف العجلي لجارية :

تَهَزَّأَتْ إذ رأت شيبي فقلتُ لها لا تهزإي مَن يَطُلْ عمرٌ به يَشِبِ
فينا لَكُنَّ ، وإن شيبٌ بدا ، أَرَبٌ وليس فيكُنَّ بعد الشيب من أرب
شيبُ الرجالِ لهم عِزٌّ ومَكرمة وشيبُكُنَّ لكُنَّ الذلّ فَاكتئبي

ويقول السَّرَّاج الوَرَّاق :

وقالت ياسراج علاك شيب فَدَعْ لِجديدِه خَلْعَ العِذَارِ
فقلتُ لها : نهارٌ بعد ليلٍ فما يَدْعوكِ أنتِ إلى النِفار
فقالت : قد صدقتَ وما سَمعْنا بأَضْيَعَ مِن سراجٍ في نَهار

ويقول عبد الله بن قيس الرُقَيّات :

ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلاكَ وقد كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ
ولقد عَصَيْتُ الناهِياتِ الناشراتِ جُيوبَهُنَّهْ
حتى ارعويتُ إلى الهُدَى وما ارعويتُ لنَهْيِهِنَّه

● **السؤال** : ماذا يعني الشاعر طُفَيْل الغَنَوِي في قوله :

إن النساءَ كأشجارٍ خُلِقْنَ لنا منها المُرارُ وبعضُ المرِّ مأكولُ
إن النساءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ فإنــه واجبٌ لا بُدَّ مفعولُ

اسطفان راجي حوا
بيروت – لبنان

★

مالك بن أبي كعب الخزرجي

● **الجواب** : هذان البيتان هما في الحقيقة ثلاثة أبيات ، من قصيدة طويلة ردّ بها مالك بن أبي كعب الخزرجي على بَرْذَعِ بنِ عدي ، ومطلع القصيدة :

هل للفؤادِ لدى شَنْباءَ تنويلُ أمْ لا نَوالَ فإعراضٌ وتحميلُ

ثم يقول :

إن النساءَ كأشجار نَبَتْنَ لنــا مِنْهُنّ مُرٌّ وبعضُ المرّ مأكولُ
إن النساءَ ولو صُوِّرْنَ من ذَهَبٍ فيهنّ مِن هَفَوات الجَهْلِ تخييل

فانتَ إن تَنْهَ إحداهُن عن خُلُقٍ   فإنه واجبٌ لا بُدَّ مفعول

وهذه روايةُ الأغاني ، والمعنى في البيت الأخير يختلف عن معنى البيت الثاني في سؤال السائل الكريم . فالمعنى في بيت السائل هو أن النساءَ إذا نهت عن خُلُقٍ ، فتجب مُخالَفَتُهُن ؛ وهذه عادةٌ عند العرب ، فإنهم كانوا يستشيرون النساء ويخالفونهن . والمعنى بحسب رواية الأغاني هو أنك إذا نهيتَ النساءَ عن خلُقٍ فانهُنَّ لا ينتهين عنه .

ومالك بن أبي كعب هذا شاعرٌ جاهلي من الخزرج ، ولذلك يقول في قصيدته :

إني من الخزرجِ الغُرِّ الذين هم   أهلُ المكارم لا يَفْنَى لهم جيلُ

وسببُ القصيدة أن مالكاً اشترى جملاً من رجل من طيء كان بجوار بَرْذَعِ ابنِ عَدِي ولم يَدْفع الرجل ثمنه ، فذهب بَرْذَعٌ وأخذ الجملَ من منزلِ مالك ، فغضب مالك لذلك ، وأخذ يُسَفِّه برذعاً ، فقال برذعٌ قصيدةً يخاطب مالكاً مطلعها :

أمِن شحطِ دارٍ عن لُبانةَ تجزعُ   وصرفُ النوى مما يُشِتُّ ويجمعُ

والعقدُ الفريد يَنْسُبُ الأبيات إلى طُفَيل الغَنَوِي ، ولكنَّ صاحب الأغاني يَنْسبها إلى مالك بن أبي كعب الخزرجي ، كما ذكرنا . أما رواية الشعر والشعراء لابن قتيبة فهي توافق ما ذكره السائل الكريم في سؤاله ، وهي كما يلي :

إن النساء كأشجارٍ نبتن لنا   منها المُرَارُ وبعضُ النبتِ مأكولُ
إن النساء متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ   فإنه واجبٌ لا بُدَّ مَفْعولُ

لا يَنْصَرِفنَ لِرُشدٍ إذ دُعِينَ له   وهُنَّ بعـــدُ مَلائِمٌ مَخاذِيلُ

وزادوا بيتاً آخر على ذلك وهو :

وما وَعدْنَكَ مِن شرٍّ وَفَيْنَ به   وما وَعدْنَك من خيرٍ فَمَمْطُولُ

وجاء في أدب الدنيا والدين للماوردي أن أبا العَيناء ، أنشدَ هذه الابيات عن أبي زيد . وذكر الأبياتَ جميعها صاحبُ عيونِ الأخبـــار .

ورأيت في كتاب للثعالبي أن البيتين المسئول عنهما لِطُفَيل الغَنَوي وذكرهما له بعد أن قال : يقال ما نُهِيَت امرأة عن شيء قط إلا أتته ، أي إن المرأة مِن طبعها الخلاف والمعاندة . ورأيت في الكتاب نفسه هذين البيتين :

إن النساء شياطين خُلِقن لنـــا   نعوذ بالله من شرّ الشيـــاطين

فهنّ أصل البليات التي ظهرت   بين البرية في الدنيـــا وفي الدين

وذكر الماوردي في أدب الدنيا والدين أن عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنـه سمع امرأة تقول :

إن النساءَ رياحينٌ خُلِقن لنـــا   وكلُّنـا يشتهي شَمَّ الرياحين

فقال :

إن النساءَ شياطينٌ خُلِقن لنـــا   نعوذ بالله مِن شرّ الشياطين

وفي كتاب « المحاسن والأضداد» المنسوب إلى الجاحظ أن عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه سمع امرأة تنشد وتقول :

فمنهنّ مَن تُسْقَى بِعَذْبٍ مُبَرَّدٍ نُقاخٍ فتِلْكُم عند ذلك قَرَّتِ
ومنهنّ مَن تُسقَى بأخضرَ آجِنٍ أجاجٍ فلولا خشيةُ اللهِ فَرَّتِ

فأمر بإحضار زَوْجها فوجده متغيّر الفم فخيّره جاريـــة من جواري المَغْنَمِ أو خمسمئة درهم على طلاقها ، فاختار الخمسمئة وطلقها .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

يبكي الغريبُ عليه ليس يَعرِفُه وذو قَرابــــتهِ في الحي مسرور

علي سالم ابو رويص

مصراتة – ليبيا

★

عثمان بن لبيد

● **الجواب :** هذا البيت لرجـــل اسمُه عثمان بن لَبيدٍ العُذري ذكر حكايتَه الحريري في دُرة الغواص ، وهو من جملةِ أبيات لهذا الرجل ، أولها :

يا قلبُ إنك من أسماء مغرورُ فاذكُر وهل يَنفَعَنْكَ اليومَ تذكيرُ

ويقال إنّ عَبيدَ بنَ شَرْيَةَ الجُرهُمي الذي عاش ثلاثمئة سنة وأدرك الإسلام دخل على معاوية في الشام ، فسأله معاويـــة عن أعجبِ شيء رآه في حياته . فقال : مَرَرت ذاتَ يوم بقوم يَدفِنون مَيتاً لهم ، فاغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

يا قلبُ إنك من أسماء مغرور فاذكُرْ وهل يَنفَعَنْكَ اليومَ تذكيرُ

قد بُحتَ بالحب ما تُخفيه من أحدٍ   حتى جرَت لك أطلاقاً محاضير
فلستَ تدري وما تدري،أعاجِلُها   أدنى لِرُشدِك أم ما فيـه تأخير
فاستقدِر اللهَ خيراً وارْضَيَنَّ به   فبينما العُسرُ إذ دارت مياسير
وبينما المرءُ في الأحياء مُغتَبِطٌ   إذ صار في الرَّمس تعفوه الأعاصير
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه   وذو قرابتـــه في الحيِّ مسرور

قال : فقال لي رجلٌ : أ تعرف مَن يقول هذا الشعر ؟ قلتُ : لا ، قال : ان قائله هذا الذي دفناه الساعة ، وأنت الغريبُ الذي يبكي عليه ولستَ تعرفه ، وهذا الذي سار عن قبره هو أقربُ الناس به وأسرُّهم بموته . وقيل إن الشاعر هو عِشْيَرُ بن لبيدٍ العذري وقيل هو عثمان بن لبيدٍ العذري. وأذكر أنّ أعرابياً سمع غناءَ حمائمَ في بستان ابراهيمَ بنِ المهدي فذكر غربته وقال :

أشاقتك البوارقُ والجَنُوبُ   ومِن عَلْوَى الرياح لها هُبُوبُ

حتى قال :

ومن بُستانِ ابراهيمَ غنَّت   حمائمُ بينهـــا فَنَنٌ رطيبُ
فَقلتُ لها وُقيتِ سِهامَ رامٍ   ورُقطَ الريشِ مَطعَمُها الجَنُوب
كما هَيَّجتِ ذا حَزَنٍ غَريباً   على أشجانـــه فبكى الغريبُ

وفي الجزء الأول من « قول على قول » أشياء أخرى في هذه المناسبة .

● السؤال : ما هي القصيدة التي منها هذان البيتان وما المناسبة ؟

وتَجَلُّدي للشامتين أُرِيهمُ ... أني لريب الدهر لا أتضعضعُ

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

محمد طه
عدن

★

أبو ذؤيب الهذلي

● الجواب : هذان البيتان من قصيدة لأبي ذُؤَيب الهُذَلي رثى فيها أولاده السبعة الذين ماتوا بالطاعون ومَطلَعُها :

أَمِنَ المنون وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ ... والدهرُ ليس بِمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ

وكنتُ في جواب سابق ذكرتُ حكاية عن معاويةَ بنِ أبي سُفيان حينما تمثل بالبيت الأول وهو مريض ، وتمثل أحد عوّاده بالبيت الثاني وأذكر هنا أشياء اخرى في هذه المناسبة .

فقد جاء أنَّ أحدَ علماءِ بغداد وَفَدَ على دار الخلافةالعثمانية في أيام السلطان سليم ، ونَزَلَ في دارِ صاحب المشيخة العظمى . فاتفق أنْ كان السلطانُ سليم يوماً في قايق له بين أسكي دار واسلامبول في بحر مرمره ، وكان الشيخُ البغداديُّ في قايق آخر ، فمرَّ قايقُ الشيخ بالقُربِ من قايق السلطان ، فأراد السلطانُ أن يُداعِبَه لمَّا رأى عليه سيماءَ أهل العلم ، فناداه وقال له :

فيم اقتحامُكَ لُجَّ البحر تَرْكَبُه وأنت يكفِيكَ منه مصَّةُ الوَشَلِ

فأجاب الشيخُ على الفور من القصيدة نفسها :

أريدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أستعين بها على قَضَاء حقوقٍ للعُلا قِبَلي

فتعجبَ السلطانُ من سرعةِ بديهته ومعرفتهِ بالشعر ، وسأل عنه ، ثم أقطعه قرية بكاملها .

ويحكى أيضاً أنَّ ابراهيم باشا سَرْ عسكر الدولة المصرية كان تَغَيَّر على بيكواتِ عكا ، واتفق أنْ أحدَ أمراء العسكر كتب إلى عَوَض بيك الأسعد بيتاً من الشعر من قول عنترة يهدده فيه ضمناً وقال له: أُنْظُر ما أحسنَ خطّي والبيتُ هو :

لِيَ النفوسُ وللطيرِ اللحُومُ وللوحشِ العِظامُ وللخيّالةِ السَّلَبُ

فكتب إليه عوض بيك الأسعد بيتاً آخر من القصيدةِ نفسها ، وقال له : انظر خطَّ مَن منِا أحسن ، والبيت :

إنْ كنتَ تَعْلَمُ يا نُعمانُ أنَّ يدي قصيرةٌ عنك فالأيامُ تنقَلبُ

وحكى ابنُ رشيقٍ القَيْرَواني في كتاب الأُنموذج أنَّ عبدَ الله بن ابراهيم

الطوسي الشاعر المشهور ، خَرَجَ مرة يريد جزيرةَ صِقِلِيَّة فأسره الرومُ وبَقي في الأسر إلى أنْ حصَلَت مهادنة بين ثقةِ الدولة وصاحب صِقِلِية ، فأفرجَ عن عبدِ الله المذكور ، فمدَحَ ثقةَ الدولة بقصيدة ، ولكنَّ ثقةَ الدولة لم يُعْطِه شيئاً ، فغضب وأضمرَها له . فخرج في احدى الليالي يُريد أنْ يَشْتَرِي حاجــة له فقَبَضَ عليه الشرطةُ بتهمة السكر وأدخله صاحبُ الشرطة على ثقةِ الدولة فقال له : ما الذي بَلغَني عنك ؟ قال : المُحَال ، أيَّد اللهُ سيدَنا الأمير ، فقال له : مَن الذي يقول في شعره :

فالحُرُّ مُمْتَحنٌ بأولاد الزنا ؟ فأجاب الشاعر : هو الذي يقول : وعَداوةُ الشعراء بِئْسَ المُقْتَنى . فغَضِبَ ثقةُ الدولة ، ولكن أمر له بمئــة دينار وأخرجه من المدينة . والذي استشهد به الأمير واستشهد به الشاعرُ الطوسي شطرا بيتين للمتنبي في مدح ابنِ عمّار . فبيتُ الشطرِ الأول هو :

وأَنَهُ المُشيرَ عليك فِيَّ بِضِلَّةٍ فالحُرُّ مُمْتَحَنٌ بأولاد الزِّنى

وبيتُ الشطرِ الثاني هو :

ومَكايدُ السفهـــاء واقعةٌ بهم وعَداوةُ الشعراء بِئْسَ المُقْتَنَى

وأورد القالي في أماليه قصيدة لنويرة بن حُصَين المازني في رثاء ابنه فيها حضٌّ على التجلد أمام الشامتين ، ومنها قوله :

إني أُري للشامتـــين تجلُّدي وإنيَ كالطاوي الجناحِ على الكَسْرِ
يُرَى واقعاً لم يُدْرَ ما تحت ريشه وإن ناء لم يَسْطِع نُهوضاً إلى وَكْرِ
فلولا سرورُ الشامتين بكبوتي لما رقأت عيناي مِن واكفٍ يجري
على مَن كفاني والعشيرةَ كلَّهـا نوائبَ ريب الدهر في عثرة الدهرِ

● السؤال :أرجو أن توضحوا لي أمر وقعة الخندق مفصلاً مع تعداد من كان من رجال الاسلام البارزين آنذاك .

يونس صفي الدين
صور - لبنان

★

غزوة الخندق

كانت في شوال من السنة الخامسة أو الرابعة على الصحيح ؛ قبل دُومَة الجندل .

سببها : نفرٌ من اليهود يحرضون على النبي ؛ خرجت قريش في عشرة آلاف تحت أبي سفيان ؛ أمر النبي بحفر الخندق على المدينة ؛ وعمل في الحفر هو نفسه ؛ خرج النبي بثلاثة آلاف ، ونقض بنو قريظة العهد ، أحيط بالمسلمين من كل جهة ، الحصار مدة شهر ؛ مكيدة ما كانت العرب تعرفها.

لما أجلى الرسول يهود بني النضير عن ديارهم بالمدينة رحلوا إلى خيبر وعزموا على الانتقام منه ومن أصحابه . ومن ثَمّ ذهبوا يؤلبون عليه سائر العرب

ويحزبون الأحزاب ضده . وكانت قريش قد خرجت من أحد منتصرة ، وخُيل إليها أنها قد هزمت المسلمين أو محمداً ، ولم يبق إلا أن تشنّ عليه غارة أخرى فتقضي عليه نهائياً . يدل على ذلك صيحة أبي سفيان بن حرب : « إن موعدكم بدرٌ للعام المقبل » ولكن قريشاً لم يسعفها الحظ في ذلك العام لوقوع الجدب بأرضهم ، والكساد بتجارتهم . فلما جاءهم وفد اليهود واطمأنت قريش إلى نصرتهم وانضمامهم إليها ، رأت أنهم سوف يحيطون بمحمد داخل المدينة وخارجها ، كما رأوا في خروجهم محواً لما لحقهم من تهمة الجبن عن قتال محمد . فقد خرج الرسول إلى لقائهم في الموعد الذي ضربوه، وأقام ثمانية أيام فلم يخرجوا إليه . لذلك نشطت لما دُعيت إليه من حرب الرسول واعتبرتها فرصة سانحة .

فلما أطمأن اليهود إلى مناصرة قريش ، ذهبوا إلى غطفان من قَيس عيْلان ، فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشاً إليه ، ووعدوهم العون فأخبروهم بانضمام قريش إليهم ، فقبلت غَطفانُ ، وتهيأت الأحزابُ للخروج إلى المدينة ، وكان قائد قريش أبا سفيان بن حرب وقائد بني مرّة من غطفان عُيَيْنة بن حِصْن ؛ وقائد بني أشجع من غطفان أيضاً مِسْعَرُ بن رُخيلة ، فلما اتصل بالرسول ما عزم عليه المشركون حفر خندقاً حول المدينة ، وعمل بنفسه فيه ، ترغيباً للمسلمين في الاجر ، وعمل معه المسلمون فيه حتى أحكموه . وكان الخندق في شمال المدينة ، لأن الجهات الاخرى ، كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت . وقد اختلف المؤرخون في مكان الخندق وطوله ، ويظهر لنا أنهم خطوه من الحرة الشرقية إلى الشمال فالغرب ، ثم إلى الجنوب قليلاً . وإذا صحت الرواية القائلة بأن الرسول قد وكل لكل عشرة من المسلمين أن يحفروا قطعة من الخندق طولها أربعون ذراعاً ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن طول الخندق قد بلغ اثني عشر ألف ذراع على الأقل . وفرغ المسلمون من حفر الخندق قبل وصول قريش على الرغم من تسلل المنافقين وهربهم أثناء العمل دون استئذان الرسول .

أقبلت قريش ومن تبعها من أعراب كنانة وتهامة في عشرة آلاف ، ونزلوا

في مجتمع الأسيال من رُومة ، على بعد ثلاثة أميال من المدينة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من نجد فنزلوا إلى جانب أحُد . وخرج الرسول في ثلاثـــة آلاف وجعلوا ظهرهم إلى جبل سَلْع . وجعـــل الرسول النساء والأولاد في الحصون والخندق بينهم وبين المشركين . وقد جاء حُيَيُّ بنُ أخطب النَّضَري إلى كعب بن أسد القـُرَظي صاحب عقد بني قريظة ليراوده على نقض ما بينه وبين الرسول من عهد ، فامتنع أولاً ، ثم انتهى إلى أن نقض بنو قريظة ما بينهم وبين المسلمين. فلما علم الرسول بذلك أرسل إليهم أربعة ، منهم سعد بن مُعاذ سيد الأوس ، وسعد بن عُبَادة سيد الخزرج ليستيقنوا من هذا الخبر ،فرأوا منهم الغدر ،فعادوا واخبروا الرسول فقال : الله اكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

واشتد الخوف وعظم البلاء على المسلمين إذ ذاك ، وظهر نفاق الكثير بن حق قال مُعتّب بن قـُشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدُنا أننا كل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وأقام الرسول وأقام المشركون عليه قريباً من شهر لم يكن بينهم حرب إلا النَّبل والحصار . فلما أشتد الأمر على المسلمين بعث الرسول إلى قائدي غطفان يفاوضهما في قبول ثلث غلة المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، فقبلا . وكُتبَ نص المحالفة خِلْواً من أسماء الشهود ، إذ لم يتم الصلح ولم يكن إلاّ المراوضة . وتحدث الرسول إلى سعد ابن مُعاذ وسعد بن عُبادة سيدي الأوس والخزرج وذكر لهما ما وصل إليه مع غطفان ، فلما يرضيا إلا أن يكون أمراً من عند الله ، فأخبرهما الرسول بأن هذه فكرة عرضت له للخروج من هـــذا المأزق الذي كان يحيط بالمدينة ، ثم أعطاهما الكتاب ليمحوا ما به ففعلا . وعاد الموقف إلى ما كان عليه من تبادل المناوشات التي لم تأت بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين .

وكان الرسول في ذلك الوقت يدأب على مصابرة المسلمين الذين اشتد بهم البلاء وزاد تأثير الجوع والبرد فيهم ، وفي مفاوضة غطفان ابتغاء صرفهم عـن قريش ليفت ذلك من عضدهم ، فيرجعوا هم أيضاً . وأما قريش فقد ثقل عليهم

الحصار وملوا الانتظـار في البرد القارس والمطر الذي لم تغن عنهم خيامهم منها شيئاً.

عند ذلك جاء إلى الرسول نُعَيم بن مسعود مسلماً ، وعرض عليه أن يكلفه بأي عمل ليقوم بنصيبه في جهاد المشركين وصرفهم عن المدينة ، فقال له : خذّل عنا فإن الحرب خُدعة . فذهب نعيم بن مسعود إلى بني قريظة وحذرهم إن ُهزمت قريش فنجت بنفسها وتركتهم تحت رحمـــة محمد .. ثم نصحهم بألا يطمئنوا إلا إذا أعطوهم رهائن من ساداتهم وأشرافهم . ثم ذهب إلى كل من قريش وغطفان وأوهمهم أن بني قريظة قد ندموا على نقضهم عهد محمد ، واتفقوا معه على أن يخدعوا قريشاً وغطفان عن بعض ساداتهم ، فيأخذونهم على أنهم رهائن ويقدمونهم إلى محمد ليضرب أعناقهم . فاستعجلت قريش وعد قريظة لها ونصرتها ، فكان جوابهم عليهم مـــا يؤكد عزم بني قريظة على الغدر بهم .

وقد فعلت هذه الوقيعة فعلها في الأحزاب ، وتأكدت قريش وغطفان من غدر القرظيين بهم ، فعزموا على الرحيل . وكان للعوامل الطبيعية أيضـــاً أكبر الأثر في ذلك ، إذ هبت ريح زعزع عاتية جعلت تكفأ قدورهم ، وتنزع خيامهم فأرغمتهم على الرحيل . كما كان لطول أمد الحصار أسوأ الأثر في نفوس الأحزاب المتحالفة مع قريش مما جعل لفشلها ورجوعهـــا تجر أذيال الخيبة وتندب الآمال التي كانت تحلم بتحقيقها، أثراً كبيراً في سرعة انتشار الاسلام بين قبائل العرب .

هذه هي غزوة الخندق — أما دور علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها،فقد كان شأنه شأن صفوة المسلمين في النجدة والبأس ، اشترك في حفر الخندق، وكان بطلاً في المبارزات التي وقعت بينه وبين رجال المشركين، وقد انتصر فيها وقتل أكثر من واحـد من فرسان الأحزاب ، وأبلى رضي الله عنه بلاء حسناً وأبدى

شجاعة عظيمة اشتهر ذكرها ، وأوردوا له شعراً في ذلك .

أمـــا تعداد من اشترك فيها من رجال الاسلام البارزين ، فيكفي القول فيه ، أن جميع المسلمين ، من المهاجرين والانصار ، قد اشتركوا في هذه الغزوة. اشترك فيها عثمان وعلي وأبو بكر ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، ونُعيم بن مسعود وهو في رأيي من أعظم الشخصيات الاسلامية دوراً في هذه المعركة ، فقد استطاع بدهائه وحيله أن يفرق بين اليهود وبين المشركين من قريش واتباعها من القبائل ، بحيث قضى على هذا الاتفاق الذي كان بينهما – مما كان له أبعد الاثر ، في تفتت قواهم ، ويأسهم من القضاء على المسلمين – ويستطيع الانسان لكي يوضح أمر هذه الغزوة ، أن يذكر أنها كانت أخطر مشكلة عسكرية واجهت المسلمين ، ولو أُتيحَ للمشركين دخول المدينة ، لما قامت للاسلام قائمة ، واقضي على الدعوة في مهدها ، ولكن الله حمى رسوله ، وحمى رسالته ، فكان من أمر هذه الحرب ما كان – مما هو دليل على قدرته وعظمته .

● **السؤال :** من قائل هذا البيت ، وما معناه :

مُحَرَّمَةٌ أكفال خيلي على القنا   مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُها والقلائد

عبدالله بن سليمان الفريهي
تنغانيكا

*

العَلَوي والمتنبي

● **الجواب :** البيت الآخر الذي أعرفه هو للشاعر العلوي ، كما ذكره ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وهو :

مُحَرَّمَةٌ أكفالُ خيلي على القنا   مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتها ونُحورُها

والبيت الثاني :

حرامٌ على أرماحنا طَعنُ مُدبِرٍ   وتَنْدَقُّ منها في الصدورِ صدورُها

أما المعنى عموماً فهو أنَّ خيلَنا لا تُطعَن وهي مُدبِرة ، بل إنها تُطعَن

في صدرِها ونحرِها لأنَّ فرسانَها يُقدِمون على الحرب بجرأةٍ لا يخافون الموتَ ولا يَفِرّون .

وهذا شبيهٌ بقول الحُصَيْن بن الحُمَام المُرّي :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدّما

فلسنا على الأعقاب تَدْمى كُلومُنا ولكنْ على أقدامِنا تَقْطُر الدما

نُفَلِّقُ هاماً من رجالٍ أعزةٍ علينا ، وهم كانوا أعَقَّ وأظلما

والبيت :

فلسنا على الأعقاب تَدْمى كُلومنا ولكن على أقدامِنا تقطُر الدِما

يُشير إلى أنهم صابرون على القتال مع العدو ، فلا يُصيبُهم السيفُ أو الرمح إلا من الصدر ، فتسيلُ الدماء على الأقدام ، ولا يُطعَنون من الخلف حتى تسيلَ الدماء على الأعقاب . واستشهد عبدُ الله بنُ الزبير بهذا البيت حينما ضُيِّق عليه الحصارُ في مكة .

والغريب من كتاب العقد الفريد أنّه نسَب هذا البيت إلى حسان بن ثابت ، والمعروف أنه للحُصَيْن بن الحُمَام .

أما البيت الذي سأل عنه السائل الكريم فهو للمتنبي من قصيدةٍ مَطْلعُها :

عَواذِلُ ذاتِ الخالِ فِيَّ حَواسِدُ وإن ضَجيعَ الخَوْدِ مني لماجِدُ

وهي في مدح سيف الدولة ، ويذكرُ فيها هجومَ الشتاء الذي عاق سيف الدولة عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة .

● **السؤال :** من القائل :

أبا الهول ما أنتَ في المعضلاتِ　　فقد ضَلَّت السُّبْلَ فيكِ الفِكَر

يحيى سعيد بن عبدالله
مكة المكرمة ــ المملكة العربية السعودية

*

أحمد شوقي

● **الجواب :** هذا البيت من قصيدة مشهورة لأمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي ، قالها حينما رُفِع الستارُ في مسرح حديقة الأزبكية يومَ افتتاحه عن تِمثالٍ لأبي الهَوْل ، يناجي بها أبا الهَوْل . ومَطلَعُ القصيدة :

أبا الهول طـال عليكَ العُصُرْ　　وبُلِّغتَ في الأرضِ أقصى العُمُرْ

وفيها يقول :

عَجِبتُ لِلُقمانَ في حِرْصِه　　على لُبَدٍ والنُّسُورِ الأُخَرْ
وشكوى لبيدٍ لطولِ الحيـــاةِ　　ولو لم تَطُـلْ لتشكَّى القِصَرْ

ولُقمان هذا هو لُقمان بن عادياء ،وهو،في بعض الروايات، الذي بعثته عادٌ في وَفدٍ إلى الحَرَم ليستسقي لها،فَخُيِّر لُقمان بين أن يعيشَ بقدر ما تعيشُ سبع بقرات ، إحداها بعد الأخرى ، وبين أن يعيشَ بقدرِ ما تعيش سبعة أنسُر كلّما هلكَ نسرٌ خلفه نسرٌ آخر . فلم يَرْضَ بالأبقار ، واختار الانسر السبعة فكان يموت نسرٌ ويَخلُفه نسرٌ غيرُه ، حتى لم يَبْقَ إلا النَّسرُ السابع فقال للقمان إبنُ أخٍ له : يا عَمّ ، ما بقي من عمرك إلا عُمرُ هذا ، فقال لقمان : هذا لُبَد ، ولبد بلسانهم معناه الدهر .

وكان لُقمان يأخذ النَّسر ، فيعيش خمسَمئة سنة أو أقل أو أكثر ، فإذا مات أخذ النسرَ الثاني مكانه ، وهكذا إلى أن هلكت الأنسُرُ الستة وبقي السابع ، فأخذه وسماه لُبَداً ، فكان أطولها عمراً ، فضَربت العَرَبُ المثلَ به وقالوا : طال الأبد على لُبَد .

والأعشى يقول:

وأنتَ الذي ألهيتَ قَيْلاً بكاسه ... ولُقمانَ إذ خيَّرْتَ لقمانَ في العمرِ

لنفسِكَ أن تختارَ سبعةَ أنسر ... إذا ما مضى نَسْرٌ خلوتَ إلى نَسر

فَعُمِّرَ حتى خال أنَّ نُسورَه ... خُلودٌ،وهل تبقى النفوسُ على الدهر

وعاش لقمان ، على زعمهم ، ثلاثة آلاف وخمسَمئة سنة .

ويقول النابغة :

أضحت خَلاءً ، وأضحى أهلُهـا احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لُبَد

وأذكر في هذه المناسبة حكايةعن الهَرَّاء النَّحوي المعروف بمُعاذ بن مُسْلم.

قال رجلٌ: صَحِبتُ معاذَ بن مُسلم زماناً، فسألته ذات يوم كم سِنُّك ؟ فقال: ثلاثٌ وستون . قال ثم مكثتُ بعد ذلك سنين ، وسألته : كم سِنك ، فقال معاذ : ثلاث وستون . فقلت : أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة ، وكلما سألك أحدكم سنك تقول : ثلاث وستون . فقال مُعاذ : لو كنت معي احدى وعشرين سنة أخرى ما قلتُ إلاّ هذا .

وكان مُعاذٌ مشهوراً بالعمر الطويل، وكان له أولاد وأولادُ أولاد ، فمات الكُلُّ وهو باقٍ ، وفيه يقول الخزرجيّ الشاعر :

إن معاذَ بنَ مُسلِمٍ رَجُلٌ ليس لميقاتِ عمره أَمَدُ
قد شاب رأسُ الزمانِ واكتهل الدهرُ وأثوابُ عمرِه جُدُدُ
قل لمعاذٍ إذا مررتَ به قد ضجَّ من طولِ عمرك الأَبد
يا بِكرَ حواءَ كم تعيشُ وكم تَسحَبُ ذيل الحياةِ يا لُبَدُ
صاحبتَ نوحاً ورُضتَ بغلةَ ذي القرنين شيخاً لِولْدِكَ الوَلَدُ
فارحلْ ودَعْنا لأن غايتكَ الموتُ وإن شدَّ رُكْنَكَ الجَلَدُ

وعاش مُعاذ بن مُسلِم حتى جاوز التسعين ، ولمّا مات أولادُه وأولادُ أولاده قال :

ما يَرْتجِي في العيشِ مَن قد طوَى من عُمره الذاهِبِ تِسْعينا
أَفْنَى بَنِيه وبَنِيهمْ فقد جرَّعه الدَّهرُ الأَمَرَّينا
لا بُدَّ أن يَشْرَبَ مِن حَوْضِهِم وإن تراخى عمرُه حِينا

ذكرتُ هذه الحكاية بالمناسبة .

أما قول شوقي :

وشكوى لبيدٍ لطول الحيـــاةِ ولو لمْ تَطُلْ لتشكَّى القِصَر

فالإشارة هنا إلى لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المشهور؛ وكان من المُعَمَّرين أو المُعمَّرين، فقد قيل إنه عاش ١٤٠ عاماً أو ١٥٧ . وشَكْوَاهُ من طول العمر ، فهي حيث يقول :

ولقد سئِمتُ من الحياةِ وطولِها وسؤالِ هذا الناس كيف لبيدُ

وهنا حكاية عن لبيد أذكرها بالمناسبة . يقال إن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف يسأله أن يبعث إليه برجلٍ يصلح للدين والدنيا ليتخذه سميراً وجليساً . فأرسل إليه الحجاج عامراً الشعبي . فلما دخل عليه عامرٌ، وجده قد كبا وجهه مهتماً ، فقال : ما بالُ أمير المؤمنين ، فقال : ذكرتُ قول زهير :

كأني وقد جاوزتُ سبعين حِجَّةً خَلَعتُ بها عني عِذارَ لجامي

رَمَتني بناتُ الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرْمى وليس برامي

فلو أنني أُرْمى بِنَبْلٍ رأيتُهـــا ولكنني أُرْمَى بغيرِ سِهامِ

على الراحتَين تارةً وعلى العصا أنوءُ ثلاثاً بعدهن قِيـــامي

فقال له الشعبي : ليس كذلك يا أميرَ المؤمنين ، ولكنْ كما قـال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة :

كأني وقد جاوزت سبعين حِجَّةً خَلَعْتُ بها عن مَنْكِبَيَّ ردائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال :

باتت تَشَكّى إليَّ النفس مُوهَنةً   وقد حَمَلْتُكِ سبعاً بعد سبعينا
فإن تُزادِي ثلاثاً تبلُغي أملاً   وفي الثلاثِ وفاء للثمانينا

ولمّا بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سَئِمتُ من الحياةِ وطولها   وسؤآل هذا الناسَ كيف لبيدُ

ولما بلغ عشراً ومئة سنةٍ قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي   لزومُ العصا تُحْنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القرون التي مَضَت   أنوءُ كأني كُلَّما قمتُ راكعُ

ولما بلغ ثلاثين ومئةَ سنةٍ ، وحضرته الوفاة قال :

تَمَنَّى ابنتايَ أنْ يَعِيشَ أبوهما   وهل أنا إلَّا من ربيعةَ أو مُضَرْ
فقوما فقولا بالذي تعلمانِه   ولا تَخْمِشا وجهاً ولا تَحْلِقا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذي لا صديقَه   أضاع ولا خان الخليلَ ولا غَدَرْ
إلى سنةٍ ثم السلامُ عليكُما   ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

فقال الشعبي : فرأيتُ السرورَ في وجه عبد الملك طمعاً منه في أن يعيش طويلا . والله أعلم .

ومن الأبيات الحكمية في قصيدة أحمد شوقي هذه قولُه :

فيا رُبَّ وجهٍ كصافي النمير تَشَابَه حامِلُــه والنَّمِرْ

والمعنى الإجمـــالي لذلك أن مظهر الإنسان لا يدل على باطنه ، فقد يكون المنظر حسناً والباطن خبيثاً .. ومن ذلك قول الأبيوردي :

يلقاكَ والعَسَلُ المُصَفَّى يُجْتَنَى من قوله ومن الفِعـال العَلْقَمُ

يُبدي الهوى ،ويثور إن عَرَضتَه فُرَص ، عليك كما يثور الأرقم

ويقول أبو تمّام :

إن شئتَ أن يَسْوَدَّ ظنُّك كُلُّه فأَجِلْه في هـذا السوادِ الأعظم

ليس الصديقُ بمن يُعيرُك ظاهراً متبسِّماً عن باطنٍ متجهِّم

وقول عنترة :

إن الأَفاعي وإن لانت ملامسها عنـد التقلب في أنيابهـا العطب

وقول علي بن أبي طالب أو صالح بن عبد القدوس :

يُعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ويقول الشريف الرضي :

لا تجعلنَّ دليـلَ المرءِ صورتَه كم مَخْبَرٍ سَمِجٍ عن منظرٍ حسن

ويقول أيضاً :

وكم صاحبٍ كالرُّمح زاغت كعوبُه أَبى بعد طول الدهر أن يَتَقَوَّما

تقبلتُ منه ظاهراً مُتَبَلِّجاً   وأدمجَ دوني باطناً مُتَجَهِّما
ولو أنني كشَّفْته عن ضميره   أَقمتُ على ما بيننا اليوم مأْتما

والقصيدة الشوقية في أبي الهَوْل طويلة تَنيف على سبعين بيتاً. ويختتم شوقي قصيدته بهذ البيت :

تَحَرَّكْ أبا الهول هذا الزمانُ   تحرك ما فيه حتى الحَجَرْ



● **السؤال** : من القائل:

فلستُ مُصَدِّقَ الأقوامِ في شيء وإن صدقوا

يحيى سعيد بن عبد الله
مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

★

موسى بن عبدالله

● **الجواب** : هذا البيت هو من جملة أبيات قالها موسى بن عبدالله الطالبي، وهو موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان قد خرج على المنصور مع أخَوَيه، فضَرَبه المنصور ألفَ سوط فما نطق بحرفٍ واحد، ولا أظهر جزعاً أو ألماً. فقال الربيع وزيرُ المنصور: عَذَرتُ هؤلاء الفُسّاق في صبرهم، فما بال هذا الفتى الذي نشأ في النّعمة والدّعة؟فقال موسى:

إني من القوم الذين يَزيدُهم جَلَداً وصبراً قسوةُ السلطان

ويقال إنّ أمّه ولدته وهي بنت ستين سنة، ولا تُعلَم امرأةٌ وَلَدَت بنت ستين سنة إلاّ قُرَشِيّة.

أما الأبيات التي ورد فيها البيت المسئول عنه فهي :

تولَّت بهجةُ الدنيـــا فكل جديدها خَلَقُ
وخان الناس كُلُّهم فما أدري بمـــن أثق
رأيتُ معالمَ الخيرات سُدَّت دونهـــا الطُرُق
فـــلا حَسَبٌ ولا نسب ولا دينٌ ولا خُلُق
فلستُ مُصَدِّقَ الأقوامِ في شيء ، وإن صدقوا

وله أشعار في هذا المعنى معروفة ، ومنها قولُه :

إذا أنا لم أَقْبَلْ من الدهر كلَّ ما تكرَّهتُ منه طال عتبي على الدهر
إلى اللهِ كُلُّ الأمرِ في الخَلْقِ كُلِّهِم وليس إلى المخلوق شيءٌ من الأمر
تعوَّدتُ مَسَّ الضُرِّ حتى أَلِفتُه وأسلمني طولُ البلاء إلى الصبر
ووسَّع صدري للأذى الأُنسُ بالأَذَى وإن كنتُ أحياناً يَضيق به صدري
وصَيَّرني يأسي من الناس راجياً لِسُرعةِ لطفِ اللهِ من حيثُ لا أدري

● **السؤال** : من القائل وفي أية مناسبة :

تعلم فليس المرء يولَد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

البشير ونيس شلاك
مصراتة – ليبيا

✶

تعلم فليس المرء

هـذا البيت نُسِب في كتاب المستطرف إلى عمر بن الخطاب ، ونسبه المسعودي في كتاب مروج الذهب إلى عمر بن عبد العزيز ، مع بيت آخر :

تَعَلَّم فليس المرء يولَد عالماً ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهل

وإنَّ كبيرَ القوم لا علمَ عنده ... صغير إذا التفَّت عليه المحافل

ذكر المسعودي حكايةً عن ذلك ، فقال :

ذكر جماعة من الأخباريين أن عمرَ بنَ عبد العزيز ، لمّا ولي الخلافة ، وَفَد

عليه من جملة وفود العرب وفدٌ من الحجاز ، فاختار الوفدُ غلاماً منهم ،فقدّموه ليبدأ بالكلام ، فلما ابتدأ الغلامُ بالكلام ، وهو أصغر القوم سنّاً قال عمر : مهلاً يا غلام ، ليتكلّمْ مَن هو أسنُّ منك ، فهو أولى بالكلام . فقال الغلام : مهلاً يا أميرَ المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه قلبِه ولسانه ، فإذا منح الله العبدَ لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استجاد له الحِلْية ، يا أميرَ المؤمنين : لو كان التقدم بالسن ، لكان في هذه الأمة مَن هو أسنُّ منك . فقال عمر : تكلّم يا غلام ! قال : نعم ، يا أميرَ المؤمنين ، نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قَدِمْنا إليك من بلدنا ، نَحْمَد الله الذي مَنَّ بك علينا ، لم تُخرِجنا إليك رَغبةٌ ولا رَهْبة . فقال عمر : عِظنا يا غلام وأوْجِز . قال : نعم ، يا أميرَ المؤمنين : إنّ أناساً غرّهم حلمُ الله عنهم ، وطولُ أملهم ، وحسنُ ثناء الناسِ عنهم ، فلا يَغرّنّكَ حلمُ الله عنك ، وطولُ أملك ، وحسنُ ثناء الناس عليك ، فتَزِلّ قدمُك .

فنظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بضع عَشْرَة سنة ، فأنشأ عمر يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علمَ عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

● **السؤال :** من قائل هذا البيت :

زُيِّنَت زَيْنَبٌ بِقَدٍّ يَقُدُّ وتَلَاه وَيْلَاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ

محسن بن رابح
بنزرت — تونس

✶

الحريري

● **الجواب :** هذا البيت يأتي مع جملة أبيات في المقامة السادسة والأربعين الحلَبية من مقامات الحريري . والكلماتُ في هــذه الأبيات من السهلِ جداً تصحيفُها . وهذه هي :

زُيِّنَتْ زَيْنَبٌ بِقَدٍّ يَقُدُّ وَتَلَاهُ وَيْلَاه نَهْدٌ يَهُـدُّ
جُنْدُها جِيدُها وَظَرْفٌ وَطَرْفٌ ناعِسٌ تاعِسٌ بِحَـدٍّ يَحُدُّ
قَدْرُها قد زَهَا وتاهت وباهت واعْتَدَتْ واعْتَدَت بِخَدٍّ يَخُدُّ
فارَقَتْني فأَرَّقَتْني وَشَطَّتْ وَسَطَت ثُمَّ نَمَّ وَجْـدٌ وجِدُّ
فَدَنَتُ فدَّيتْ وَحنَّتْ وَحَيَّتْ مُغْضَباً مُغْضِبــاً يَوَدُّ يُوَدُّ

ولتفسير هذه الأبيات يُرْجَعُ إلى شرح الشريشي أو غيره من الشروح .

● **السؤال** : من القائل :

إذا أنتَ لم تُنْصِفِ أخاكَ وجدتَه   على طرَفِ الهِجران إن كان يَعْقِلُ

محمد الساسي خَنْشول
قابس – تونس

★

معن بن أوس

● **الجواب** : هـــذا البيت من قصيدةٍ للشاعر مَعْنِ بنِ أوْس من المُخَضْرَمين وهو من قبيلة مُزَيْنَة ، وكان معاويةُ بنُ أبي سفيان يُفَضّل مزينة في الشعر ويقول : كان أشعر أهــل الجاهلية منهم (يَعني زهيرَ بنَ أبي سلمى) ، وكان أشعرُ أهـــل الإسلام منهم وهو كعبُ بنُ زهير ومعنُ بنُ أوسٍ هذا .

ومَطْلَع هذه القصيدة ، وهي مشهورة :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأَوْجَلُ   على أيِّنا تَغدُو المنيةُ أوّلُ

وسببُ نظمِ هذه القصيدة أنّه كان لمعن صديقٌ قد تزوّج معنٌ بأخته، ثم طلّقها معنٌ بعد ذلك، فآلى صديقُه أن لا يكلّمَه أبداً، فشقّ ذلك على معن، فنظَمَ القصيدة يستعطفه. وهي من القصائد الجميلة، وفيها يقول:

وإني أخوك الدائمُ العهدِ لم أَخُنْ ... إنِ ابزاكَ خصمٌ أو نبا بكَ منزِلُ
وإني على أشياءَ منكَ تَريبُني ... قديماً لذو صفحٍ على ذاك مُجمِلُ
ستقطعُ في الدنيا، إذا ما قطعْتني، ... يمينَك فانظُر أيَّ كفٍّ تبدَّلُ
وفي الناس إن رثّت حبالُك واصلٌ ... وفي الأرضِ عن دار القِلَى مُتحوَّلُ
إذا أنتَ لم تُنصِف أخاك وجدْتَه ... على طرَفِ الهجران إن كان يَعقِلُ

ويقول في آخر القصيدة:

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنَّتي ... وبدَّل سُوءاً بالذي كنتُ أفعَلُ
قلَبتُ له ظهرَ المِجَنِّ فلم أدُمْ ... على ذاك إلاّ ريثما أتحوَّلُ
إذا انصرَفت نفسي عن الشيء لم تَكَد ... إليه بوجهٍ آخِرَ الدهرِ تُقبِلُ

وله قصيدة أخرى في هذا المعنى تقريباً، مطلَعُها:

وذي رَحِمٍ قلَّمْتُ أظفارَ ضِغْنِه ... بحلميَ عنه، وهو ليس له حِلْمُ

ويقول فيها

ويَسْعَى، إذا أبني، ليَهْدِمَ صالحي ... وليس الذي يَبْني كمن شأنُه الهدمُ
فما زلتُ في لِيني له وتعطّفي ... عليه كما تحنو على الولدِ الأمُّ

وَصَبْرِي على أشياءَ منه تُرِيبُني ... وكَظْمِي على غيظي وقد يَنفع الكظم
لِأَسْتَلَّ منه الضِغْنَ حتى اسْتَلَلْتُه ... وقد كان ذا ضِغْنٍ يَضيق به الجِرْمُ
وأطفأتُ نارَ الحرب بيني وبينه ... فأصبح بعد الحربِ وهو لنا سَلْمُ

ومن أشعاره أيضاً قولُه :

وَرِثنــا المجدَ عن آباء صِدقٍ ... أسانا في ديارهم الصَّنيعـــا
إذا الحَسَبُ الرفيعُ تواكلته ... بُناةُ السوء أوشكَ أن يَضيعا

ولي في آخر الكلام ملاحظة نحوية على بيت معن بن أوس :

لَعَمْرُك ما أدري وإني لَأَوْجَلُ ... على أيِّنا تَغْدو المنيةُ أوَّلُ

والملاحظةُ تتعلق بقوله : تعدو المنيةُ أوّلُ (بضم اللام) بدلاً من قوله : تعدو المنية أولاً ، كما يتبادر إلى ذهن البعض . وبُنيت كلمة (أولُ) على الضم هنا لأن الاضافةَ مقصودة ؛ وتقدير الكلام : تعدو المنيةُ أولَ ما تعدو ، أو : أوّلَ عُدوانٍ لها . وإذ أُضيفت أُعربت بالنصب أو الجر كقولهم : جاءَ أوّلَ الناسِ ؛ وهو من أوّلِ الناس . و (أوّل) إذا لم تكن مضافـــةً ظاهراً أو تقديراً ، وكانت صفةً لا تُصْرَف بل تبقى ممنوعةً من الصرف لأنهـا على وزن أفعل . فيقال مثلاً : ما رأيتُه منذ أولَ من أمس . ولم يُسْمَع صَرْفُها ألاّ في قولهم : ما تَرَكْتُ له أولاً ولا آخراً ، أي ما تركتُ له قديماً ولا حديثاً .

ونظير (أولُ) في المبنيات على الضمّ أنك تقول : نزل من فوقُ ، وأتاه من قُدّامُ ، واستردفه من وراءُ ، وأخَذَه من تحتُ . فتُبْنى هذه الظروفُ على الضم لاقتطاعها عن الإضافة ، ومن ذلك قول الشاعر :

أَلبانُ إبْلِ تَعِلَّةَ بنِ مُساورٍ   ما دام يَمِلكُهـا عليَّ حرامُ
لَعَنَ الإلـٰهُ تعِلَّةَ بنَ مَساورٍ   لَعناً يُصَبُّ عليه من قُدّامُ

أي : من قُدّامه ، فلمّا حذفَ الضمير واقتطعه عن الإضافة بناه على الضم .

ومعن بن أوس هو القائل :

أُعَلِّمُه الرِمايةَ كُلَّ يومٍ   فلمّا اشتد ساعدُه رماني

وهذا البيت مأخوذ من قصيدة له أولها :

فلا وأبي حنيفةَ ما نَفاه   عن أرضِ بني رَبيعةَ مِن هَوان
وكان هو الغنيُّ إلى غِناه   وكان من العشيرةِ في مكانَ
(تَكَنَّفه الوشاةُ فأزعجوهُ   ورسوا من قضاعة غير وانِ)
فلولا أنَّ أمَّ أبيه أُمّي   ومن ينحو هِجاه فقد هَجاني
إذن لأَصابه مني هجاءٌ   يَمُرُّ به الرَّوِيُّ على لساني
أَعلّمُه الرِّمايةَ كُلَّ يومٍ   فلمّا اشتدَّ ساعده رماني
وكم علّمتُه نظم القوافي   فلمّا قال قافيةً هجاني

ويقول ابن دريد إنّ البيتَ هو لمالِكِ بنِ فَهْمٍ الأزدي في ابنه وكان رماه بسهم فقتله . وأنشد المَيْداني هذا البيت هكذا :

فيا عَجَباً لمن ربيتُ طفلاً   أُلَقّمه بأطرافِ البَنَانِ
أُعلّمُه الرِّمايةَ كلَّ وقتٍ   فلمّا اشتد ساعدُه رماني

أَعلِّمُه الروايةَ كلَّ يومٍ فلما قال قافيةً هجاني

أَعلِّمه الفتوةَ كلَّ يومٍ فلما طَرَّ شاربُه جَفاني

ومثلُه قول أبي بكر الخوارزمي لتلميذٍ له عقَّه :

هذا أبو زيد صَقَلْتُ حُسامَه فعدا بـه صَلْتاً عليَّ وأقدما

أمسى يُجَهِّلُني بما عَلَّمتُه ويَريشُ مِن ريشي ليرميَ أسهما

يا مُنبِضاً قوساً بكفِّيَ أُحكِمت ومُسَدِّداً رُمحاً بناريَ قُوِّما

أرَقيتَ بي في سُلَّمٍ حتى إذا نِلتَ الذي تَبْغِي كسرتَ السُّلَّما؟

● السؤال : مَن هو نَفْطَويه ؟

محمد رانف بَزّي
عدن

★

نفطويه

● الجواب : نَفْطَوَيْهْ ، واسمه ابراهيمُ بنُ محمد وكنيته أبو عبدالله وأحدُ أجداده المهلَّبُ بنُ أبي صُفْرة الأزدي ، فهو عربيُّ الأصل ، ولو أنّ اسمَه يُشْبه اسمَ سيبويه الأعجميّ الأصل .

وُلِد نفطويه في واسط ، سنة ٢٤٤ هجرية وسكن بغداد ، ويقول ابنُ خالَوَيْه : ليس في العلماء مَن اسمُه ابراهيم وكُنْيَتُه أبو عبدالله سوى نفطويه. وقال فيه أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي :

من سَرَّه أن لا يَرَى فاسقاً فليجتهد أنْ لا يَرَى نِفْطَوَيْه
أحرَقَه اللهُ بنصفِ اسمه وصَيَّر الباقي صُراخاً عليه

ونصف اسمه هو نَفْط، والباقي من اسمه وَيْه. ويقال إنه سُمّي بهذا الاسم «نفطويه» لدمامته وأدْمته أي سُمْرته تشبيهاً له بالنفط، وجُعل اللقبُ على غرارِ اسم سيبويه لأنه كان سيبويهياً في النحو تابعاً له ويُدرّس كتابَه . وسيبويه اسمٌ

فارسي مركب معناه في العربية رائحة التفاح . واشتهر من الأسماء على هـــذا الوزن : نفطويه ، وعَمْرَويه ، وخالَوَيْه ، وشمْسَويه .

وأذكر بهذه المناسبة حكايةً وَرَدت في كتاب المستطرف،وهي أنّ نحْويّاً جاء يَعُود مريضاً ، فطَرَق بابَه فخرج إليه وَلَدُه ، فقال له : كيف أبوك ؟ فقال : يا عم ، وَرِمت رجليه . فقال النحوي : لا تلْحَن ، وقل : وَرِمت رِجْلاه . فقال النحوي : ثم ماذا : فقال الولد : ثم وَصَل الورم إلى ركبتاه . فقال النحوي : لا تلْحَن ، وقل : إلى ركبتيه . فقال النحوي : ثم مـاذا ؟ فقال الولد : ماتَ ، ولعنةُ الله عليك وعلى سيبويه ونفطويه وجحشويه .



● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

هنـاك أناسٌ يَضرِبون نساءهم فَشُلَّت يميني حين تُضرَب زينب

أأضرِبها من غيرِ ذنبٍ أتت به فما العدلُ مني ضربُ مَن ليس يُذنب

فزينبُ شمسٌ والنساء كواكب إذا بَرَزت كُلٌّ تَغيب وتَذهب

يوسف الجهمي
بنغازي – ليبيا

*

شُرَيح القاضي

● **الجواب :** هذه الأبيات ، كما رواها السائل الكريم ،مرفوعة الرَّوِيّ ، والتي أعرِفها منصوبة ، وهي كما يلي :

رأيتُ رجـالاً يَضربون نساءهم فَشُلَّت يميني يومَ أضرب زَيْنَبا

أأضرِبها من غيرِ ذنبٍ أَتَتْ به فما العدلُ مني ضربُ مَن ليس مُذنبا

فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكب إذا طلعت لم تُبقِ منهن كوكبا

والبيت الثالث مأخوذٌ من قول النابغة :

فإنك شمسٌ والملوك كواكب إذا طَلَعت لم يَبْدُ منهن كوكب

أما الأبيات هذه فهي لِشُرَيْحٍ القاضي ويُكنَى بأبي أُميّة . والحكايةُ مذكورةٌ في كتاب العقد الفريد . ويقول ابن خلكان إن شُرَيحاً ضَرَب زوجتَه زَيْنَب ثم نَدِم على ذلك ، فقال هذه الأبيات . ولكنّ صاحبَ العِقد الفريد يقول إن شُرَيحاً قال الأبيات يُعَرّض بجارٍ له كان يَضرب امرأته .

والحكايةُ المرويةُ على لسان شُرَيح يُحَدّث بها الشعْبيّ هي كما يلي : قال شُرَيح : يا شعبيُّ عليكَ بنساءِ بني تميم ، فإني رأيتُ لهنّ عقولاً . قال الشعبي : وما رأيتَ من عقولهن ؟ قال : أقبلتُ مِن جَنازةٍ ظُهراً ، فَمَرَرْتُ بإحدى دورهم ، فإذا أنا بعجوزٍ على بابِ الدار ، وإلى جانبها جاريةٌ (أي فتاة) كأحسن ما رأيتُ من الجواري . فعَدَلْتُ واستقيت وما بي عطش . فقالت العجوز : أيُّ الشراب أحبُّ إليك ؟ قلتُ : ما تَيَسّر . قالت : وَيْحَكِ يا جارية ، إئتيهِ بلبنٍ ، فإني أظُنّ الرجلَ عربياً . قلتُ : مَن هذه الجارية ؟ قالت العجوز : هذه زينبُ ابنةُ جريرٍ إحدى نساء بني حَنظلة. قلتُ : فارغةٌ هي أم مشغولة ؟ (ويقصِد هنا هل هي غير مخطوبة أم مخطوبة) قالت : بل فارغة . فقلتُ : زَوّجينيها . قالت: إن كنتَ لها كُفُؤاً، ولم تقل كُفُواً، وهي لغة تميم فَمَضَيْتُ إلى المنزلِ (لأقيلَ ، فامتنعتْ مني القائلة) فلمّا صلّيتُ الظهرَ أخَذْتُ بأيدي إخواني من القراء الأشراف ، ومضيتُ أريد عَمّها . فاستقبلني وقال : يا أبا أمية ، ما حاجتُك ؟ قلت: زينبُ بنتُ أخيكَ. قال: ما بها رغبةٌ عنك فزَوّجَنِيها. فلما صارت في عِصْمَتي ندِمتُ وقلتُ: أيُّ شيءٍ صنعتُ بنساءِ بني تميم؟ وذكرتُ غِلَظَ قلوبهن. فقلتُ: أُطَلّقُها،

ثم قلتُ : لا ، أضمُّها إليَّ ، فإن رأيتُ ما أحِبّ ، وإلاّ كان ذلك .

فلو رأيتَني يا شعبي وقد أدخلت عليّ ! فقلتُ : إنّ من السنّة ، إذا دَخلَتِ المرأةُ على زوجها ، أنْ يقومَ فيُصَلّيَ ركعتين فيسألَ اللهَ مِن خيرِها ، ويعوذَ به شرّها . فقمتُ فصلّيتُ وسلّمتُ فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي ، فلما قضَيتُ صلاتي وخلا البيتُ أقبلت عليها أريد أن أحادثها فقالت : على رِسلِكَ يا أبا أمية ، كما أنت ! ثم قالت : الحمدُ لله أحمَده وأستعينُه وأصَلّي على محمدٍ وآله . إني امرأةٌ غريبةٌ لا عِلْمَ لي بأخلاقِكَ ، فبيِّن لي ما تحِبُّ فآتِيَه ، وما تَكرَهُ فأزدَجِرَ عنه . وقالت : إصنَعْ ما أمركَ اللهُ به : إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان . أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولك.قال شريح : لقد أحوجتني والله يا شعبي إلى الخُطْبة في ذلك الموضع .فقلتُ:الحمدُ لله ،أحمَده وأستعينُه وأصلي على النبي وآله وأسَلّم ، وبعد فإنّكِ قد قُلتِ كلاماً إنْ تَثْبُتي عليه يَكُنْ ذلك حظّكِ وإن تَدَعيه يَكُنْ حجّةً عليكِ ، أحِب كذا وأكره كذا .. وما رأيتِ من حسنةٍ فانشُريها وما رأيتِ من سيئةٍ فاستُريها ...

ومَكَثَت معي حولاً لا أرى إلاّ ما أحِب ، فلما كان رأسُ الحوْل جئتُ من مجلسِ القضاء ، فإذا بعجوزٍ تأمُر وتنهي في الدار ، فقلتُ : من هذه ؟ قالوا : فلانةُ خَتَنَتُكَ (أي أم الزوجة) . فلمّا جلَستُ أقبلت العجوز فقالت : السلامُ عليك يا أبا أمية . قلت : وعليكِ السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة ختنتك كيف رأيتَ زوجتَكَ ؟ قلتُ : خير زوجة . فقالت : يا أبا أمية إن المرأةَ لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين : إذا وَلدت غلاماً أو حَظِيت عند زوجها. فإن رابك رَيْبٌ فعليكَ بالسوْط، فوالله ما حازت الرجالُ في بيوتها شرّاً من المرأة المُدَلّلة.قلت : أمَا واللهِ لقد أدّبتِ فأحسنتِ الأدب ، ورُضتِ فأحسنتِ الرياضة .

فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيءٍ إلاّ مرةً واحدةً وكنتُ

لها ظالماً . أخذَ المؤذنُ في إقامة الصلاة وكنتُ إمام الحيّ ، فإذا بعقربٍ تدبُّ فأخذتُ الإناءَ فأكفأته عليها ، ثم قلتُ : يا زينب ، لا تتحركي حتى آتي . فلو شهدتني يا شعبي وقد صليتُ ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها في أصبعها . فأخذت أصبعَها وعالجته ، وقرأت عليه بالحمد والمعوّذتين ، وكان لي جارٌ من كِندة يُفزّع امرأته ويضربها فقلت في ذلك :

رأيتُ رجالاً .. إلى آخره ..



● **السؤال:** من قائل هذه الأبيات وفي أية مناسبة :

قَيْدِي أَمَـــا تَعْلَمُنِي مُسْلِما	أَبيتَ أن تَشْفَقَ أو تَرْحَما
دَمي شَرابٌ لك واللحمُ قد	أكلتَه لا تَهْشِمِ الأَعظُما
يُبْصِرُني فيـــكَ أبو هاشمٍ	فينثني القلبُ وقـد هُشِّما

الفيرامي محمد بن الجيلاني
مراكش – المملكة المغربية

★

المعتمد بن عَبّاد

● **الجواب:** هذه الأبيات الثلاثة هي من أبياتٍ قالها المعتمد بن عباد آخرُ ملوك أشبيلية ، وكان قد دَخـــل عليه ابنُه أبو هاشم فرآه في أشدّ حالات الأسْرِ ، فقد كان المعتمد ، لمّا نُفِيَ إلى أغمات في المغرب ، قُيّد بالسلاسل، وعاش بقية عمره على هذه الحالة . فلمّا رأى المعتمدُ ابنَه داخلاً عليه ، وكان هو في تلك المصيبة ، بكى وقال :

قَيدِي أَمَا تَعْلَمُنِي مُسْلِما أبيتَ أنْ تَشْفَقَ أو تَرْحَما

دَمي شَرابٌ لكَ واللحمُ قد أكَلْتَه لا تَهشِمِ الأَعظُما

يُبْصِرني فيكَ أبو هاشمٍ فَيَنْثَني والقلبُ قد هُشِّما

إرْحم طُفَيْلاً طائشاً لُبُّه لم يَخْشَ أنْ يأتيكَ مُسترحِما

وارْحمْ أُخَيَّاتٍ له مِثلَه جَرَّعْتَهُنَّ السُّمَّ والعَلقما

مِنْهُنَّ مَن يَفْهَمُ شيئاً فقد خِفنا عليه للبكاء العَمَى

والغَيْرُ لا يَفْهَمُ شيئاً فما يَفتَحُ إلا لِرَضاع فَما

وقد ذكرنا هذه الأبيات في الجزء الأول من «قول على قول» عرَضاً في مناسبة أخرى غير هذه . وشبيهٌ بذلك أنَّ بناته دَخلْنَ عليه وهو في السجن وكان اليومُ يومَ عيد ، فرآهُنَّ في ثيابٍ باليةٍ وفي أسوأ حال ، فقال :

فيما مَضَى كنتَ بالأَعيادِ مَسرورا فجاءَك العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتِك في الأَطمارِ جائعةً يَغزِلْنَ للناس لا يَمْلِكن قِطْميرا

بَرَزْنَ نحوكَ للتسليمِ خاشِعةً أبصارُهن حَسيراتٍ مَكاسيرا

يَطَأْنَ في الطين والأَقدامُ حافيةٌ كأنَّها لم تَطَأْ مِسكاً وكافورا

قد كان دَهرُك ،إن تأمُرْه ،مُمْتَثِلاً فَرَدَّك الدهرُ منهيًّا ومأمورا

مَن باتَ بعدَكَ في مُلكٍ يُسَرُّ به فإنما بات بالأحلامِ مغرورا

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

نُطيعُ ملوكَ الأرض ما أقسطوا لنا
وليس علينا قتلُهم بمحرَّم

محسن احمد
أديس أبابا – اثيوبيا

★

قتل مصعب بن الزبير

● **الجواب :** لهذا البيت حكايةٌ مذكورةٌ في كتب التاريخ العربي ، ولها عَلاقةٌ وُثقى بمقتلِ مُصعَبِ بنِ الزُبَير .

فإنه لمّا بُويع عبدُ الملك بنُ مروان ، وكان مصعبُ بن الزبير قد خرَج على الأمويين ، فأراد عبدُ الملك تجريدَ جيشٍ لمحاربةِ مصعب ، فاستنفر أهل الشام لذلك ، ولكنهم تباطأوا وتقاعدوا ، فسلّط عليهم الحجاج ، حتى خرَجوا . وخرَج مصعبٌ بأهلِ البصرةِ والكوفة ، والتقى الجيشان بين الشام والعراق . وكان عبدُ الملك قد كتب كتباً إلى عددٍ من رجال أهل العراق

يدعوهم فيها إلى خذلِ مصعب ، ويطمعهم بالأموال ، وكان من جملة هؤلاء ابراهيمُ بنُ الأشتر ، فجاء إلى مصعب وقال له إنّ عبدَ الملك قد كتب إليّ هذا الكتاب وكتب إلى أصحابي بمثلِ ذلك ، فادعهم الساعةَ واضرب أعناقهم ، فقال مصعب : ما كنتُ لأفعلَ ذلك حتى يَستبينَ لي أمرُهم ، فأشار عليه ابراهيمُ بنُ الأشتر أن يَحبسهم حتى يستبينَ له أمرُهم . فرفض مصعبٌ ذلك ، فقال ابن الأشتر : والله لا تراني بعدُ في مجلسك هذا أبداً .

ثم التقى الجيشان ، فتحول الجنودُ إلى جيشِ عبد الملك وخذلوا مصعباً ، ولم يبقَ معه إلاّ شرذمةٌ قليلة . وقتل بالسيف ، قتله غلامٌ لعُبَيْدالله بن ظبيان ، وحمل رأسه عبيدُ الله هذا إلى عبدِ الملك وجاءه وهو يقول :

نُطيع ملوكَ الأرض ما أقسطوا لنا   وليس علينا قتلُهم بمحرّم

فلما نظر عبدُ الملك إلى رأسِ مصعَب خرّ ساجداً . فقال عبيد الله بن ظبيان : ما ندمتُ على شيءٍ قط ندمي على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيتُه برأسِ مصعب فخرّ ساجداً ، أنْ لا أكونَ ضربتُ عنقه ، فأكونُ قد قتلتُ ملكي العرب في يوم واحد ، وقال :

هممتُ ولم أفعل وكدتُ وليتني
فعلتُ فأدمنتُ البكا لأقاربه

فأوردتُها في النار بكرَ بنَ وائلٍ
وألحقتُ من قد خرّ شكراً بصاحبه

● **السؤال :** من القائل وفي أية مناسبة :

لمّا اعتقدتم أناساً لا حلومَ لهم ضِعتُم وضيَّعتمُ مَن كان يَعتقد

احمد بن بلال
مقطع الحجارة – موريتانيا

*

المهلبي

● **الجواب :** هذا البيت من قصيدة للمُهَلَّبي رثى بها الخليفـة العباسي المتوكل على الله . ومطلع القصيدة :

لا حُزنَ إلا أراه دون ما أَجِد وهل كَمن فَقَدتْ عيناي مُفْتَقَدُ

والقصيدة تزيد على العشرين بيتاً . ومنها :

لما اعتقدتم أناساً لا حُلومَ لهـــم ضِعتُم وضيَّعتُم مَن كان يعتقد

فلو جَعَلتم على الأحرار نِعْمَتَكم حَمَتكمُ السادةُ المركوزةُ الحُشُد

قومٌ همُ الجذمُ والأنسابُ تجمعكم والمجدُ والدينُ والأرحامُ والبلد

والمُهَلَّبي هو يزيدُ بن محمد الشاعر، وكان متصلاً بالمتوكل، ومدحه بقصائدَ عديدة . وفي القصيدةِ يصف المهلبي مقتلَ المتوكل فيقول :

فَخَرَّ فوقَ سريرِ الملكِ مُنْجَدِلاً   لم يَحْمِهِ مُلكُه لمّا انقضَى الأَمَدُ

قد كان أنصارُه يحمون حَوزتَه   وللرَّدَى دون أرصادِ الفتى رَصَد

وأصبح الناسُ فوضى يَعْجَبون له   لَيْثاً صريعاً تَنَزَّى حولَه النَّقَد

عَلَتكَ أسيافُ مَن لا دونَه أَحدٌ   وليس فوقك إلا الواحِدُ الصَّمَد

ضجَّت نساؤك بعد العِزِّ حين رأت   خدًّا كريماً عليه قارِتٌ جَسِدُ

جاءوا لدنيا عظيمٍ يَسْعَدون بها   فقد شَقُوا بالذي جاءوا وما سَعِدوا

وكان المماليكُ الأتراكُ في ذلك الوقت قد اشتدت سطوتُهم في بغداد، وتحكموا بأمور الدولة، وصار بيدهم الحلُّ والعَقد، وبلغ من أمرهم هذا أنهم تآمروا على قتلِ الخليفة المتوكل. وكان بين المتوكل وابنه المنتصر مجافاة، فاتّفق مع باغَر رئيسِ المماليك على قتل أبيه، فدَخلوا عليه، وكان عنده الوزير الفتحُ بنُ خاقان، فضربوه بالسيوف، ورمى الفتحُ نفسَه على الخليفة ليَحْميَه، فقَتلَهما باغَر جميعاً. ووَصَف حادثةَ الاغتيال هذه المسعودي في مروجِ الذهب نقلاً عن الشاعر البحتري الذي قال :

فبينا نحن كذلك (أي في مجلس الأنس) إذ أقبل باغَر ومعه عَشَرةُ نَفَرٍ من الأتراك، وهم متلثمون والسيوفُ في أيديهم، فهجموا علينا، وأقبلوا نحوَ المتوكل، حتى صَعِد باغَر وآخرُ معه مِن الأتراك على السرير، فصاح بهم الفتحُ : ويْلَكم ! هذا مولاكم ! فلما رآهم الغِلمانُ ومَن كان حاضراً من الجُلَساء والنُّدَماء تطايروا على وجوهِهم، فلم يَبْقَ أحدٌ في المجلس غيرُ الفتح، وهو يحاربهم ويمانِعُهم . فسَمِعتُ صيحةَ المتوكل وقد ضَرَبه باغَر بالسيف

الذي كان المتوكلُ دَفعه إليه ، فقدَّه إلى خاصرتِه اليمنى ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ففعل مثلَ ذلك ، وأقبل الفتحُ يمانِعُهم ، فبعجه واحدٌ منهم بالسيف الذي كان معه في بطنه فأخرجه من ظهره ، وهو صابرٌ لا يتنحَّى ولا يزُول ، ثم طرَحَ نفسَه على المتوكل فماتا جميعاً . فلُفَّا في البِساط الذي قُتلا فيه وطُرحا ناحيةً ، فلم يزالا على حالتِهما طولَ الليل وعامّةَ النهار حتى استقرت الخلافةُ للمنتصر ، فأمرَ بهما فدُفنا. ويقول البحتري في غدر المنتصر بأبيه من قصيدة :

أكان وليُّ العهد أضمَر غدْرَه ... فمِن عَجَبٍ أن وُلِّيَ العهدَ غادِرُه

فلا وُلِّيَ الباقي تُراثَ الذي مَضى ... ولا حَمَلَت ذاك الدعاءَ منابرُه

ورثاه عليُّ بنُ الجهم فقال :

عبيدُ أميرِ المؤمنين قتلنَه ... وأعظمُ آفاتِ الملوكِ عبيدُها

بني هاشمٍ، صبراً فكلُّ مصيبةٍ ... سيبلى على وجه الزمان جديدُها

وفيه يقول الحُسَين بن الضحّاك :

إنَّ الليالِيَ لم تُحسِن إلى أحدٍ ... إلاَّ أساءت إليه بعد إحسانِ

أمَا رأيتَ خُطوبَ الدهر ما فعَلَت ... بالهاشميِّ وبالفتح بنِ خاقانِ

● **السؤال :** من أول من اخترع البوصلة ؟

محمد الغالي زمامة
مكناس – المغرب

★

البوصلة (Boussole)

● **الجواب :** البوصله كلمة فرنسية تعني الآلة التي يستعان بها على معرفـــة الموقـع بالنسبة إلى الشمال المغناطيسي . وتتألف هذه الآلة من إبرة مغناطيسية تدور على محور لها، وتستعمل غالباً لتوجيه السفن في البحار. ويوجد لها مينا أو صفيحة عليها تقاسيم للجهات المختلفة .

وسماها العرب الحُك ، وبعضهم يسميها القنباص ، وهي قريبة من كلمة Compass في الانكليزية .

والمعروف أن البوصلة كانت مستعملة في الشرق الأقصى في نهاية القرن الثالث بعد الميلاد ، ويظهر أن أول من استعملها الصينيون ، ولكنهم لم يُحَسِّنوا فيها ولم يُتقنوها. وكان يُظَن أنّ الذي أدخل استعمالها إلى أوروبا الرحالة المشهور (ماركو بولو) عند عودته من الصين ، ولكنّ بعض الباحثين أثبت أن مبدأ البوصلة توصل إلى معرفته الأوروبيون في القرن الثاني عشر منفردين .

وكانت السفن في القرن الثالث عشر في أوروبا تحمل آلة البوصلة وتستعين بها في الأسفار البحرية .

ويقال إن الصينيين كانوا يستعملون آلة البوصلة في البر أيضاً. فكانوا يضعون على العربات التي تجر باليد تمثالاً بشرياً، ماداً يده اليمنى ومشيراً بأصبعه السبابة. فكان التمثال يتحرك ويشير دائماً إلى الشمال .

ولا شكّ أن العرب كانوا يعرفون البوصلة ، أو أنهم كانوا يعرفونها قبل الأوروبيين ، وكانوا من المهارة في الأسفار البحرية على جانب عظيم . حتى إن كولمبوس مكتشف أمريكا استعان بالبحارين العرب في رحلاته الاستكشافية ، كما استعان بهم أيضاً هنري الملاح .

والكلمة Boussole مأخوذة في الأصل من الايطالية بمعنى العلبة الصغيرة؛ ويخيل إلى أن Bousso لها علاقة بمعنى البحري أو البحار والعرب يقولون عن البحّار «البوصي». ولا بُدّ من بحثٍ لهذه الكلمة .



● **السؤال** : من القائل وما المعنى :

الصمت زين والسكوتُ سلامةٌ ... فإذا نطقتَ فلا تكن مِكثارا
ما إن نَدِمتُ على سكوتي مرةً ... ولقد ندِمتُ من الكلام مِرارا

علي بن سليمان الطالع
تنغانيكا

*

الصمت وحفظ اللسان

● **الجواب** : هذان البيتان للشبْراوي ، أما المعنى فواضحٌ جداً ، و يفهم مما يأتي من الأشعار .

وتكلَّم العرب في ذلك كثيراً ، ومنه قول أبي نواس :

خَلِّ جَنبيكَ لرام ... وامضِ عني بسلام
مُت بداء الصمتِ خيرٌ ... لك مِن داء الكلام
رُبَّ لفظٍ ساق آجالَ ... فِئام وفِئام
إنما السالِمُ من ألجم ... فاه بلجامِ

ولعلي رضي الله عنه بيتان من هذا القبيل وهما ينسبان أيضاً إلى ابن السّكّيت :

يموت الفتى مِن عَثرةٍ في لسانه وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرجل
فعثرتُه من فِيه ترْمِي برأسِه وعَثرتُه بالرِّجل تَبْرا على مَهْلِ

ويقول علي بن أبي طالب أيضاً :

إن القليلَ من الكلامِ بأهلِه حَسَنٌ ، وإنَّ كثيرَه مَمْقوتُ
ما زَلَّ ذو صَمْتٍ،وما مِن مُكثِرٍ إلاَّ يَزِلُّ وما يُعابُ صَمُوت
إن كان يَنطِقُ ناطِقٌ مِن فضلِه فالصمتُ دُرٌّ زاده ياقوتُ

وفي إحدى أراجيز الشيخ السابوري :

الصَّمتُ للمرءِ حليفُ السِلْمِ وشاهِدٌ له بفضلِ الُحكْمِ
وحارِسٌ مِن زَلَلِ اللسانِ في القولِ إن عَيَّ عن البيانِ
فَعُذْ بـه مُعتَصِماً من الخطا أو سَقَطٍ يَفرُط في ما فَرَطا
إنَّ السكوتَ يُعقِب السلامَهْ فرُبَّ قولٍ يورِث الندامَهْ
لا شيءَ مِن جوارح الإنسانِ أحقُّ بالحبسِ من اللِسان
إنَّ اللسانَ سَبُعٌ عَقُورُ إنْ لم يَسُسْهُ الرأيُ والتدبيرُ

ويقول أحدُ الشعراء ولا أذكر اسمَه :

إِحفَظ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ لا يَلْسَعَنَّكَ إنَّه ثُعْبَان
كم في المقابرِ من قتيلِ لسانِه كانت تَهابُ لِقاءه الشُجْعَانُ

ويقول آخرُ :

الصمتُ يُكْسِبُ أهلَه صِدقَ المودّةِ والمَحَبَّهْ
والقولُ يَستدعي لصاحبه المَذَمَّةَ والمَسَبَّهْ
فارْغَبْ عن القولِ فلا يَهْتاجَ منك إليه رَغْبَه

ويقول النَّضْرُ بنُ شُمَيْل :

وإذا بُلِيتُ بجاهلٍ مُتَحَكِّمٍ يَجِدُ المُحَالَ من الأمورِ صَوَابا
أوْلَيْتُه مني السكوتَ ورُبَّما كان السكوتُ عن الجوابِ جوابا

ومن النصائح المنسوبة إلى علي رضي الله عنه قولُه :

لا تَبْدَأنَّ بمَنْطقٍ في مجلسٍ قبل السؤالِ فإن ذلك يَشْنُعُ
فالصمتُ يُحْسِن كُلَّ ظَنٍّ بالفتى ولعلَّه خرِقٌ سَفيهٌ أرْقَعُ
ودَعِ المُزاحَ فَرُبَّ لفظةِ مازحٍ جَلَبَت إليكَ بَلابِلاً لا تُدْفَع

ومن شعر صالح بن عبدِ القُدُّوس قولُه :

وزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنَّما يُبْدِي عُقولَ ذوي العقولِ المَنْطِق

وهذا شبيهٌ بقولِ زيادِ الأعجم أو زهير بن أبي سُلمى :

وَكائِنْ تَرَى مِن صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ
زيادُتــه أو نقصُه في التكلُّمِ

ويقول الفضلُ بن الحُبَاب :

قالوا نراك تُطِيلُ الصمتَ قلتُ لهم
ما طُولُ صَمْتِيَ مِن عِيٍّ ومِن خَرَس
لكنَّه أحمــدُ الأمرين عاقبــةً
عندي وأبعـــدُه من منطِقٍ شكِس
أأنْشُرُ البَزَّ فيمن ليس يَعرِفُــه
أو أنْثُر الدُرَّ للعُميانِ في غَلَسِ

ويقول أحدُ الشعراء :

واحفَظ لسانَك واحترِزْ من لفظِه فالمرءُ يَسْلَمُ باللسانِ ويَعْطَبُ
وزِنِ الكلامَ إذا نَطَقتَ ولا تَكُنْ ثرثارةً في كلِّ وادٍ تَخْطُب

ويقول طَرَفه :

وإنَّ لسانَ المرء، ما لم تكُنْ له حَصَاةٌ، على عوراتِه لدليـــلُ

وقال أبو بكر بن سَعْدون :

سِجْنُ اللِّسانِ هو السَّلَامةُ للفتى ... مِن كل نازلةٍ لهـا استئصالُ
إنَّ اللسانَ إذا حلَلْتَ عِقـالَه ... ألقاكَ في شنعاءَ ليس تُقال

وقال أبو عثمان التُّجِيبي :

نَزِّه لسانَك عن قولٍ تُعابُ به ... وارْغبْ بِسَمْعِكَ عن قيلٍ وعن قالِ
لا تَبْغِ غيرَ الذي يَعْنِيكَ واطّرحِ الفُضولَ تحيَ قريرَ العينِ والبالِ

● **السؤال** : من القائل ، وما المناسبة ، وما المعنى :

نجومُ سماءٍ كُلّما غـــاب كوكب بدا كوكبٌ تأوي إليه كَواكِبُه

أضاءَت لهم أحسابُهم فوجوهُهم دُجى الليل حتى نَظَّم الجزعَ ثاقِبُه

مسعود ابو قرين
طرابلس الغرب – ليبيا

★

أبو الطَّمَحان القَيْني

● **الجواب** : هذان البيتان للشاعر أبي الطَّمَحان القَيْني .

أما البيت الثاني فهو معروف أكثر من البيت الأول .

والبيتـــان من جملة أبياتٍ مدح بها أبو الطَّمَحان القيني، أحدُ الشعراء المخضرمين ، بُجَيْرَ بنَ أوْس ، وهي :

إذا قيل أيُّ الناسِ خيرُ قبيلةٍ وأصْبَرُ يوماً لا تَوارَى كَواكبُه
خيرٌ قبيلةً

فإنّ بني لَأْم بن عَمْرو أرومـةٌ سَمَت فوق صعْب لا تُنالُ مَراقِبُه

نجومُ سماءٍ كلما غابَ كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دجى الليل حتى نظّم الجزْعَ ثاقِبُه

لهم مَجْلِسٌ لا يَحصَرون عن النّدَى ... إذا مَطْلَبُ المعروف أجدب راكبُهْ

والمعنى في البيت الأول الذي سأل عنه السائل الكريم موجودٌ في بيتٍ آخر للطِّمَحان القيني :

وإني من القوم الذين هُمُ هُمُ ... إذا مات منهم سَيِّدٌ قام صاحِبُه

ومعنى : أضاءت لهم أحسابُهم إلى آخره :

انّ أحسابَهم ووجوهَهم صبيحةٌ مُشرِقة مُضيءُ في الليل ، حتى كأنهّا نور القمر الساطع ، فيستطيعُ مَن بيده الخرَزُ اليماني أن يَنظِمَه في سِلكه ، بل إنه يستطيع أن يَثقُبَه ويَنظِمَه في العِقد .

وشُبّهت الوجوهُ عند العرب بالدنانير لوضاءتها ، وبالنجوم كما قال أبو الطّمحان . ويقول العَرَنْدَس :

مَن تلقَ منهم تَقُل لاقيتُ سيّدَهم ... مِثلُ النجوم التي يسري بها الساري

ويقول المُرَقش :

النّشْرُ مِسْكٌ والوجوه دنانيرٌ ... وأطرافُ الأكُفّ عَنَم

● **السؤال** : من قائل قصيدة (المسلول) وما مطلعها ؟

بهاء خيري القصير
لواء الدماوي – العراق

★

الأخطل الصغير

● **الجواب** : قائل قصيدة المسلول هو بشارة الخوري أو الأخطل الصغير ، ومطلع القصيدة :

حسناءُ أيَّ فتىً رأت تَصِدِ ... قَتْلَى الهوى فيهـــا بلا عَدَدِ

ويصف فيها المسلولَ بعد عددٍ من الأبيات فيقول :

سكرانُ وهي تَمَصُّ من دمِه ... وتُريـــه قَلْبَ الأُمِّ للولد

ويَمُجُّ أحيانـاً دمـــاً فعلى ... مِنديله قِطعٌ من الكبـدِ

قِطَـــعٌ تآبينٌ مُفَجَّعَـــةٌ ... مكتوبةٌ بدمٍ بغيرِ يـــدِ

قِطَعٌ تقولُ له : تموتُ غداً   وإذا تَرِقُّ تَقول : بعد غدِ
والموتُ أرْحمُ زائرٍ لفتىً   مُتزَمّلٍ بالداءِ مُغْتَمِد

ويختتم القصيدة بقوله :

هذا قتيلُ هَوىً بِبنتِ هوىً   فإذا مَرَرْتَ بأُختِها فَحِدِ



● **السؤال** : بشار بن برد وُلِد أعمى ، فكيف يقول شعراً غزلاً .

فتحي ابراهيم كـَمَش
طرابلس الغرب — ليبيا

★

بشَّار بن برد

● **الجواب** : نعم ، وُلِد بشارٌ أعمى ، ومع ذلك فإنه كان يشبب بالنساء ويصفهن ، ولو أنه لم يرَهُنَّ ، وكان يُغطّي ذلك بقوله ، مثلاً :

يا قومُ أُذْني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ   والأُذْنُ تَعْشَقُ قبل العينِ أحيانا

قالوا بمن لا تَرَى تَهذِي؟ فقلتُ لهم   الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا

وكان أبو العلاء المعري أيضاً يصف المرأة بأوصافٍ دقيقة كأنه يراها أمامه .

واشتُهِر عن الدكتور طه حسين أنه يُكثِرُ في كتاباته من ترديد : قرأتُ .

وكان مُوَفَّقُ الدين أعمى، وكان عاشقاً، فقال:

قالوا عَشِقتَ وأنتَ أعمى ظبياً كحيلَ الطَّرفِ أَلْمَى
وحُلاَه مـا عايَنْتَها فَنَقُولُ قد شَغَلَتْكَ وَهْما
وخيـالُه بِكَ في المنـامِ فما أطـافَ ولا أَلَمَّا
مِن أينَ أرسلَ للفؤاد، وأنت لم تَنْظُرْه، سَهْما
ومتى رأيتَ جمـالَه حتى كساكَ هواه سُقما
وبأيِّ جارحـةٍ وَصَلْتَ لِوَصْفِه نَثْراً ونظمـا
فأجبتُ إني مُوسَوِيُّ العِشـقِ إنصاتـاً وفهما
أهوى بجارحـةِ السَّماعِ ولا أرى ذاكَ المُسَمَّى

وذكر ابنُ خلكان أبياتاً لرجلٍ ضرير عاشق، وهي:

وغـادةٌ قالت لأترابهـا يا قومُ ما أعجبَ هذا الضريرْ
أَيَعْشَقُ الإنسانُ ما لا يَرَى فقلتُ والدمعُ بعيني غزيرْ
إنْ لم تكنْ عَيني رأتْ شخصَها فإنها قـد مُثِّلَتْ في الضميرْ

ويقول بشار بن برد في حُبِّ عَبْدَه:

يُزَهِّـدني في حُبِّ عبـدةَ مَعشَرٌ
قلوبُهم فيهـا مخالفـةٌ قلبي

فقلتُ: دَعُوا قلبي وما اختار واشتهى

فبالقلبِ لا بالعَــين يُبْصِر ذو اللب

وما تُبْصِر العينانِ في موضِعِ الهوى

ولا تَسْمَعُ الأُذنانِ إلا من القلب

ومن أغربِ ما اجترأ عليها بشار في الوصف قولُه :

ودَعجاءُ المحاجرِ من مَعَدٍّ   كأنَّ حديثَها ثَمَرُ الجنــانِ

إذا قامَتْ لحاجتِهــا تثنَّت   كأنَّ عِظامَها من خَيْزُرانِ

ويقول بشار أيضاً :

قالت عَقِيلُ بنُ كعبٍ إذْ تَعلَّقها   قلبي فأَضحى به من حُبِّها أَثَرُ

أنَّى، ولم تَرَها، تَهْذِي؟ فقلتُ لهم   إنَّ الفؤادَ يَرَى ما لا يَرَى البَصَرُ

ومن أقوال المعري في العين والهوى قولُه :

فالعينُ يَسْلَمُ منها ما رأت فَنَبَت   عنه، وتَلْحَقُ ما تَهْوَى من الصورِ

ويقول بشار :

وما ظَفِرتْ عيني غَداةَ لقيتُها   بشيءٍ سوى أطرافها والمحاجر

كَحَوْراءَ من حُورِ الجِنانِ غريرةٍ   يَرَى وجهَه في وجهها كُلُّ ناظِر

ويقول الخُرَيْمي (وكان قد عَمِي) :

فإن تكُ عيني خبا نورُهــا   فكم قبلَهــا نورُ عــين حبا

فلم يَعْمَ قلبي ولكنّنا ... أرى نورَ عيني لقلبي سَرَى
فأسْرَجَ فيه إلى نُورِهِ ... سِراجاً من العِلمِ يَشفي العَمَى

ومثلُه قولُ أبي العلاء المَعَرّي :

سوادُ العين زارَ سَوادَ قلبي ... لِيَتَّفِقا على فَهمِ الأمور

والخُرَيْمي يخالِف بَشّاراً في الموازنةِ بين السَّمْع والنظر ، فهو يقول :

أُصغي إلى قائدي لِيُخبِرَني ... إذا التقينا عَمَّن يُحَيِّيني
أُريد أن أعدِلَ السلامَ وأن أَفْصِلَ بين الشريفِ والدونِ
أَسمَعُ ما لا أرى فأَكْرَهُ أنْ ... أُخطِيءَ والسَّمْعُ غيرُ مأمونِ



فهرس الموضوعات



الفهارس العامة

القوافي

« التاء »

« الثاء »

« الجيم »

« الحاء »

« الدال »

« الـــراء »

ـ النون ـ

ـ الهاء ـ

ـ الياء ـ

المقصورات

●

الاعـلام

[البـــاء]

●

الدول ـ المدن ـ الأمكنة

•

الأمم والقبائل والجماعات

●

مذاهب ولغات ومنسوبات

●

الأمثال

●

أحداث ووقائع تاريخية

●

فهرس السائلين

الكتب والمراجع

